مكتب اليونسكو الاقليمي – بيروت

CHAIRE UNESCO
D'ÉTUDES COMPARÉES DES RELIGIONS
DE LA MÉDIATION ET DU DIALOGUE

المظاهر الثقافية في الديانتين المسيحية والإسلامية

إشراف
مكتب اليونسكو الإقليمي - بيروت

وكرسي اليونسكو للدراسات الدينيّة المقارنة،
الوساطة والحوار - جامعة القديس يوسف - بيروت

بيروت 2010

مكتب اليونسكو الاقليمي – بيروت

المظاهر الثقافية في الديانتين المسيحية والإسلامية

إشراف

مكتب اليونسكو الاقليمي – بيروت

وكرسي اليونسكو للدراسات الدينيّة المقارنة

الوساطة والحوار – جامعة القديس يوسف – بيروت

مكتب اليونسكو الاقليمي – بيروت 2011

عنوان الكتاب: المظاهر الثقافية في الديانتين المسيحية والإسلامية

إشراف: مكتب اليونسكو الاقليمي – بيروت

وكرسي اليونسكو للدراسات الدينيّة المقارنة، الوساطة والحوار
جامعة القديس يوسف – بيروت

اللجنة الإستشارية:
حسب الترتيب الأبجدي للعائلة
الشيخ سامي أبي المنى، الدكتور رضوان السيّد، السيّدة ريتا أيوب،
السيدة سلوى السنيورة بعاصيري، الأب لويس بواسيه،
الشيخ شفيق جرادي، المطران غريغوار حداد، المونسنيور كميل زيدان،
الدكتور رمزي سلامة، الدكتور بشارة صارجي، المهندس جوزف كريدي.

فكرة وإشراف: المهندس جوزف كريدي

متابعة وتنسيق: السيدة ريتا ايوب

مراجعة لغوية: الشاعر هنري زغيب، الشيخ سامي أبي المنى، الدكتور رضوان السيد

إخراج فني: السيدة دوريس هوب مارجيل – الآنسة أمل نزال

الناشر: مكتب اليونسكو الإقليمي – بيروت

© جميع حقوق الطبع محفوظة، مكتب اليونسكو الاقليمي – بيروت 2011

LB/2011/CL/PI/36

© UNESCO 2011

Cultural Aspects in Christian and Islamic Religions

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب هي من مسؤولية المؤلف وليست بالضرورة آراء اليونسكو كما أنها لا تلزم المنظمة أبداً.

إن التسميات المستعملة وعرض المواد في هذه المنشورة لا تعني ضمناً أبداً أنها تعبير عن آراء اليونسكو لجهة الوضع القانوني في أي من الدول أو الأراضي أو المناطق الواقعة تحت سلطتها أو في أي شيء له علاقة بترسيم الحدود.

المحتويات

شكر 8
مقدمة 10
توطئة 13

الزمان: صور ومفاهيم 17

الزمان في المسيحية والإسلام 18
الزمان في المسيحية 19
الزمان في الدين الإسلامي 20

التقاويم ومعانيها وسبب استخدامها 22
التقويم الشمسي 23
التقويم القمري 25
الأشهر الميلادية عموماً 26
شهر أيار: إكرام مريم العذراء 26
الأشهر القمرية/الهجرية 27
خصوصية بعض الأشهر القمرية 28
أيام الأسبوع، إطارها وأهميتها 30
يوم الأحد لدى المسيحيين 31
يوم الجمعة لدى المسلمين 32

الأعياد والمناسبات الدينية واحتفالاتها في المسيحية والإسلام 35

الأعياد في المسيحية 36
الميلاد والظهور 37
25 كانون الأول و6 كانون الثاني 37
تقاليد وعادات شعبية 38
الظهور الإلهي (الغطاس أو الدنح) 43
الخميرة الجديدة 43
تبريك الماء 44
سجود المجوس 44
مباركة الثمار 44
الصوم 45

أهمية الصوم 45
المرفع 46
بداية الصوم 46
آحاد الصوم 48
الشعانين 48
الأسبوع العظيم (أسبوع الآلام) 51
الخميس المقدس/خميس الأسرار 52
الجمعة العظيمة 56
سبت النور 59
عيد الفصح 59
الباعوث 62
الصعود 62
العنصرة 62
خميس الجسد 63
عيد الصليب 64

الأعياد و المناسبات الدينية لدى المسلمين 66
الاعياد 66
شهر رمضان و الصوم 67
عيد الفطر 70
عيد الأضحى 74
عشور العيد لدى الموحدين الدروز 75
المناسبات 76
المولد النبوي 76
رأس السنة الهجرية 77
ليلة القدر 77
الإسراء و المعراج 78
عيد الغدير 79
النصف من شعبان 79
عاشوراء 80

ذكرى الأولياء و القدّيسين 82
أعياد القديسين عامة 83
الأعياد المريمية 85
عيد مار مارون 88
عيد جميع القديسين 89
تذكار الموتى 89
ذكرى الأئمة المعصومين و الأولياء 90
أشهر الشيوخ الثقات و أهل العرفان لدى الموحّدين الدروز 90
الامير عبدالله التنوخي 90
الشيخ زين الدين عبد الغفار تقي الدين 91
الشيخ الفاضل محمد أبو هلال 91

أنبياء مشتركون في الديانتين 92
يوحنا المعمدان/ يحيى عليه السلام 93
النبي ايليا أو إلياس عليه السلام 94
أيوب عليه السلام 96
جريس/الخضر 98

المؤمن والزمان 101

الولادة (إنجاب الأولاد) 102
الدخول في الدين 103
في المسيحية 103
سرّ العماد 103
سر التثبيت أو سرّ المسحة بالميرون 104
الميرون المقدس 104
زيت المرضى 105
المناولة 106
في الإسلام 107
الولادة 107
الختان 107

الزواج وما يرتبط به 108
في المسيحية 109
الخطبة 109
الإكليل 110
فسخ الزواج والطلاق 112
في الإسلام 113
الخطبة 113
عقد الزواج 114
تعدد الزوجات 116
الطلاق 117

الموت 118
الموت لدى المسيحيين 119
الموت لدى المسلمين 120

التبني والتكفّل بالأيتام 124

شعائر وعبادات 127

الصلاة 128
في المسيحية 129
أنواع الصلاة 129
طرق الصلاة 129
أوقات الصلاة 129
موضوع الصلاة 129
في الإسلام 130
الصلاة الفريضة 130
الصلوات الأخرى 131
صلاة الجمعة 131
صلاة العيدين 132
الصلاة على الميت أو صلاة الجنازة 132
صلاة الاستسقاء 132
صلاة الآيات 133
صلاة النوافل 133

القداس الإلهي عند المسيحيين 134
الحج 136
الحج في المسيحية 137
الحج في الإسلام 139
رجوع الحاج 142

الزكاة 142
الخمس 143
الأدعية 143
التوبة 144
المأكل: المحلّل والمحرّم 145
الأناشيد والتراتيل والتجويد 146
البخور والشموع 148
البخور والطيب 148
الشموع 149

المسبحة 150
في المسيحية 150
في الاسلام 151

في المكان: أمكنة العبادة 153

الكنائس 155
المساجد 163
الخلوات 167
الأديار 168
المزارات المسيحية العامة والخاصة 170
المناسك أو المحابس 172
أماكن أخرى ترتبط بالتقاليد الإسلامية 173
المصلّى 173
المدرسة 173
الزوايا، الخوانق، الرُبُط والتكايا 173
المقام، والمزار، والمشهد 174
العتبات المقدسة 175
الحسينيات 176
المقامات عند الموحدين الدروز 177

تقاليد وعادات 179

اللباس وما يتبعه 180
اللباس وما يتبعه لدى المسيحيين 181
لباس كهنوتي: البطاركة، المطارنة، الكهنة 181
لباس رهباني: لباس الرهبان/الراهبات 185
اللباس وما يتبعه لدى المسلمين 186
لباس المشايخ وعلماء الدين 186
العقّال 187

العلم المخمس لدى الموحّدين الدروز 188

عادات وتقاليد عامة 190
النذور 190
الأذكار، البسملة، التحية والأدعية 191
أسماء الأشخاص 191
الإحسان وإنشاء الجمعيات والمبرّات 192
الأمسيات الدينية 193
الروايات التمثيليّة 194
اللحى وحلاقة الرأس 197
تزيين البيوت والسيارات 198

شـــــكر

لم يكن هذا الكتاب ليبصر النور، لولا الجهد المشترك الذي قام به عدد من المعنيين في مجالات متعدّدة. فكما يدخل هذا الكتاب إلى عمق التنوّع ليحيك منه شبكةً واحدة، هكذا حاكَ تنوّع الاختصاصات من كتّاب ومصورين وعاملين في المجال التربوي والديني وعاملي اجتماع وطلاّب، نسيج هذا الكتاب كي يخرجه إلى الحياة. لعل أقلَ ما يمكن تقديمه: كلمات شكرٍ لكلٍ منهم وهم:

أولاَ : أعضاء اللجنة الإستشاريّة التي أشرفت على الكتاب، الذين وعلى الرغم من كل العراقيل التي واجهتهم، ثابروا على إنجاز هذا العمل. وهم بحسب الترتيب الأبجدي للعائلة: الشيخ سامي أبي المنى، الدكتور رضوان السيّد، السيدة ريتا أيوب، السيدة سلوى السنيورة بعاصيري، الأب لويس بواسيه، الشيخ شفيق جرادي، المطران غريغوار حداد، المونسنيور كميل زيدان، الدكتور رمزي سلامة، الدكتور بشارة صارجي، المهندس جوزف كريدي.

ثانياً: جميع الذين ساهموا من قريبٍ أو من بعيد، في الكتابة أوالصياغة أو التصحيح في نص الكتّاب، وهم بحسب الترتيب الأبجدي: الشيخ سامي أبي المنى، الخوري خليل الحايك، الشيخ غسان الحلبي، الدكتور رضوان السيد، السيدة ريتا أيوب، الشيخ شفيق جرادي، الدكتور أحمد حطيط، الشيخ سمير خير الدين، القس عيسى دياب، الشيخ محمد زراقط، الشاعر هنري زغيب، المونسنيور كميل زيدان، الدكتور جان سلمانيان، الدكتور بشارة صارجي، السيدة سوزان ضو صايغ، الدكتورة نايلة طبارة، السيد أحمد عيتاني، الدكتور أحمد ماجد، الشيخ محمد نقري، الأب هاني مطر، الأب يونس يونس.

ثالثاً: لم يكن هذا الكتاب ليجذب القارئ لولا الصور التي أغنت صفحاته والتي تآلفت مع المضمون. كل الشكر للمصورين وأصحاب الأرشيف الخاص والعام والأفراد والمؤسسات، الذين أغنونا بكل الصور التي لوّنت صفحات الكتاب، وهم بحسب الترتيب الأبجدي، الخوري مارون شمعون، المطران سليم غزال، المطران سمير نصّار، الأب يونس يونس؛ والسيدات والسادة: كرم أبي يزبك، جمال الشمعة، كوليت انطون ابو شديد، ألدو ايوب، جانيت ايوب، ريتا ايوب، مازن تابت وريمي عبد الخالق، ريتا حاصباني، موسى الحسيني، وسام حميدان، علي غلاييني، غادة فقيه، عصام قبيسي، شادي مراد وغلوريا عبدو مراد، محمد مرعي، هاني نصّار، جوزيت نصرالله فرام، دوريس هوب مارجيل، وأرشيف دار الفتوى، أرشيف رعيّة السيّدة وقلب يسوع – قرنة الحمرا، حلويات أحمد عوني الحلاب وأولاده، كاثوليكوسيّة الأرمن الأرثوذكس، كلية العلوم الدينية/جامعة القديس يوسف.

رابعاً: قبل أن يصبح هذا الكتاب جاهزاً للطبع، ساهم عدة أشخاص بإخراجه فنياً. فأتوجه بالشكر الجزيل خصوصاً للسيدة دوريس هوب مارجيل والآنسة أمل نزال، اللتين كان لهما دور أساسي في إعداد الكتاب فنياً.

ولا بد قبل الختام من شكر السيدة ريتا أيوب التي جمعت ونسّقت وتابعت العمل بكل خطواته مضموناً وشكلاً، فأصبح جاهزاً ليبصر النور.

وأخيراً أشكر زميلي في مكتب اليونسكو المهندس جوزف كريدي صاحب فكرة هذا الكتاب على مبادرته ومتابعته القيّمة وعلى الجهود التي بذلها لإصدار هذا الكتاب.

د. عبد المنعم عثمان

مدير مكتب اليونسكو الاقليمي – بيروت

مقـــــدمة

منذ تأسيس منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (1945/11/16) تعهّدَت المنظمة تنمية العلاقات بين المجموعات والشعوب تحقيقاً لتفاهم أفضل بينها، وسعياً إلى وقوف كلٍ منها بصورة أدق وأصدق على عادات المجموعات والشعوب الأخرى. جاء في الميثاق التأسيسي للمنظمة أن جهل الشعوب بعضها لبعض كان مصدر ريبة وشك بين الأمم على مر التاريخ وسبباً لتحوّل خلافاتها إلى حروبٍ في كثيرٍ من الأحيان.

وفي لبنان يشكّل التداخل الثقافي الديني بين مجموع اللبنانيين نقطةً محوريّة. فهو، وإن كان سبباً لبروز الجدران بين الأفراد والجماعات، غير أنه في الوقت نفسه، حافز لبناء جسورٍ وشقّ قنوات تساعد على نمو شبكة علاقاتٍ بينهم، هي بمثابة نسيج حياة يساهم في عيش اللبنانيين بعضهم مع بعض في سلام.

تعيش المجموعات الدينية في بعض المناطق من لبنان ضمن اختلاطٍ يساهم في تعرّف بعضها على قيم بعضها الآخر وعاداتهم وتقاليدهم. غير أن التباعد الجغرافي لبعض القرى والمدن وتزايدُ النواحي غير المختلطة، لا يساعد في تعميق هذه المعرفة.

إنطلاقاً من هنا، كان لا بدّ من العمل على تطوير مادة تساهم في تقريب مسافاتٍ باعدتها الظروف التاريخية والسياسيّة والعوامل الجغرافية، إضافة إلى واقع الحياة اليومية في عصرنا الحالي.

التقينا في أوائل العام 2006، وبدأنا العمل على مادة كتاب تساهم بمضمونها في إضافة معرفة – ولو جزئية – على ثقافة اللبنانيين بعضهم لبعض.

إخترنا العمل على المظاهر الثقافية في الديانتين المسيحية والإسلامية، كون هذه المظاهر ترتبط ارتباطاً مباشراً بحياتنا اليومية كلبنانيين. فأنّى ذهبنا، تواجه سمعنا وبصرنا مظاهرُ ثقافيّةٌ ترتبط بهذا الدين أو بذاك.

منذ بدأنا العمل على مادة هذا الكتاب، كان الهدف العام تمكين الشباب اللبناني من فهم المظاهر الثقافية المرتبطة بالأديان في لبنان. فعندما يفهم العقل المعنى المرتبط بالشكل، يمكِّن صاحبه من قبول الآخر أكثر من قبل. لم يكن هدفنا إقناع الأفراد بمدلولات هذه المظاهر أو ترغيبهم باعتناقها، بل تعزيز النظرة الموضوعيّة والمتجرّدة لهذه المظاهر، بدل نظرة الدفاع او الهجوم التي تتحكّم بردّات أفعالنا لدى تلاقينا مع الاختلاف في معظم الأحيان، وكنّا نهدف بالتالي إلى فتح قنوات تتيح للأفراد استعمال أدوات المعرفة العلميّة والنظر إلى الآخر من خلال القلب والعقل معاً.

اتّبعنا في عرضنا منهجية الوصف والتفسير. نبدأ أولاً في وصف المظهر الذي نراه أو نسمعه، من حيث الشكل. بعد ذلك نحاول تلمّس المعنى الروحي كما يبغيه المؤمن، والذي يكمن وراء هذا المظهر أو ذاك، فنبرز بالتالي الهدف الذي من أجله يدخل المؤمن في الشكل لصلته بالجوهر.

لم يكن هدفنا من خلال هذا الكتاب الدخول في صلب العقائد الدينية، غير أنه كان لا بدّ من الإشارة إلى البعض منها كي يتسنى للقارئ فهم المعنى المرتبط بالمظهر.

وبالرغم من أنّ هذا الكتاب يتوجّه بشكلٍ أساسي إلى الشباب على المستويين الثانوي والجامعي، غير أن الأسلوب المتّبع يجعل من مضامينه مادةً يقرأها معظم الناس بانتباه بعيد عن الملل.

وأخيراً نودّ التأكيد على أنّ هذه الطبعة من الكتاب هي الأولى، وسوف تليها طبعات معدّلة وفق ردود فعل القرّاء والمهتمين.

نتمنى أن يكون هذا الكتاب أجاب عن الهدف الذي منه انطلقنا، ونأمل أن يساهم في فتح الدروب بين القلوب من خلال العقل "ففي عقول البشر يجب أن تبنى حصون السلام" كما نص الميثاق التأسيسي لليونسكو .

أعضاء اللجنة الإستشارية

تـــوطئـــة

13 كانون الأول 2007: ماريا طالبة فرنسية وصلت قبل شهرين إلى بيروت، تقف حائرة أمام أحد المصارف في الأشرفية. تحاول أن تفهم لِمَ يقفل المصرف يوم الخميس هذا...؟!

25 كانون الأول 2007: يمر محمود السائح الخليجي أمام المحلات المقفلة في شارع الحمراء، يتساءل عن سبب الإقفال في يوم الثلاثاء هذا...؟!

تلخّص هذه المشاهد بعضاً من التداخل الذي يحصل بين اللبنانيين في فترات الأعياد الدينيّة. فلو كانت ماريا أو محمود لبنانيين، لعرفا أن يوم عيد الأضحى المبارك، كما يوم عيد ميلاد السيد المسيح، هما يوما عطلة رسميّة في البلاد، وصادفا هذين اليومين سنة 2007.

لو كانت ماريا لبنانية، لكانت ذهبت، في أول أسبوع من شهر رمضان، لشراء الكلاّج الرمضاني من الروشة. ولو كان محمود لبنانياً، لكان أولاده ربما زيَّنوا شجرة عيد الميلاد في منزلهم.

هذه المظاهر الثقافية التي تتنوّع بتنوّع الطوائف اللبنانيّة السبع عشرة، المسيحيّة والإسلاميّة، تتخطى الملتزمين بهاتين الديانتين لتشمل حياة سائر اللبنانيين، سواء التزموا أم لم يلتزموا بدينٍ أو طائفة.

يساهم هذا التداخل في خلق شبكة تواصل بين اللبنانيين، تتيح فهم بعضهم بعضاً هذه المظاهر، وبالتالي قبولهم إياها ومن يمارسها. غير أن الكثير من هذه المظاهر يبقى ملتبساً على الكثيرين، خصوصاً على الذين يقطنون مناطق لا تعيش فيها معهم جماعات ذات انتماءات دينية مختلفة.

مثلاً: قد لا يفهم جوزيف لِمَ على زميله حسن أن يصلي في تلك الساعة بالتحديد، في حين يمكنه أن يختار وقتاً يتناسب مع دوام جامعته وعمله ليصلي في غرفته بصِلة خاصّة مع خالقه كما يفعل هو. يظن أن حسن يقوم بذلك لكي يغيظه أو كي يتعالى عليه. بالمقابل: قد لا يفهم حسن كيف أن زميله جوزيف يتغاضى عن أوقات الصلاة ولا يلتزم بها. هو بذلك يظن أن جوزيف غير معني بانتمائه الديني، ولا يقوم بالفرائض التي تقرّبه من الله.

فلو عرف حسن وجوزيف مفهوم الصلاة في كلا الديانتين المسيحية والإسلامية، لوعى كلٌ منهما كيف ينظر إلى الآخر بعينَي هذا الآخر وليس بعينيه هو فقط. لو عرف كلاهما معنى الصلاة بالنسبة للآخر، لكان استطاع أن يفهم سلوك زميله ويحترمه، حتى ولو كانت له وجهة نظرٍ مغايرة، ولكانت الثقة بينهما هي التي تسبق الحكم على الآخر، فتتيح أن يقبل كلاهما تعبير الآخر قبل أن يدخل معه بنقاش متشنّج حول سبب هذا التعبير وخلفيته. هذا نموذج من نماذج عدّة تصادفنا في تجوالنا وعيشنا وعملنا وحياتنا، في بلدٍ ينتمي أبناؤه إلى ديانات وعقائد وطوائف وإيديولوجيات متعددة.

يتيح هذا الكتاب، للقارئ اللبناني بشكلٍ خاص، والعربي بشكل عام، الفرصة للإطلاع على ما تحمله المظاهر الثقافية المتعلقة بالأديان من معانٍ وأهداف. هذا الإطّلاع يساعده في مرحلة أولى على فهم المعاني المختلفة لهذه المظاهر، سواء أكانت تعنيه شخصياً، أم كانت تعني أبناء الوطن الذين يتشارك وإياهم الأرض والحياة. أما في مرحلته الثانية، فيساهم هذا الكتاب في فهم اللبنانيين سلوك بعضهم بعضاً، وسلوكهم الشخصي في ما خصَّ هذه المظاهر. وبالتالي، يساهم الكتاب أيضاً بأن ينظر اللبنانيون إلى بعضهم البعض أوّلاً بعين الثقة، قبل أن يبدأوا النظر بعين ناقدة.

يحتوي هذا الكتاب على فصول تجمع معظم المظاهر الثقافية المتعلقة بالديانتين المسيحية والإسلامية على تنوّعها. فالفصل الأول الذي يتطرّق إلى الزمان، يمر على شهور السنة وأيامها بتسلسلها الزمني. أما الفصل الثاني فيدخل في تفاصيل المناسبات لدى المسيحيين ثم المسلمين موضحاً معاني الأعياد والذِكَر وما تحمله من مظاهر خاصة، شارحاً الأسباب التي تتعلّق منها بالدين. كما يحوي هذا الفصل جزءاً يرتبط بالأولياء والقديسين الذين لهم ذكر في بعض يوميات اللبنانيين.

أما الفصل الثالث فيدخل في مراحل حياة الانسان الفرد، من الولادة الى الدخول في الدين فالزواج فالموت، وما يرافق هذه المراحل يشكّل حيّزاً هاماً من حياة اللبنانيين. يدخل هذا الفصل في تفاصيل ما تحمله هذه المراحل من مظاهر وعادات، يتشارك فيها الناس، فتساهم في خلق فسحة حياة جماعية مشتركة في مجتمع متنوع العقائد.

الفصل الرابع يدخل إلى الشعائر والعبادات والأحكام، يوصّفها ويتحدث عن معانيها الروحية بالنسبة للأفراد والجماعات التي تمارسها عن إيمان. فالصلاة والقداس والحج وغيرها، شعائر ندخل في تفصيل ماهيتها وكيفية القيام بها، بشكل يجعل القارئ يفهم ما تعنيه لمن يمارسها.

أما الفصل الخامس فيدخل بنا إلى الأمكنة ومعانيها، من الكنائس إلى المساجد والأديار والخلوات والحسينيات، وجميعها أماكن تحمل لزائريها معاني مختلفة ومتفاوتة. إلاّ أنها جميعاً تبرز الأهمية التي يوليها الإنسان للمكان، في التعبير عن إيمانه وعن علاقته مع الخالق.

ويحملنا الفصل السادس إلى التقاليد والعادات المرتبطة بالأديان، فيدخلنا في تفاصيل لباس رجال الدين وما يحمل من رموزٍ ومعانٍ قبل أن يدخل إلى بعضٍ من العادات والتقاليد العامة.

قد يجد القارئ تداخلاً بين فصول هذا الكتاب، غير أن ما أُريدَ تحقيقه، هو جعل كل جزءٍ منه كأنه مرتبط ومنفصل في آن عن بقية الأجزاء. هذه المنهجية تسهّل قراءة أي موضوعٍ على حدة وفهمه بشكلٍ عام، دونما الضرورة للعودة إلى الأجزاء التي سبقت أو انتظار ما سيأتي.

وفي الختام، يأمل الذين ساهموا، من قريب أو من بعيد، في إيصال هذا الكتاب الى ما هو عليه (وبالرغم من النواقص التي قد يراها القارئ) أن يكونوا قد قدّموا عملاً مفيداً في إطلاق مسيرة اكتشاف الآخر المختلف في ما يختزنه من غنى تقاليد ومن قيم إنسانيّة وروحيّة. وحدها هذه المسيرة تشقّ طريقاً حقيقيّاً للسلام وتجعل من شعار "لبنان الرسالة" واقعاً ينثر الخير على المنطقة والعالم.

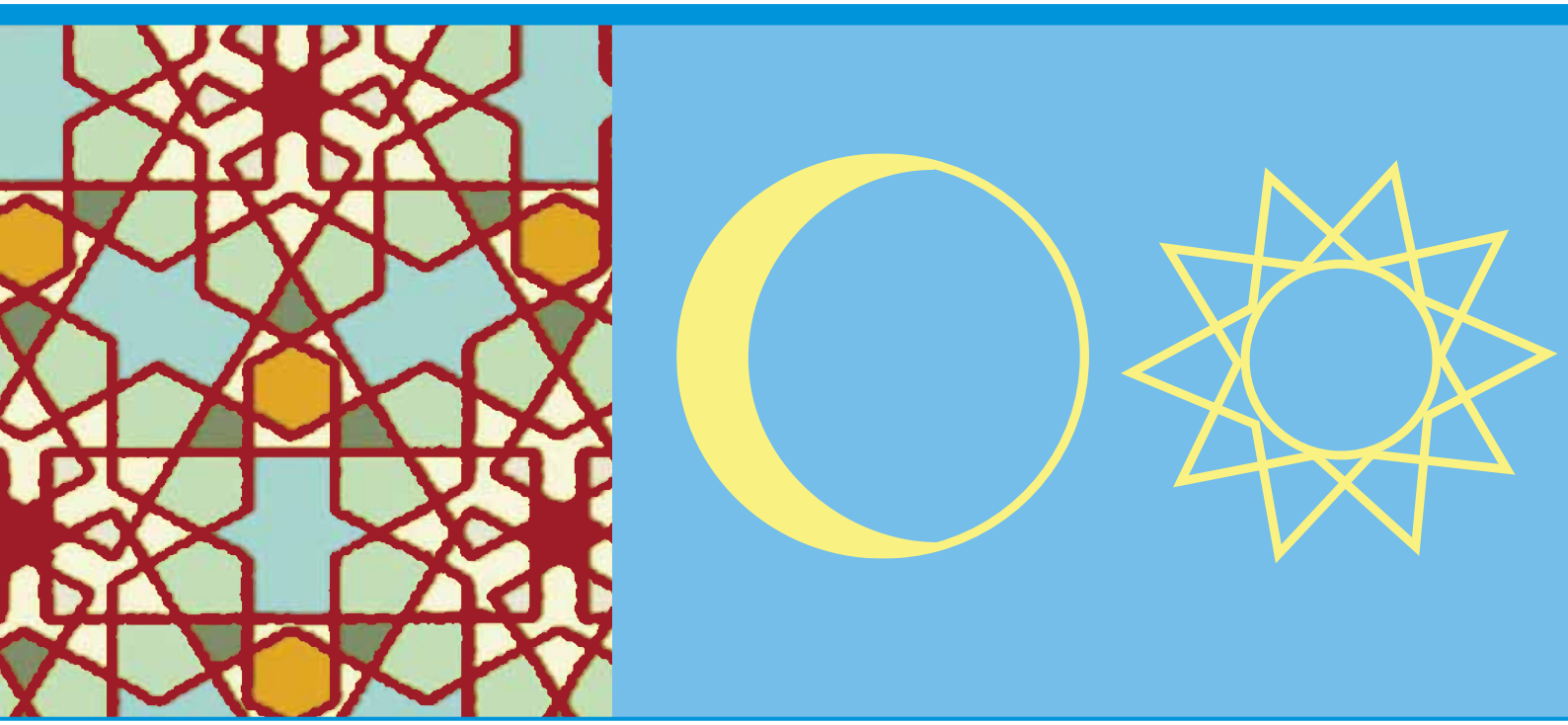

الزمان: صور ومفاهيم

يشعر الإنسان المعاصر بتنازع داخلي بين تصّورين للزمان. كان التصوّر القديم يعتبر الزمان حقيقة واقعيّة شبيهة بالفضاء، تتخذ شكلاً دائريّاً منتظماً (حركات الفلك)، يتكرّر بترابط ثابت وحتمي، مقصياً التغيير الحقيقي. كان إيقاع الأيام والفصول ولحظات الحياة ينظّم عمل المؤمنين وصلواتهم، فعيشهم في زمان دائري جعلهم يقدّمون إلى الله اللحظات المهمة مثل البدء والنهاية والمنتصف. نشأ، إلى جانب هذا التصوّر، تصوّر جديد للزمان، حيث كل لحظة تتّسم بالفرادة ولا تعنيها دورات الطبيعة الكبرى: إنه الزمان الصناعي، زمان العمل المفروض بدون اعتبار الإيقاعات الطبيعيّة أو المشاكل الشخصيّة. هذا الزمان ينفصل عن دورات الحتمية لأنه زمان التقدّم والتاريخ. لن يكون فيه الغد كالبارحة لأن الإنسان يجتهد ليجعله أفضل.

الزمان في المسيحيّة والإسلام

ترتبط المظاهر الثقافية في الديانتين المسيحية والإسلامية ارتباطاً مباشراً بالزمان. فبالرغم من أن الأعياد والمناسبات الدينية تدور دورتها مرتكزةً على مسار وحياة السيد المسيح وعلى مسار وحياة النبي محمد (ص)، غير أن السنة أكانت ميلادية أم هجريّة، تبقى الوحدة الأساسية التي تدور في فلكها المناسبات. وتشكّل الأشهر والأسابيع والأيام بلياليها ونهاراتها، أجزاءً تتنقّل بينها هذه المناسبات.

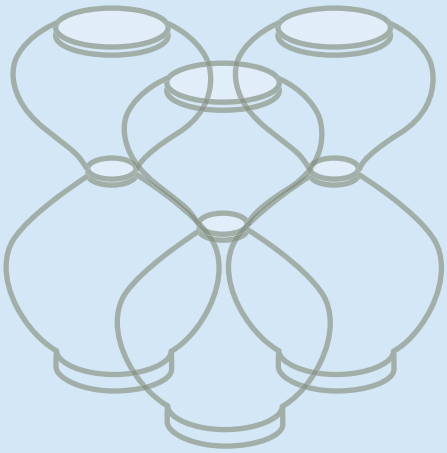

الزمان في المسيحيّة

يبدأ الكتاب المقدَّس (مجموعة الأسفار المقدَسة في عهدَيها القديم أي قبل ميلاد المسيح، والجديد أي بعد ميلاد المسيح، والتي كُتِبَت بإلهام من الروح القدس)، ويُختَم بإشارات زمنيّة: "في البدء، خلق الله السماوات والأرض" (تكوين 1: 1). "نعم إنّي آتٍ على عجل" (رؤيا 22: 20). وهكذا لا يقدَّم الله بصورة مجرّدة، أي في جوهره الأزلي كما نرى ذلك لدى أفلاطون وأرسطو، وإنّما يقدّمه من خلال تدخّلاته على هذه الأرض، ما يجعل من تاريخ العالم تاريخاً مقدّساً. ولهذا السبب يستطيع الوحي الإلهي أن يجيب عن الأسئلة الدينيّة التي يطرحها الوجدان البشري بخصوص هذا الزمان، ما دام هذا الوحي نفسه قد تنزّل وحدث في التاريخ.

أتاح لنا السيّد المسيح أن نستشفَّ من خلال أمثاله سير الملكوت نحو اكتمال آتٍ مستقبلاً، يقتضي لبلوغه مدّة من

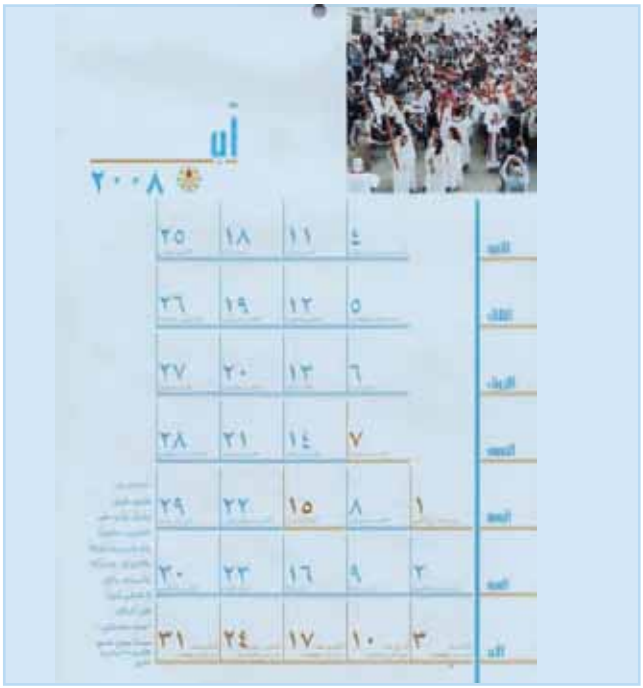

الزمن (متّى 13: 30، مرقس 4: 29-26). وبعد القيامة، يكلّف يسوع رسله بمهمّة تفترض امتداد فترة نهاية العالم (متّى 28: 20-19، أعمال 1: 8-6).

أخيراً، يميّز حدث صعود السيّد المسيح إلى السماء بين زمن الكنيسة وبين الزمن الذي فيه يعود المسيح في مجده لإتمام تحقيق المواعد النبويّة (أعمال 1: 11). ويحلّ، بين الاثنين، زمن أوسط، يختلف نوعيًّا سواء عن "زمن الجاهليّة" الذي كان الوثنيّون غارقين فيه (أعمال 17: 30)، أو عن زمن التأديب الذي كان يعيش في ظلّه حتّى ذلك الوقت الشعب الإسرائيلي (غلاطية 3: 23-25، 4: 1-3). وهذا الزمن هو زمن الكنيسة.

إذاً تصوّر الزمان لدى المسيحيين يجد جذوره في الكتاب المقدّس، وبنوع خاص في انتظار المسيح الذي يسمو على كل الدورات. فالتاريخ مسار نحو هدف محدَّد في ملكوت الله الذي بدأه المسيح ودعا الإنسان إلى الإسهام بتحقيقه، مع العلم بأنه لن يكتمل، بالنسبة له، إلا في نهاية الأزمنة (متّى 28: 20-19).

ويبني المسيحيّون الزمان كله حول شخص يسوع المسيح. فالأحداث التي يحتفل بها المسيحيون في الكنيسة، مرتّبة بحسب الزمن الجديد الذي تحوّل بنور القيامة. فهم يعيشون كل يوم وكلَّ أسبوع وكلَّ سنة تاريخ الخلاص الذي يشمل العالم كلَّه على امتداده. فعبر الزمان يواصل الله تحقيق تصميمه بإقامة عهد حياة مع العالم خليقته، وبخاصة مع البشرية جمعاء المقيمة فيه والعابرة نحوه تعالى. أنعم الله على الإنسان بالزمان ليعيشه، لحظة بعد لحظة، يتقبّل نعمته ويتمّم إرادته تعالى، ويبتغي البلوغ "إلى ملء قامة المسيح" حسب بولس الرسول (أفسس 4:13).

الزمان في الدين الإسلامي

يرتبط الزمان في القرآن بثلاثة مفاهيم: مفهوم بدء الخَلْق، ومفهوم السُنَن والقوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى ليسير الكونُ عليها، ولتنتظم حياةُ الإنسان بها، ومفهوم الزمن الخاصّ المنذور لعبادة الله عز وجلّ: الأشهر الحُرُم (ذو القعدة، ذو الحجة، محرم ورجب)، وشهر الصوم (رمضان).

في المفهوم الأول، مفهوم الخَلْق، جاء قولُهُ تعالى في عدة آيات من القرآن: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. (سورة هود، آية 7). وقارن بسورة الأعراف، آية 54 وسورة يونس، آية 3). والخَلْق واقعٌ في الزمان، وهو فعلٌ إبداعيٌّ لله عزَّ وجلّ من عدم. وقد كان الخَلْقُ في الزمان إبرازاً لإقبال الإنسان على اللقاء مع إرادة الله، و﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (سورة هود، آية 7).

أما المفهومُ الثاني للزمن فهو يفيد التكرار والانتظام بمقتضى إرادة الله في وضع السُنَن والقوانين التي يسيرُ عليها الكون، وتنتظمُ بها وعليها حياةُ الإنسان: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (سورة الأنبياء، آية 33). ﴿وآيةٌ لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (سورة يس، آية 37-40).

ولهذه الآيات الكونية وظائفُ أُخرى متصلة بحياة الإنسان، بقدرة الله وإرادته: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ (سورة إبراهيم، آية 33). ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ﴾ (سورة النحل، آية 12).

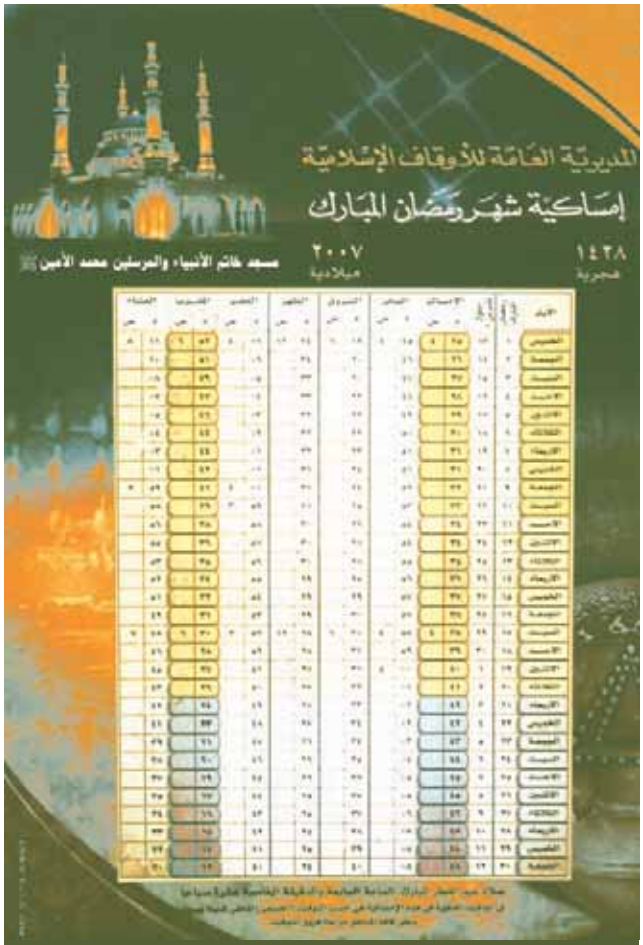

إمساكية شهر رمضان المبارك، توزعها المؤسسات والجمعيات الدينية الإسلامية في بداية الشهر، وتذكر فيها مواقيت الصلاة والإمساك والإفطار يوماً بيوم.

والمفهومُ الثالثُ للزمان يتصل بتنظيم حياة الإنسان العادية: ﴿وقدَّره (أي القمر) منازلَ لتعلموا عددَ السنين والحساب﴾ (سورة يونس، آية 5). كما يتصل بتنظيم حياة الناس الدينية: ﴿يسألونك عن الأهلّة (جمع هِلال) قل هي مواقيتُ للناس والحج﴾ (سورة البقرة، آية 189).

الأوقـــات

ورد أن الأوقات ثلاثة: ساعة للعبادة، وساعة لطلب الرزق، وساعة للترويح عن النفس من غير محرّم.

- أما عند الغروب: فيشتغل المؤمن فيها بالتسبيح والاستغفار. قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (سورة طه، اية 130).
- الليل: قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (سورة المزمل، اية 6). ورد في الحديث أنها شرف المؤمن، وأنها تورث صحة البدن، وهي كفّارة لذنوب النهار.

إضافة إلى ذلك، فإن أجزاء اليوم الزمنية لها عبادات وأذكار خاصة فيها، بحيث إن المؤمن يبقى مرتبطاً بالله في كل الأوقات. من خلال العبادة والذكر والتسبيح والتأمّل والتفكّر، وهنا نتحدث عن الأوقات التالية:

- ما بين الفجر وطلوع الشمس: تعتبر من الساعات الشريفة، فيستحب فيها ذكر الله والتسبيح والعبادة. ويكره النوم في هذه الأوقات.
- ما بين طلوع الشمس وغروبها: يستحب التصدق في أول النهار، ولو بشيء يسير، والصدقة تؤدي دوراً اجتماعياً، كونها تعطى للفقراء والمحتاجين الذين لا يملكون قوت يومهم، وهي أيضاً تزكّي النفس عندما تكون منطلقة من نية صادقة. فللصدقة قيمة إنسانية كبرى.

وهذا الوقت وقت العمل، فليس مطلوباً أن يجلس الإنسان في بيته ويتعبّد فقط من غير عمل.

التقاويم ومعانيها وسبب استخدامها

إن دورات القمر حول الأرض ودورات الأرض حول الشمس وفّرت للبشر إمكانيّة حساب الزمان وتقسيمه إلى سنوات وفصول وأشهر وأيام وساعات. وقدّم دوران القمر حول الأرض الوسيلة الإيقاعيّة الظاهرة مباشرة لتحديد الأشهر. غير أن الناس لاحظوا أيضاً أن اثنتي عشرة دورةً قمريّةً لا تتطابق بالضبط مع سنة شمسية، فهي لا تجمع إلا 354 يوماً و8 ساعات، بينما تستغرق الأرض 365 يوماً و6 ساعات تقريباً لتدور حول الشمس. أدى هذا الفارق إلى نشأة تقويمين: التقويم الشمسي والتقويم القمري.

التقويم الشمسي

السنة المسيحيّة التي نعيش هي: إمّا "دورة ثابتة" ونتابعها بروزنامة خاصة "كلندر"؛ وإمّا هي "دورة متحرّكة" ونتابعها "بالسنة الطقسيّة".

كلمة "كلندر" مشتقّة أصلاً من اللاتيني "Calendarium" ونجدها في اللغات الأوروبيّة الحديثة: "Calendar" بالإنكليزيّة و"Calendrier" بالفرنسيّة، وتعني "الروزنامة" أو "التقويم" باللغة العربية. واتّفق الموارنة السريان على استعمال كلمة (Codex) في هذا المجال ليَعنوا "فهرستَ الأعيادِ على مدار السنة". وكلمة "كلندر" تعني أصلاً "غُرّةَ الشهر" و"يوم استحقاق الدُّيون" عند الرومان. لكنها صارت تَعني، لاحقًا، تقسيمَ الأزمنة وحِسابَ الأوقاتِ وما يتعلّقُ بها.

وهكذا حَصَلَت كُلُّ الحضارات، ومنذُ البدء، "على كلنداراتٍ خاصّة بها"، وذلك طِبقًا لقواعد الطّبيعة، فمنها من اتّبع الدورة الشمسيّة ومنها مَن اتّبع النظام القَمَريّ، وهو مرتبط بنظام قاعدتُهُ بالدّورة الشمسيّة، في أيّامنا هذه نُلاحِظُ أثراً لهذا التقسيم في تسميةِ أيّام الأسبوع باللغات الأوروبيّة، مثل: "Sonntag" و"Sunday" ويعني "يوم الشمس".

تأثَّرَ تَقسيم أشهُرِ السنة بالنِّظامَين الشمسي والقمري، فضلاً عن أنَّ أشهرَ السنةِ لم تكُن اثنَي عَشَرَ شهرًا، بل كانت عشرة، وكانت تبدأ بحسب التقويم الروماني بشهرِ آذار. دامَ العمل بهذا التقويم حتّى سنة 153 ق. م. إذ زيدَ شهرانِ وأصبحَ أوّل يوم من شهر كانون الثاني رأس السنة. وأوّل مَن أدخَلَ السنة الشمسيّة في التقويم الرومانيّ هوَ الإمبراطور يوليوس قيصر سنة 45 ق. م.

وفي القرن السادس، (سنة 532) فرض البابا يوحنا الأول بدء التقويم المسيحي من سنة ولادة يسوع، بعد أن حدّد تاريخها الراهب المؤرّخ الأرمني دنيس الصغير مع المحافظة على قواعد حساب السنة اليوليّة الشمسيّة.

الحضارة السريانيّة التي استَقَت الكنيسةُ المارونيّة منها، كانت تبدأ سَنَتَها بشهر تشرين الأوّل، لأنّ كلمة "تشرين" السريانيّة تشتقُّ من فعل "شرو" الذي يعني "بدأ". حافظَتِ الكنائس الشرقيّة على هذا التقليدِ في كِلندرها إلى أن بدأت تَنحو المَنحى اللاتيني وتبدأ سَنَتَها المَدَنيّة بأوّلِ يوم من شهرِ كانونَ الثاني. حافظت الكنائس السريانيّة على بداية سنتها الطقسيّة في الأحد الأول من شهر تشرين الثاني فيما تبدأ السنة الطقسيّة عند البيزنطيّين في شهر أيلول.

ومع أنّ الكنيسة ترتكز في سنتها الطقسيّة على التقويم الشمسي إلاّ أنّها تعتمد في تحديد عيد الفصح على التقويم القمري فتحدّده في الأحد الذي يلي أوّل اكتمال القمر بعد بدء فصل الربيع. وهكذا ترتبط بعض الأزمنة بهذا العيد كزَمَني الصوم والعنصرة، فنرى هذه الفترة تتراوح بين مدٍّ وجزر طبقًا لتحديد يوم عيد الفصح وفق الروزنامة السنويّة.

بعد التقويم المعروف باليولي قام البابا غريغوريوس الثالث عشر بإصلاح التقويم السنوي الذي عُرِفَ في ما بعد بالتّقويمِ الغريغوري وبوشِرَ العملَ فيه على أثرِ نَشرِهِ في 13 شباط 1582. سنة 1575 شكّل البابا غريغوريوس الثالث عشر لجنة حدّدت الفارق الحسابي بينهما فأنزلت مدّة السنة الشمسية من 365،2465 يوماً

إلى 365،2422 يوماً، وخفّضت عدد السنوات الكبيس التي تجمع كسور الأيام الناقصة في يوم واحد إضافي هو 29 شباط. وتمّت المحافظة على حساب سنة كبيس كل أربع سنوات، كما هي الحال في التقويم اليولي. كان تخلّف السنة الشمسيّة الحقيقيّة، أي الزمان الذي تقضيه الأرض لإتمام دورانها حول الشمس، بالنسبة إلى السنة الشمسية اليوليّة، يبلُغُ عشرة أيام، فقرّر البابا غريغوريوس الثالث عشر القفز عشرة أيام إلى الأمام للتعويض عنه، وأعلن القرار في 24 شباط 1582.

تمَّ الانتقال المباشر من الخميس 4 تشرين الأول إلى الجمعة 15 تشرين الأول سنة 1582. وظهر منذ ذلك التاريخ، إلى جانب التقويم اليولي، التقويم الغريغوري الذي التزمت به الكنيسة الكاثوليكية، واختارته بعض الكنائس الأرثوذكسية للاحتفال بالأعياد الثابتة، بينما تطبّق جميع الكنائس الأرثوذكسية الحساب اليولي في الأعياد المنتقلة. ومع الوقت صار التقويم الغريغوري هو التقويم المدني المتَّبع دولياً.

تصدر بعض الجمعيات والمؤسسات الدينية المسيحية، عند بداية كل سنة، روزنامة خاصة بكل منها، تذكر فيها الأعياد الدينية التي تتوزّع على أيام السنة.

التقويم القمري

جاء في القرآن الكريم: ﴿إنّ عِدّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يومَ خَلَق السماوات والأرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ، ذلك الدينُ القيّمُ فلا تظلِموا فيهنَّ أنفسَكُم﴾ (سورة التوبة، آية 36).

الشهر القمري هو ما بين رؤية الهلال إلى رؤيته ثانيةً، وعدد أيامه تسعة وعشرون يوماً ونصف يوم. ولمّا كان هذا الكَسْر في العدد عَسِراً، عدُّوا جُملة الشهرين تسعةً وخمسين يوماً أحدُهما ثلاثون وهو التامّ، والآخر تسعةٌ وعشرون وهو الناقص.

كان الناس قبل الإسلام يؤرِّخون بحسب الأحداث العظيمة لديهم، فكانت كل أمة تؤرِّخ بما تراه وتتفق عليه من الأحداث العظيمة التي تمر بها. وفي هذا الإطار، كان العرب يؤرِّخون منطلقين من تاريخ بنيان البيت (أي الكعبة) إلى أن تفرّقوا. فكان كلما خرج قوم من مكة أرَّخوا من يوم خروجهم منها.

بقي الوضع على حاله حتى وفاة جد النبي محمد (ص) إذ بدأوا التأريخ إبتداءً من موته. إلى أن قرَّر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (634-644م)، وبعد مشورة الناس، بَدءَ الحساب القمري بهجرة النبي محمد (ص) من مكّة إلى المدينة عام 622 م. لكنه لم يبدأ التأريخَ بيوم الهجرة (12 ربيع الأول) بل بأول شهور السنة القمرية (شهر المحرَّم) التي تُسمَّى عند المسلمين السنة الهجرية.

الاشهر الميلادية عموماً

الأشهر الميلاديّة اثنا عشر شهراً: كانون الثاني 31 يوماً، شباط 28 يوماً و29 يوماً في السنة الكبيس، آذار 31 يوماً، نيسان 30 يوماً، أيّار 31 يوماً، حزيران 30 يوماً، تموز 31 يوماً، آب 31 يوماً، أيلول 30 يوماً، تشرين الأول 31 يوماً، تشرين الثاني 30 يوماً، كانون الأول 31 يوماً.

ترتكز الكنيسة اللاتينيّة في دورتها الطقسيّة على الأشهر، وتكرّس بعضاً منها لتذكارات معيّنة: على سبيل المثال لا الحصر، شهر آذار للقديس يوسف، شهر أيّار لمريم العذراء، شهر حزيران لقلب يسوع الأقدس، شهر تشرين الثاني للموتى المؤمنين،...

الكنائس الشرقيّة، ولا سيّما السريانيّة، ترتكز على الأزمنة في الدورة الطقسيّة: زمن الميلاد، زمن الدنح[1]، زمن الصوم، أسبوع الآلام، زمن القيامة، زمن العنصرة[2]، وزمن الصليب.

أمّا التقليد البيزنطي فيرتكز في سنته الطقسيّة على ثلاث مراحل: مرحلة الظهور الإلهي، مرحلة الفصح، ومرحلة التأليه.

الكنائس الكاثوليكيّة الشرقيّة أدخلت إلى ليتورجيّتها بعض الممارسات اللاتينيّة ومن أهمّها شهر أيّار المخصّص لإكرام العذراء مريم.

[1] راجع الصفحة 43 .
[2] راجع الصفحة 62 .

مزار "سيدة لبنان" في حريصا، يزوره اللبنانيون من كافة الانتماءات المناطقية والدينية.

شهر أيار: إكرام مريم العذراء

تخصيص شهر أيّار كله (في الكنيسة الكاثوليكيّة) لإحياء ممارسات تكريم مريم العذراء أمرٌ يعود تاريخياً إلى نهاية القرن الثامن عشر. ظهر الربط بين شهر أيار وإكرام مريم العذراء في الأدب الديني مع القرن الثالث عشر، حين راح الشعراء يتغنون بجمال مريم ويقارنون به جمال الزهور في أيار. وكانوا يجمعون منها الأكاليل الجميلة ويزينون بها تماثيل العذراء مريم، ويكرمونها في الكنائس وفي المنازل أيضاً. وتواصلت الممارسات الشعبية إلى أن اتخذ شهر أيار شكله الحالي سنة 1784، وانتشر من روما تدريجياً إلى إيطاليا، ثم إلى جميع الكاثوليك في كل أنحاء العالم. أما في لبنان، فبدأ الاحتفال بهذا الشهر سنة 1850، وفيه يتم التأمّل بحياة مريم العذراء والقيام – قدر الإمكان – بزيارات فرديّة وجماعيّة إلى بعض المقامات المشيَّدة لها، خصوصاً مقام سيّدة لبنان في حريصا حيث تقام القداديس والصلوات طوال النهار.

الاشهر القمرية/الهجرية

تبدأُ السنةُ القمريةُ بظهور الهلال في أول شهر المحرَّم، وتنتهي بغروب الهلال في آخر شهر ذي الحجة. عدد أشهرها اثنا عشر وعددُ أيامِها ثلاثمائة يوم وأربعةٌ وخمسون يوماً وتسع ساعات تقريباً. ولذلك تُصبح السنةُ كلَّ ثلاث سنواتٍ ثلاثمائة وخمسةً وخمسين يوماً (وتُسمَّى سنة زيادة). وتجدر الإشارة إلى أن كلمة شهر ذُكرت في القرآن الكريم اثنتي عشر مرة، وكلمة يوم ذكرت حوالى 355 مرة.

﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ (سورة التوبة، آية 36)، منها أربعة حرم أي يحرم فيها القتال: ثلاثة متوالية هي: ذو القعدة – ذو الحجة – المحرّم – ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

والأشهر الهجرية هي: المحرّم، صفر، ربيع الأول، ربيع الآخر، جمادى الأول، جمادى الآخر، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة. وكان عربُ الجاهلية يتلاعبون بالشهور تقديماً وتأخيراً، تحقيقاً لمصالح آنية. وقد حَرم القرآنُ ذلك تحريماً قطعياً.

خصوصية بعض الأشهر القمرية/ الهجرية

- **أشهر النور**: وهي رجب – شعبان – رمضان، وفيها بعض الخصائص العبادية التي يقوم بها المسلمون من مثل: الاهتمام الزائد بأهل الحاجة من الفقراء والمساكين، والاهتمام بالصلوات والأدعية والابتهالات، والصوم، وأداء بعض الأعمال المشابهة للحج وهي "العمرة" إلى مكة، وزيارة قبر النبي (ص) في المدينة، وغير ذلك. كما أن بعض المناسبات الدينية وقعت في هذه الأشهر: في رجب مناسبة ولادة الإمام علي (عليه السلام) كما أن ولادة الإمام المهدي عند المسلمين الشيعة كانت في شهر شعبان. وفيه ليلة القدر وإلى ما هنالك من مناسبات.

- **شهر شوال**: فيه عيد الفطر الذي يرمز إلى فرحة الصائم بتأدية الصوم كفعل عبادي يهيّئ الروح للقرب من الله قرباً معنوياً وروحانياً حتى إذا ما كان العيد فليشير إلى أن الفرحة حصلت بنجاح الصائم بمثل هذا التقرّب من الله. والفرحة هنا تأخذ شكل الجماعة وسلوكها في حسن الارتباط بين أفرادها.

- **شهر ذي الحجة**: وهو زمن الذهاب إلى الحج إلى بيت الله الحرام. وزمن الحج يرمز إلى ترك الأوطان وكأنه تركٌ للدنيا والهجرة إلى الله وإلى بيته الحرام.

- **شهر المحرّم**: وهو أول السنة الهجرية، في الأول منه 61 هـ وقعت الملحمة الحسينية بشهادة آخر حفيد للنبي محمد (ص) وهو الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومَن معه من أبنائه وإخوته وأصحابه.

- **صفر**: وينعت بالخير واليمن، وفي اليوم 28 منه توفي النبي (ص) في 11هـ يوم كما استشهد فيه الإمام الحسن بن علي المجتبى سنة 50 هـ في 7 منه.

- **ربيع الأول والآخر**: ينعت هذا الشهر بالشريف، وقد سميا بالربيع لسقوط بعض الأمطار وظهور العشب. وفي هذا الشهر كانت ولادة النبي (ص)، وأيضاً فيه كان دخوله (ص) يثرب مهاجراً عام 13 من البعثة.

- **جمادى الأولى والآخرة**: وفيه ولادة السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي محمد بن عبد الله (ص).

- **رجب**: الرجبان هما رجب وشعبان، ويقال رجب المرجب، يعنون به المقدّس والمعظّم، وهو من أشهر النور، وفيه توفي أبو طالب عم النبي (ص)، وذكرى الإسراء والمعراج (راجع صفحة 78) ، وولادة الإمام علي بن أبي طالب.

- **شعبان**: ويوصف بالمعظم والشريف، وفيه خطب النبي (ص) خطبة استقبال شهر رمضان المبارك، ويحتفل فيه المسلمون الشيعة بذكرى ولادة محمد بن الحسن المهدي المنتظر.

- **رمضان**: شهر الصوم، وهو الشهر الوحيد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ويوصف بالمبارك وهو من أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي.

ففيه ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (سورة القدر، آية 1). وفيه تُفتح أبواب السماء وتُغلق أبواب النيران، وفيه حصلت غزوة بدر الكبرى.

- **ذو القعدة**: وهو الشهر الذي يسبق الحج، والأكثر أن تسميته تقوم على فكرة القعود عن الحرب.

أيام الأسبوع، إطارها وأهميتها

إنّ الاحتفال الأسبوعيّ بيوم عبادة لله حدّد، منذ البداية، دورة الأسبوع. فبحسب التقليد اليهودي، تمّ التركيز على سفر التكوين في قصّة الخلق (تك 1: 3-32)، فتبنّاها المسيحيّون وسمّوا الأيّام الأسماء العدديّة ذاتها: أي الأحد، الاثنين، الثلاثاء، إلخ... وفي غير حضارة، حيثُ روعيت أيضًا دورة الأسبوع، أعطيت الأيّامُ أسماء بعضِ الكواكب. يقول تفسير لسفر الأحبار (في العهد القديم) منسوبٌ إلى القديس افرام السرياني، في الموضوع عينه: "اليوم السادس قبل السبت لم يُسَمَّ كما سُمِّيَت الأيّام التي قبله، لأنَّ الأيّام الخمسة التي قبله، سُمّيَت بالعدد على ترتيبها: الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس. واليوم السادس لم يُسَمَّ السادس، بل أسموه، بالعبرانيّة واليونانيّة وكلّ اللغات في كتاب الله: الاستعداد... والعرب يسمّونه يوم الجمعة، لكونهم يجتمعون فيه لصلاتهم. وليست لأيام الأسبوع لدى المسلمين قدسيةٌ خاصّةٌ باستثناء يوم الجمعة. لكنْ جاءَ في الأحاديث النبوية استحباب صوم يومي الإثنين والخميس من كلّ أسبوع لمن يبتغي الأَجْرَ من الله. ذلك أن النبي محمداً (ص) ولد يوم الإثنين وكان يصومه مع يوم الخميس. لم يأتِ ذكرٌ للأيام الأخرى في الأحاديث، إلا إذا ناسبت ذكرى لدى المسلمين أو عيداً، أو ناسبت الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر، وهي التي تسمّى الليالي البيضاء نسبةً إلى ضوء القمر فيها، وكان النبي يصومها بالإضافة إلى الإثنين والخميس.

أمّا المسيحيّون فيصومون يَومي الأربعاء والجمعة لأنّه في يوم الأربعاء، صدرَ الحكم على يسُوع المسيح، وفي يوم الجمعة احتمل يسوع آلام الصلب. ويقيمون العيد يومَي السبت والأحد، لأنّ الأوّل ذكر للخلق والثاني للقيامة. كما أنّ السبت يعكس السبت العظيم الذي كان فيه يسوع المسيح في القبر. لذا تذكر الطقوس الشرقيّة، كلَّ سبت من الأسبوع، الموتى المؤمنين. أمّا الغرب، فقد كرّس السبت لإكرام العذراء مريم، وذلك منذ القرن العاشر.

يوم الأحد لدى المسيحيين

نشأت السنة الطقسيّة حول موت السيّد المسيح وقيامته، وقد احتَفَل به المسيحيّون بناءً على أمر المسيح: "إصنعوا هذا لذكري" (لوقا 22: 19) ويوم الربّ، يوم الأحد، أي اليوم الأوّل من الأسبوع، هو يومَ مميَّز عند المسيحيّين، إذ هو نواة السنة الطقسيّة وأساسَها. يبدأ تاريخ هذا الأحد بقيامة يسوع المسيح التي، بشهادة الأناجيل الأربعة، تمّت يومَ الأحد بالذات. وأوّل احتفال بيوم الأحد تمّ في الأحد الأوّل بعد القيامة، إذ كان التلاميذ مجتمعين وتوما معهم، وهو الأحد الجديد (يوحنا 20: 26-27). ونالوا في يوم الأحد أيضاً الروحَ القدس، وواظبوا على الاجتماع فيه حسب الشهادات المتكرّرة في أعمال الرسل: "وفي أوّل الأسبوع، لمّا اجتمعنا نكسر الخبز" (أعمال 20: 7)، "في كلّ أوّل أسبوع" (أعمال 2: 16 - 21).

أمّا كتاب تعليم الرسل، فيفترض هذه الاجتماعات بقوله: "عندما تجتمعون في يوم الربّ، اكسروا الخبز واشكروا، بعد أن تكونوا اعترفتم بخطاياكم، لتكون ذبيحتكم طاهرة". والقديس اغناطيوس الانطاكي يعتبر اجتماع يوم الربّ الهويّة المسيحيّة، ويوستينوس الشهيد يصف الجماعة المعاصرة له بكونها تأتي من المدن والأرياف لتجتمع في مكان واحد، في اليوم المدعوّ يوم الشمس. ويوم الأحد، بالنسبة إلى الجماعة المسيحيّة، هو يوم الاحتفال بالأفخارستيّا (صلاة الشكر) وذكر القائم من الموت، ويوم صلاةٍ وفرح وعيد. هذا اليوم اعتُبِرَ، منذ البداية، كعيد فصح أسبوعيّ، لأنّه احتفال بقيامة يسوع المسيح. لذا اعتُبِرَ اليومَ الأوّل من الأسبوع، كما سُمّي اليوم الثامن، رغم أيّام الأسبوع السبعة، وذلك للتشديد على كونه ملء الملء (1+7=8).

فهو اليوم الثامن، لأنّه يختتم زمناً ويفتتح آخر، هو زمن الخلاص الممتدّ إلى الأبد. وهذا سيكون الأساس في توزيع الآحاد في الطقس البيزنطي والسرياني على سلسلة مثمّنة. بالإضافة إلى ذلك، اتّخذ هذا النهار، في الطقوس الشرقيّة، طابعاً مَعَادِيّاً (انتظار عودة المسيح)، فأصبح النهار الذي يتوق إليه المسيحيّون كيوم المجيء الثاني. فيه تتمّ قيامة الموتى التي نترجّاها المسيحيون في قانون الإيمان.

في القرن الرابع، أشار القديس باسيليوس الكبير إلى وجه الشبه بين يوم الأحد الذي هو يوم الخلق الأول في سفر التكوين، حين خلق الله النور في العالم، ويوم الأحد الذي فاض فيه نور القيامة على الكون، إنه يوم قيامة المسيح من بين الأموات.

يوم الجمعة لدى المسلمين

المعروف أنَّ الصلوات، وهي خمسٌ منذ الفجر وحتى العِشاء، يمكن أن يصلّيها المسلم وحدَه أو في جماعةً أو في المسجد إلاّ صلاة الجمعة (وهي ركعتان بعد الخطبة) لا تُصلَّى إلاّ في المسجد الجامع.

ويدلُّ النصُّ القرانيُّ على عدم ضرورة تعطيل اليوم كلِّه. جاء فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الجمعة، آية 9-10).

يأتي المؤمنون إلى الجامع بأحسن ملابسهم، فيستمعون إلى خطبةٍ يُلقيهاعليهم خطيبٌ يعِظُهُم فيها بمحاسن الأخلاق، وقد يتحدثُ إليهم في شؤونهم العامّة في المناسبات المهمّة. ثم يؤمُّهُمْ هو أو غيرُهُ في صلاةِ الجماعة، فيصلّون وراءه ركعتين، يقرأُ فيهما الفاتحة وآياتٍ أُخرى من القرآن الكريم، بصوتٍ عال. ثم يسلّم بعضُهم على بعض احتفالاً بأداء الفريضة الجَماعية هذه، وينصرفُ كلٌّ منهم إلى عمله أو منزله. وقد اتخذت أكثرالدول العربية والإسلامية من يومِ الجُمُعة يومَ عطلةٍ رغم عدم ضرورة ذلك، كما سبق القول.

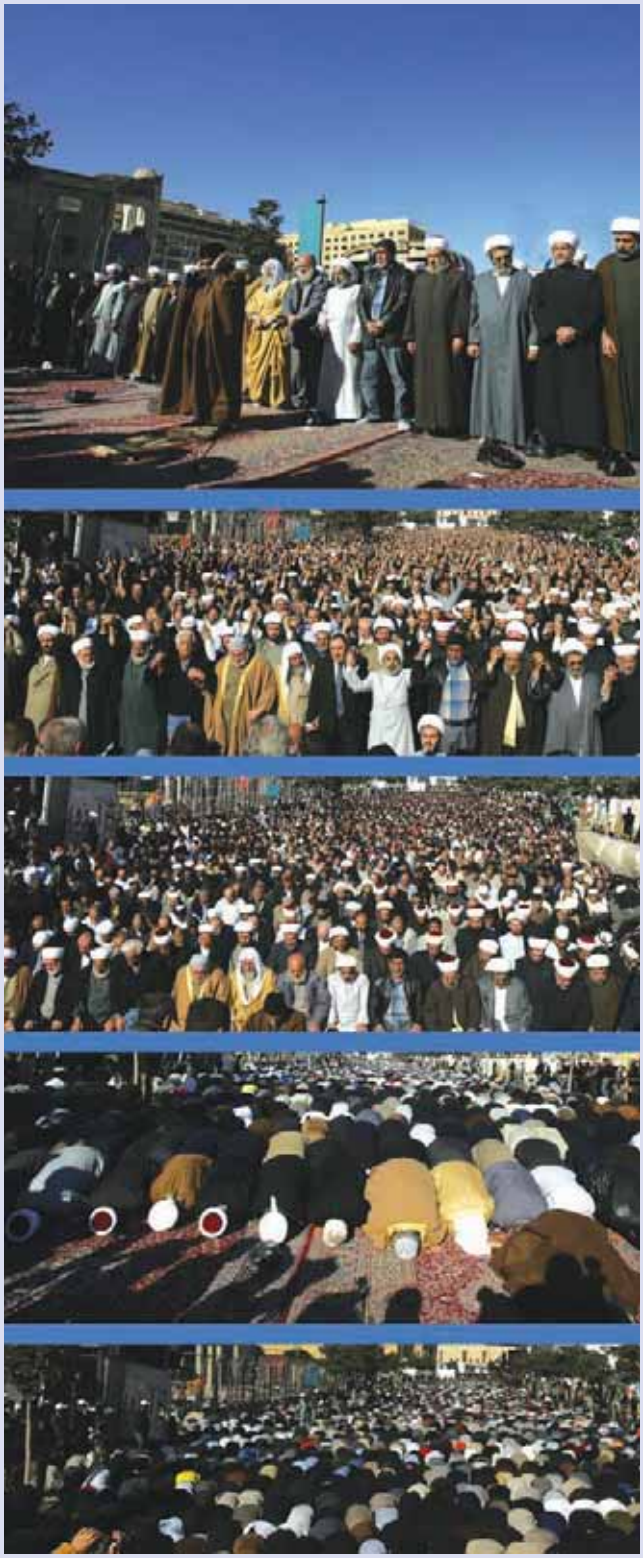

وليوم الجمعة فضائل، أبرزها تَضَمُّنُهُ صلاة الجمعة التي هي من أعظم عبادات المسلمين كما ذُكر، كما أن فيه ساعة يستجاب فيها الدعاء. قال النبي محمد (ص): "إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه". هو يوم تُكفَّر فيه السيئات كما أن الصدقة في هذا اليوم خير من الصدقة في غيره من الأيام وكذا العمل الصالح. كذلك فإن الوفاة يوم الجمعة عند المسلمين من علامات حسن الخاتمة. قال النبي محمد (ص) عن هذا اليوم: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة".

وفي المذهب التوحيدي الدرزي، يدخل الشيوخ الموحدّون الدروز، عند غروب شمس الخميس من كل أسبوع، في مثل إحرام، تبرّكاً بحلول "ليلة الجمعة"، فيحيون الليل بالذكر والصلاة واستشعار حلول يوم الدين. وتستمر "السهرة الدينية" في بعض الخلوات حتى انبلاج الفجر. ويتحلّق "العقّال"[3] نهار الجمعة حول شيوخهم الثقات، كلّ في مسجده، لإقامة الذكر حتى انقضاء ساعة صلاة الجمعة.

رسّخ هذا المسلك الثابت منذ مئات السنين أثراً بالغاً في تثبيت بعض العادات الاجتماعية لدى الموحّدين الدروز، حيث بات معظمهم يهابون تلك الليلة مستشعرين التقوى في قلوبهم، فيضيئون الشموع ويتلون الأدعية ويلوذون بالعفة والسكينة حتى انقضاء النهار.

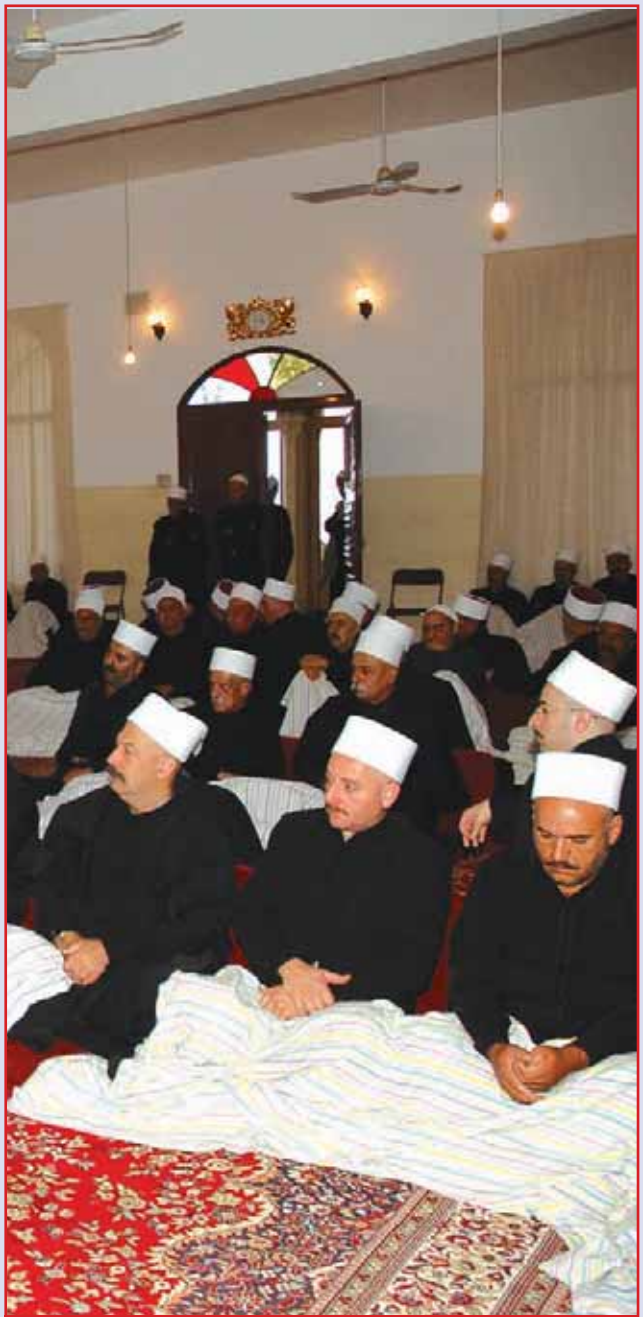

إحياء ليلة الخميس/الجمعة لدى الموحدين الدروز.

[3] راجع الصفحة 187 .

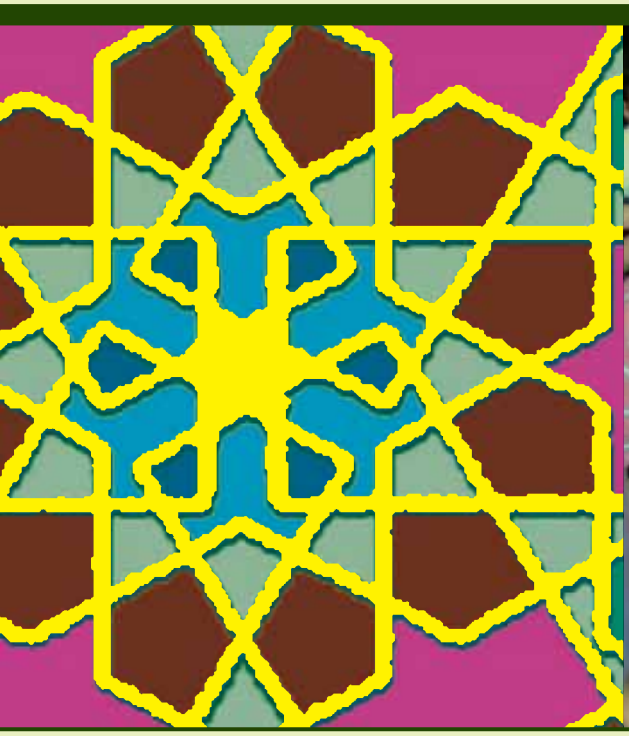

المناسبات والأعياد واحتفالاتها في المسيحية والاسلام

ترتبط الأعياد بالدين ارتباطاً مباشراً. فيها تتجلّى بشكلٍ واضح المظاهر الثقافيّة على اختلافها. تنوّعت الأعياد والمناسبات في سائر الديانات، غير أنها التقت على مفاهيم مشتركة أبرزها ما يرتبط بالفرح والمشاركة واللقاء. والعيد يوم مميَّز، يرتبط بتاريخ أو حياة شخصيّة دينيّة أساسية من هذا الدين أو ذاك. كما يمكن أن يكون ذكرى يستعيد فيها المؤمنون حدثاً معيناً يرتبط بتاريخ ومسيرة جماعة دينية معينة. تبقى بعض تواريخ الأعياد ثابتة، وتتغير تواريخ بعضها، تبعاً للتقويم الذي ترتبط به.

بالإضافة إلى الأعياد، تتوزّع مناسبات وأيامٌ أُخَر على مدار السنة، وتتنوّع بين الحزن والفرح.

الدورة الطقسية والاعياد في المسيحية

مثلما تتكوّن السنة المدنيّة من دورة الأرض حول الشمس، فينتج عن ذلك أيّامٌ وفصول وسنون، كذلك السنة الطقسيّة تتكوّن من دورة الكنيسة حول المسيح، شمسِ البِرّ، فينتج عن ذلك محطّاتٌ خلاصيّة تنطلق من أحداث ثلاث وثلاثين سنة من حياة يسوع المسيح في سنة واحدة.

هذه العمارة الضخمة التي ندعوها "السنة الطقسيّة" لم تُبنَ دفعة واحدة في زمن واحد ومكان واحد. من نواة صغيرة – حبّة خردل حقيقيّة – تطوّرت وكبرت شجرةً باسقةَ الأغصان.

جمعت الكنيسة في القيامة وحدها القيامة والصعود والعنصرة، بدليل ما نملك، حتّى يومنا هذا، من نصوص شاهدة على ذلك. ثمّ تفرّقت وتوزّعت هذه الأعياد مع الزمن على الشكل الذي نعرف.

تبدأ الدورة الطقسيّة السنويّة في الكنائس ذات التقليد البيزنطي في الاول من شهر أيلول وتدوم اثني عشر شهراً إبتداءً بفترة الميلاد مروراً بفترة الفصح فالعنصرة.

وتبدأ الدورة الطقسيّة في الكنائس السريانيّة (الشرقيّة والغربيّة) في شهر تشرين الثاني، فيما تبدأ دورة القديسين في مطلع تشرين الأوّل.

الميلاد والظهور

25 كانون الأول و6 كانون الثاني

عيد الميلاد أو الظهور عيدٌ واحدٌ أصلاً، عيَّدَته الكنيسة في الغرب نهار 25 كانون الأوّل، والكنيسة في الشرق نهار 6 كانون الثاني. كان يشمل عيد ميلاد المسيح بالجسد، وعيد ظهور الثالوث في العماد، وعيد الظهور بالآية في قانا الجليل، ناهيك عن ظهور النجم للمجوس. إنَّهُ عيدٌ يحتوي على عناصر متعدِّدة من عمل الفداء[4].

أوّل مرجع تاريخي كنسي يحدّد تاريخ عيد الميلاد في 25 كانون الأوّل يعود إلى سنة 336. والكنيسة اختارت هذا التاريخ لأنّ الوثنيّين يحتفلون فيه بعيد الشمس إلههم. وبما أنَّ المسيح شمس العدل (ملاخي 4: 2)، ونور العالم (يوحنا 8: 12) طُعّم العيد الوثني وعُمِّد فأصبح عيدَ ميلاد الرب بالجسد، وهذا ما لا يعاكس التاريخ، لأنَّ العادة كانت في تلك الأيّام، عند اليونان والرومان، أن يُحتَفل بذكرى ولادة الملوك (متى 14: 6) أو أي إنسان بارز، حتّى بعد وفاتهم، وكانوا يختارون غالباً نهاراً ذا معنى رمزي، كما حدثَ مع أفلاطون إذ عيّدوا له يوم عيد أبولّون.

وكما ركّزت كنيسة الغرب عيد الميلاد مكان العيد الوثني في 25 كانون الأول، كذلك ركّزت كنيسة الشرق عيد الظهور مكان العيد الوثني في 6 كانون الثاني. إنّما مع الزمن، تبادل الغرب والشرق العيدَين اللذين أصبحا يمثّلان مرحلَتَين لحقيقة واحدة تكمّل إحداهما الأخرى. وهذا التبادل تمَّ في القرن الرابع كما يؤكّد ذلك يوحنا فم الذهب بالنسبة إلى دخول عيد 25 كانون الأوّل كنيسة أنطاكية.

[4] راجع الصفحة 43 .

وحدها الكنيسة الشرقيّة الأرمنيّة حافَظَت على وحدة العيدَين (الميلاد والعماد) في 6 كانون الثاني. أمّا الكنائس القبطيّة والحَبَشيّة فتعيِّد لميلاد المخلّص في 7 كانون الثاني. تَرافَقَ الميلاد مع قداديس نصف الليل شرقاً وغَرباً، ومع زمن عُرِفَ باسمه. الميلاد عيد الفَرَح عند مار افرام، وهو عيد الأنوار عند السريان، فيما البيزنطيّون يعيّدون الأنوار في يوم الظهور، والغربيّون في عيد تقدمة يسوع إلى الهيكل. يتحضَّرُ الغَرب لعيد الميلاد بأربعة أسابيع، والسريان بخمسة أسابيع، أمّا الموارنة فبسبعة تُفتَتَح بعد مَدخَل السنة الطقسيّة أي في الأحد الأوّل من تشرين الثاني، وتمتدُّ إلى ما بَعد العيد بعشرة أيّام. يترافقُ العيدُ عند الشرقيّين عامّةً والبيزنطيّين خاصّةً، مع صوم وقطاعة عن اللحوم والمنتوجات الحيوانية، تتفاوت مدّتهما حسب كلّ تقليد. استَقَت التقاليدُ الشعبيّةُ عاداتِها من لاهوت العيد، فكانت الهَدايا وقرع الأجراس وإشعال النيران وصنع المغائر، كما تأثَّرَت الطُقوسُ ببعضِ التقاليدِ الموروثة، فعمَّدَ تها وأعطَ تها نَفَساً مسيحيّاً.

تقاليد وعادات شعبيّة

زرع الحبوب

"من أخصّ ما يهتمّ اللبنانيّون المسيحيون في إعداده تأهّباً للعيد، صِحاف من معدن أو فخّار أو زجاج يملأونها حبوباً، ويؤمّنون سقايتها إلى أن تنبت وتخضرّ، فيزيّنون بها منازلَهم وما قد يقيمون فيها من مذاود ميلاديّة. ويُرمَزُ باستنبات هذه الحبوب إلى ما في العيد من معاني الحياة بعد الموت، واخضرار الرّجاء بعد اليأس، والثقة ببركة المولود بفيضها غزيرة على ما يزرعون، فتظلّ عندهم فائضة موفورة"[5].

لهذا التقليد الشعبي أبعادٌ كتابيّة وَطَقسيّة. فشبّه السيّد المسيح نفسَه بحبّة الحنطة (يوحنا 12: 24)؛ والليتورجيا (الخدمة الكَنَسيّة الرسميّة) تتأمّل فيه حبّةَ القمح الذي نبت من حضن العذراء مريم (الأرض الخصبة).

[5] لحد خاطر، العادات والتقاليد اللبنانية، الجزء الأول، مطبعة الجبل، لبنان 1977، صفحة 116 - 117.

أجراس الميلاد

ليلة الميلاد تُقرَعُ الأجراس. ولرنّات أجراس الميلاد المتماوجة ليلاً على أجنحة الأثير روعة خاصّة، شديدة التأثير في النفوس، لأنّها تُحيي في القلوب مشاعِر الإيمان والتقوى، وتدعو الناس إلى الاحتفالات الدينيّة التي تُقام في الكنائس على غاية الأبّهة. وكان أوّل من نَشَر هذه العادة الأمبراطور قسطنطين، إذ بعدما شيّد كنيسة المهد في بيت لحم مع مذودِها، أمَرَ بأن تُقرَعَ أجراس تلك الكنيسة طوال ليل عيد الميلاد احتفاءً بالذكرى.

المذود أو المغارة الميلاديّة

أوّل مَن دَعا إليها البابا تلسفوروس (Télesphore) في أواسط القرن الثاني بعد الميلاد (125-135م). ولمّا قام الأمبراطور قسطنطين الكبير، شيّد كنيسة كبرى في بيت لحم حيث كان المذود (معلف الحيوانات حيثُ وُلد السيّد المسيح)، وأقام فيها مذوداً أخذَ الناس يتوافدون لتكريمه. وفي القرن السابع للمسيح، أنشأ سكّان روما العائدون من زيارة الأرض المقدّسة وبيت لحم، مذوداً شبيهاً بالمذود البيتلحمي، وعَرَضوه للتكريم في كنيسة القدّيس بطرس. وفي القرن الثاني عشر، أنشأ القدّيس فرنسيس الأسيزي الإيطالي، بعد عودته من زيارة الأراضي المقدّسة، في غابة غراكشيو من أعمال إيطاليا، مذوداً شبيهاً بالمذود البيتلحمي يمثّل أشخاصه وحيواناته مخلوقات حيّة.

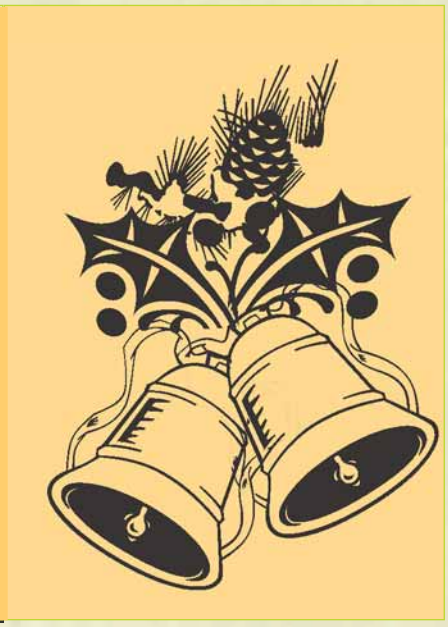

واشتهر هذا المذود في العالم، وأَخَذَ الناس من مختلف البلدان يزورونه ويصنعون على مثاله مذاود مجهّزة بالتماثيل. ومن ثمَّ انتشرت المذاود في البلدان، ولم يشعْ استعمالها في لبنان إلاّ مؤخّراً، متسرّبة إليه من الغرب عن طريق المُرسَلين الأوروبيّين والكَهَنة الذين أتمّوا دروسهم في أوروبا.

هدايا الميلاد

يُقال إنَّ عادة التهادي في الميلاد مقتَبَسة عن هدايا المجوس من الذهب والمرّ واللبان. وأكثر ما تتبادل الهدايا بين من تربطهم علاقة نسب أو صداقة أو عمل، وتكون من كلّ منهم على قدر طاقته الماليّة أو مركزه الاجتماعي. ومن أقدم الهدايا على سبيل البَرَكة، الحَلوى الخاصّة بالعيد. يتبادَل الناس إهداءَها، ومنهم من كان يواصل القلاية "من المولود للمعمود"، أي من عيد الميلاد إلى عيد الغطاس، ربّما إيماناً منهم بوحدة العيدَين.

في المذود وُلِدَ يسوع، له أهدى المجوس قرابينهم، وله نقدِّم القرابين الروحيّة ومن خلال القريب نقدِّم له العطايا الماديّة. في عيد الميلاد، تكثر المبادرات والأعمال الخيّرة وهي صدى لِما تردّده الكنيسة في صلاتها: اختلط علينا وجهُكَ يا ربّ ووجهُ التائه والمظلوم والجائع والشريد والعاري والمريض.

بيرمون العيد

ما يبغيه المسيحيون من الميلاد أيضاً هو الاستعداد الروحي له. عمِلَت الكنيسة في السابق على وضع شريعة تقضي بالصوم والقطاعة استعداداً لهذا العيد. ومع مرور الزمن، رأت الكنيسة اختصار هذا الزمن بيوم يُدعى "بيرمون العيد"، ولكن بالرّغم من تدبير الكنيسة، نجد بعض المسيحيّين يمارسون الصوم الاختياري بالاقتصار على تناول الخبز والطعام المسلوق والخالي من الزيت والسمن... كما أنَّ بعضهم يصوم الأيّام الثلاثة السابقة للعيد بدون أن يأكل شيئاً.

شجرة العيد

للشجرة دور رمزيّ بالغ الأهميّة في المسيحيّة، بدءاً من شجرة الحياة في الفردوس. دخلت الشجرة والزينة إلى الممارسات الشعبيّة التي ترافق عيد الميلاد في مطلع القرن الحادي عشر، يُرمز بالشجرة عند مدخل الكنيسة في عيد الميلاد، إلى الرباط بين خلق البشرية من آدم وحواء وبين ميلاد يسوع، آدم الجديد، وإعادة ولادة البشرية. ثم ظهرت شجرة الميلاد بشكل خاص في بلاد الألزاس، في القرن السادس عشر، مضاءة بالشموع وتحمل نجمة في قمتها. وفي القرن التاسع عشر، عمّت شجرة الميلاد شمالي أوروبا وجنوبها. وبعد الحرب العالميّة الأولى، انتشرت شجرة الميلاد في العالم كلّه مشعّةً بالأنوار وبأنواع الزينة دائمة التجدّد.

حلوى حطبة الميلاد

كانت أنوار الفرح تتألق في الموقدة بمناسبة مقلب الشتاء. وبعد أن تحدّد تاريخ 25 كانون الأول يوماً للاحتفال بعيد الميلاد، درجت العادة بأن يشترك، في ليلة الميلاد، الأكبر سناً والأصغر سناً في العائلة بوضع حطبة من شجرة مثمرة أو سنديانة في المدفأة المشتعلة، وكان هذا السلوك يتم أحياناً على مدى اثنتي عشرة ليلة، من الميلاد إلى الغطاس، من المولود إلى المعمود، تعبيراً عن التمني بأن يبقى نور الميلاد ودفؤه متألقاً في المنزل وفي القلوب.

تحولت الحطبة حالياً إلى قطعة حلوى تسمى "حطبة الميلاد" (Bûche de Noël) يتشارك في أكلها أبناء العائلة متمنين كل واحدٍ للآخرين العيش بهناء مع أمل اللقاء السعيد في ميلاد جديدٍ السنة المقبلة. وصارت حطبة الميلاد أيضاً بأشكالها المتنوّعة، هدية الحلوى التي يقدّمها الأهل والأقارب والأصحاب بمناسبة العيد ويرفقونها بعبارة مكتوبة عليها بالكريما "ميلاد مجيد وعام سعيد".

بابا نويل

انتشرت في المسيحيّة منذ القرن الرابع، قصّة القديس نيقولاوس الذي أنقذ الأطفال الأبرياء من جشع جزَّار شرير. وكانوا يحتفلون بعيد هذا القديس المحبّ للأطفال في 6 كانون الأول، وترافقه مع سيرته حكاية أسطوريّة تروي أنه كان يوم عيده ينتقل من سطح منزل إلى آخر ليودع الهدايا والحلويات في الأحذية الموضوعة قرب الموقدة.

أسهمت هذه العوامل في نشأة تقليد تبادل الهدايا، تعبيراً عن العواطف الصادقة. وأوحت أسطورة توزيع الهدايا في سيرة القديس نيقولاوس بتصوّر شخص "سانتا كلاوس" في أوروبا. لا شكّ أنّ سوق الاستهلاك التي أخذت تسيطر على فكر المجتمعات ساهمت في جعل "بابا نويل" ظاهرة مدنية في كل العالم، بشكل عجوز ذي لحية بيضاء يفاجئ الأطفال ليلة عيد الميلاد بشتى أنواع الهدايا. وينتظر أطفال الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية زيارة "بابا نويل" ليلة رأس السنة لينالوا هداياهم.

الظهور الإلهي (الغطاس أو الدنح)

الظهور أو الدنح بالسريانيّة يُعبّر عن المعنى الحقيقيّ لعيد الغطاس، عيد اعتماد يسوع المسيح في نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان، وبانفتاح السماء فوقه، وبنزول الروحِ عليه، وبصوت الآب يصرخُ من العلاء: "هذا هو ابني الحبيب الذي به ارتضيت" (متى 3: 16 - 17).

عيد الظهور مع القيامة والعنصرة، أحد أهمّ أعياد وركائز السنة الطقسيّة في معظم التقاليد الشرقيّة. يشكّل عيد الظهور نُقطة انطلاق ثابتة. والاحتفال بهذا العيد يتضمّن، بالإضافة إلى القداس والفروض، رُتبة "تبريك الماء ليلاً".

وعلى مثال يسوع، الذي اعتمدَ في الأردن ثمّ ذهبَ إلى الصحراء ليصومَ أربعين يومًا، تُعمّد الكنيسة أبناءَها الروحيّين، يوم الغطاس، بعدَ أن تكون باركَت مياهَ الينابيعِ والأنهار. ثمَّ تبدأ معهم صومًا يستمرّ أربعين يومًا. ويرتبط تحديد موعد بدء الصوم بالتقويم القَمَري كما سبق وذكرنا، وهو متحرِّك غير ثابت.

في ليلة الغطاس تكثر ممارسات المسيحيين وتتنوع بدافع معتقدات شعبيّة تناقلتها التقاليد، في طليعتها يأتي الاعتقاد الشعبي بعبور يسوع المسيح في جميع المنازل عند منتصف الليل حيث يبارك السكّان المقيمين فيها مردّداً "دائم دائم".

لذلك يسهر الناس منتظرين عبور السيّد المسيح ليحصلوا على بركته، فيضيئون الشموع، ويشعلون النار في الموقد ويصنعون أصناف الحلوى الخاصة بالعيد. من بين هذه الحلويات، الحلوى المقلية والمغطّسة بالقطر كرمز لعماد يسوع حين غطس في مياه النهر، والزلابية والمعكرون وترمزان إلى إصبع يوحنا المعمدان الذي أشار إلى المسيح عندما رآه وقال: "هذا هو حمل الله الرافع خطايا العالم". وفي بعض المنازل تكشف ربة البيت عن أواني المؤونة في المنزل، وتحرّك محتوياتها من حبوب أو سوائل وتردّد "دائم دائم" متوسّلة بفعلها هذا حلول بركة يسوع المسيح عليها. ويقضي تقليد موروث بأن يطلق على ليلة الغطاس تسمية "ليلة القدر" لإعتقاد الناس بأن أبواب السماء التي انفتحت يوم معموديّة يسوع، تكون مفتوحة في تلك الليلة، فتنزل الملائكة إلى الأرض لتنقل مباشرة إلى الخالق أدعية البشر وأمنياتهم.

الخميرة الجديدة

كانت ربّات البيوت، تعجنَّ وتخبزن الخبز في منازلهّن، فكُنَّ يبدّلن في ليلة الغطاس الخميرة القديمة بخميرة جديدة. وكانت العادة تقضي بأن يخلطن دقيقاً بالماء ويجعلنه قرصاً يرسمن عليه علامة الصليب ويضعنه في كيس من شاش أبيض ويعلقنه على الشجرة ويتركنه حتى الصباح حيث يختمر دون إضافة أية خميرة. وكان البعض يضيف إلى العجينة نقوداً فضية، يتقاسمونها في الصباح بعد تباركها في الخميرة الجديدة ويضعونها في محفظتهم تيمّناً بالرزق والبحبوحة. كان الشرط الوحيد ألاّ تكون الشجرة شجرة تينٍ، إذ هناك اعتقاد سائد بأن المسيح يعبر في الليل فتسجد له جميع الأشجار، باستثناء شجرة التين التي لعنها المسيح.

تبريك الماء

في العيد يذهب المسيحيّون إلى الكنيسة للاحتفال بالقداس والمشاركة بصلاة تقديس الماء. فيحمل كثيرون قارورة مملوءة ماءً يضعونها قرب وعاء يحتوي على ماءٍ للشرب في وسط الكنيسة، فيباركها المحتفل ثم يقوم برشّ الكنيسة ومن فيها بالماء المقدس إشارة إلى أنّ هذا المكان والمصلين فيه مكرّسون للرب، ثم يوزّع جرعة من الماء المبارك الموضوع في الوعاء على كل من يشاء من الحاضرين في الكنيسة. بعد القداس يأخذ كل واحد قارورته إلى البيت ليوزّع بركة الماء المقدّسة على من لم يتمكن من الاشتراك في الصلاة. كما يقوم الكاهن بعدها بزيارة منازل رعيّته ويرشّها بالماء المقدّس. أما العائلات التي رزقت بمولود فتسعى إلى تأمين عماده في هذا اليوم تيمّناً بمعموديّة يسوع. لذلك تقرع أجراس الكنيسة على مدى النهار معلنة الاحتفال بعماد تلو الآخر. وفي الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية يزور الكهنة منازل رعيتهم ابتداءاً من ليلة العيد ولمدة أربعين يوماً لينقلوا بشارة ولادة المسيح، ويقومون بالتقليد نفسه ابتداءً من ليلة سبت النور الذي يسبق الفصح، حيث يحملون بشارة قيامة المسيح. فيباركون منازل رعيتهم وكذلك الخبز والملح والماء كرموز للحياة. وبعد القداس الاحتفالي وعماد السيد المسيح يوم عيد الميلاد في 6 كانون الثاني توزع المياه المباركة بالميرون المقدس على المؤمنين.

سجود المجوس

عيد الظهور في الغرب، هو ظهور النجم للمجوس الملوك القادمين من الشرق إلى بيت لحم كي يسجدوا للطفل يسوع. لذلك درجت العادة، في وليمة العيد، بتنصيب ملك من بين الحاضرين في المنزل، بواسطة حبة فول يدسّونها في عجينة كعكة من الحلوى مستديرة. تُقَسَّم الكعكة قطعاً متساوية على جميع الأفراد، ويُعلن من تظهر حبة الفول في حصته ملكاً.

مباركة الثمار

يعمد المزارعون في بعض القرى إلى وضع عيّنات من منتوجاتهم الزراعية أمام المغارة في كنيسة البلدة ثم يأخذونها بعد عيد الظهور ويوزعونها على بعض ليأكلونها. يعتقد البعض أن المسيح بمروره عشيّة العيد، يبارك الثمار والمحاصيل الزراعية فتعطي مواسم جديدة خيّرة.

الصـوم

أهميّة الصوم

يصوم الإنسان ليعطي لصلواته وزناً أوفر، ليكفّر عن خطاياه، ليوفّر من ماله وعيشه ما يعطي الفقراء، أو للاستعداد والتهيئة للعيد.

ويذكر آباء الكنيسة[6] أنّ بعض المسيحيّين كانوا يصومون يومين أو ثلاثة بلا انقطاع، والبعض الآخر يصوم أسبوعين عدا السبت والأحد. وفي أواخر القرن الرابع كان المؤمنون يصومون ثلاثة أسابيع.

هذا التطور "العددي" بدأ رويداً رويداً منطلقاً من النواة الأقدم: الثلاثيّة الإعداديّة[7] لعيد الفصح المجيد إلى أسبوع الآلام إلى عدد الأربعين يوماً. وهذا العدد امتداد لتقليد الكتاب المقدّس: فموسى وإيليا... والسيّد المسيح صاموا أربعين يوماً.

كان هذا الزمن المقدّس زمن تهيئة للموعوظين، والزمن الأنسب للتوبة العامة؛ وهو أيضاً، وبالأخصّ زمن تهيئة لعيد القيامة المجيدة، يضع المؤمنين أمام مواعيد معموديّتهم إذ يعيد إلى أذهانهم واقع حالهم الخاطئ ليعيشوا مع الكنيسة المجاهدة حياة صراع ضدّ الشيطان، وهذا الصراع لن ينتهي إلاّ بالمجيء الثاني للمسيح. زمن الصوم، في أغلب الأحيان، يذكّر المؤمنين بشريعة الانقطاع عن الطعام والشراب. والغاية منه أن يصوموا روحيّاً متجرّدين عن كلّ ما هو من العالم وللعالم، ليعيشوا بالقلب والروح عيشاً يعدّهم لعيد القيامة المجيدة.

هو زمن ينظرون فيه ويصغون إلى المسيح متشبّهين به: فكما صام يصومون، ويُصلّون كما صلّى، وكما علّمهم أن يصلّوا. وهو أيضاً زمن قبول قوّة المسيح التي قاوم بها تجربة الشيطان واحتمل بها الصلب والموت والتي قام بها منتصراً.

وبذلك يكون زمن الصوم المقدّس، زمن اقتداء أكمل بالفادي[8]، واشتراك في عمل الخلاص، وزمن محبّة أوفر للقريب وللذات ولله.

يجد الصائم قوة وصموداً في الشدائد بمثابرته على الاشتراك في الصلوات الكثيرة والمنوّعة الخاصّة بهذه الفترة، بالاضافة إلى التعمق في أمور الدين، بالرياضات الروحية[9] التي تقام في مختلف الكنائس والمؤسّسات لتوضّح ما يبدو عسيراً في قضايا الإيمان وترشد إلى ما يكون غيَّبه النسيان من الممارسات الدينيّة الواجبة. وتوصي الكنيسة المؤمنين بالامتناع عن إقامة الأعراس في الصوم الأربعيني.

اتّبع الرسل مثال معلمهم وصاموا هم أيضاً. كان صومهم إطاراً روحيّاً يتلمّسون فيه حضور الروح القدس وسط الجماعة المؤمنة، وكان أيضاً يسبق أحداثاً تتعلّق بالبشارة الجديدة (أعمال الرسل 2: 3 - 13). وأوصى القدّيس بولس الكنائس بالصوم (1 كورنتس 7:5)، وكان هو يصوم كثيراً (2 كورنتس 27:11). إضافةً إلى الصوم الأربعيني المُسَمّى الصوم الكبير، يصوم المسيحيّون أصواماً أخرى مرتبطة بالأعياد الكبيرة: الميلاد، الرسل، السيّدة...

---

[6] آباء الكنيسة: كُتّاب مسيحيّون قُدَماء امتازوا بجودة تعليمهم وقداسة حياتهم وموافقة الكنيسة.

[7] الثلاثيّة الإعداديّة: الأيّام الثلاثة التي يُقام فيها تذكار آلام المسيح، أي الخميس والجمعة والسبت التي تسبق أحد الفصح.

[8] الفادي: إسم يُطلَق على المسيح، فإنّه، بسرّ موته وقيامته، يفدي الإنسان ويحرّره من الخطيئة ويهبه له الحياة في الله.

[9] الرياضة الروحيّة: فترة ينسحب المؤمن خلالها للتفكير والتأمّل والصلاة.

المرفع

تدلّ لفظة مرفع على فترة الاستعداد لرفع أو إقصاء المأكولات والممارسات المحَرَّمة في زمن الصوم الأربعيني. فيقيم المسيحيّون الولائم في الأيام التي تسبق الصوم. كما تحيي بعض البلدان الكرنفالات كالبندقية في ايطاليا، ونيس في فرنسا، وريو دي جانيرو في البرازيل. تكثر، في اليوم الأخير من هذا الأسبوع، عقود الزواج والولائم العائلية، حين يجتمع جميع أفراد الأسرة في ليلة قطع الزفر، وإخراج كل ما في المنزل من لحم وبيض وألبان. يقع المرفع في الكنائس الكاثوليكية على مدى الأسبوع السابق للصوم الكبير، أما الكنيسة الأرثوذكسيّة فتمتاز بإقامة مرفعين. المرفع الأول، وهو مرفع اللحم، ويقع قبل الصوم بأحدين، يمتنع المؤمنون بعده عن أكل جميع أنواع اللحوم. أما المرفع الثاني فهو مرفع الجبن ويقع قبل الصوم مباشرة، به يكتمل الصوم إذ يصار إلى الامتناع عن أكل جميع الحيوانات ومشتقاتها (لحم، حليب، جبن، بيض). وتعتبر الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية الصوم الكبير أهم صوم بالرغم من وجود مناسبات عديدة للصوم، ويمتنع خلاله المؤمنون عن تناول سائر المشتقات الحيوانية.

بداية الصوم

عشية أحد الغفران في الكنائس البيزنطيّة، واثنين الرّماد في الكنيسة المارونيّة، وأربعاء الرماد في الكنيسة اللاتينيّة.

عشية أحد الغفران: أحد الغفران هو الأحد الذي يسبق الصوم الكبير المقدّس. ويدعى أحد الغفران لأنّه يركّز بمعانيه الروحيّة على أهمّيّة غفران المسيحيّين زلات بعضهم بعضاً. يسميه كتاب صلوات الصوم (كتاب التريودي) "أحد نفي آدم من الفردوس" بسبب الخطيئة. كما يشدد المقطع الإنجيلي الخاص بهذا اليوم على موضوع الغفران "قال الرب إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي أيضاً، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم فأبوكم أيضاً لا يغفر لكم زلاتكم" (متى 6: 14 - 15). لهذا السبب، وفي نهاية صلاة الغروب التي تقام مساء هذا الأحد، يقوم المؤمنون بالاقتراب من الكاهن والسجود للصليب وتقبيله وطلب الغفران من الله ثم يقومون بتقبيل بعضهم البعض وبطلب الغفران من بعضهم البعض قائلين "اغفر لي يا أخي" ويكون الجواب "الله يغفر لك أيها الأخ الحبيب". وهكذا ينطلقون في اليوم التالي برحلة التوبة من خلال الصوم الكبير.

الرماد: تسمية بدء الصوم باثنين الرماد مأخوذة عن الطقس اللاتيني الذي يبدأ الصوم يوم الأربعاء برتبة تبريك الرماد ويسمّى هذا اليوم بأربعاء الرماد. يقع إثنين الرماد قبل سبعة أسابيع من عيد الفصح.

عادة ذرّ الرماد على الرأس قديمة، مدلولها الأسف والنوح على ما ارتكبه المخلوق من المعاصي في حقّ

في يوم اثنين الرماد، يرسم الكاهن على جباه الموارنة صليبا من الرماد قائلا لهم : "اذكر يا إنسان أنك من التراب وإلى التراب تعود" . ويمكن أن يساعد الكاهن أشخاص آخرون.

الخالق. وخصّت الكنيسة الرماد بهذه الرتبة لِما وجدت فيه من الرمز الواضح إلى أصل الإنسان وآخرته، إذ كوّنه الخالق من التراب ويكون مصيره بعد موته إلى قليل من العفر والرماد. فأيّوب يقول: "أتوب بالتراب والرماد". وكان أنبياء إسرائيل[10] إذا حملوا الشعب على التوبة حرّضوهم عليها وذرّوا الرماد على رؤوسهم. ومشى التائبون على خطتهم في المسيحيّة منذ بدئها وتعمّمت في الكنائس الغربيّة باستعمالها بصفة طقسيّة في أوّل يوم من الصوم في القرن الثاني عشر. أمّا في ما اختصّ بالطقوس الشرقيّة، فانفردت باستعمالها الكنيسة المارونيّة طقسيّاً بأوّل الصوم.

في العهد القديم كانت تغطية الجسم بالرماد علامة للتوبة والحزن، والاستشهادات الكتابيّة غزيرة في هذا المجال، على سبيل المثال نذكر: يشوع 7: 2 و6، صموئيل 13: 19، حزقيال 27: 30، أيّوب 2: 12 و42: 7، يونان 3: 6 وأخيراً أستير 4: 3. والمسيحيّون في الأجيال الأولى، كانوا يعتمدون طقوس رش الرماد على أجسادهم بطريقة فرديّة وخاصة. فأصبح هذا الإستعمال يعبّر جماعيًّا عن توبة الخطأة. منذ استعمال الرتبة، كان وضع الرماد على الرأس يُرافقه إعلان هذه الآية من سفر تكوين (تكوين 3: 19): "أذكر يا إنسان أنّك تراب"، أو: "توبوا وآمنوا بالإنجيل". درجت عادة جمع الرماد في كنائس كثيرة، من حريق الأغصان المباركة والمحفوظة في الكنيسة من زيّاح الشعانين في السنة السابقة.

[10] إسرائيل: وتُسمى أيضاً مملكة الشمال. كانت في صراعٍ دائم مع مملكة يهوذا في الجنوب حتّى تدميرها سنة 721 ق.م.

آحاد الصوم

يتكوّن زمن الصوم في الكنيسة المارونيّة من آحاد وأسابيع. أمّا الآحاد فهي: أحد مدخل الصوم (عرس قانا الجليل)، أحد شفاء الأبرص، أحد شفاء النازفة، أحد مَثَل الابن الشاطر، أحد شفاء المخلّع، أحد شفاء الأعمى. وينتهي زمن الصوم رسميًّا يوم الجمعة قبل سبت لعازر وأحد الشعانين، فتتلو الكنيسة على أبنائها إنجيل التجارب (متى 4:1-11). أمّا الأسابيع فهي مكوّنة من الأسبوع الأوّل المسمّى أسبوع الصوم ويُعاد في الأسبوع الثاني والثالث، والأسبوع الرابع المسمّى أسبوع العجائب ويُعاد في الأسبوع الخامس ومن الأسبوع السادس المسمّى أسبوع الشعانين، ولا يُعاد أبداً. في الكنائس الأرثوذكسيّة الخلقيدونية أحدان يمتازان بممارستين فريدتين: "أحد الأرثوذكسيّة" والأحد الثالث "أحد الصليب".

أحد الأرثوذكسيّة: تمتاز الكنائس الأرثوذكسيّة بإكرامها الأيقونات المقدسة التي يعلّقها المؤمنون في الكنائس والبيوت لمساعدتهم على ذكر الله الدائم والصلاة والعيش بتقوى الله. لكن الكنيسة البيزنطية عرفت في القرنين السابع والثامن حرباً استمرت 120 سنة شنها الامبراطور على الأيقونات المقدسة محاولاً إزالتها من الكنائس والأديار والبيوت. انتهت هذه الحرب سنة 843 عندما قامت الامبراطورة ثيوذورا بتثبيت قرارات المجمع المسكوني السابع (سنة 787) والذي أقرّ أنّ إيمان الكنيسة كان دائماً بوجوب إكرام الأيقونات والصليب المقدّس وتعليقهم في الكنائس والبيوت. فقام المؤمنون في القسطنطينيّة بحمل الأيقونات والتطواف بها وصدف ذلك الأحد الأول من الصوم الكبير فصار يسمى "أحد الأرثوذكسيّة" أي أحد انتصار استقامة الرأي. ومنذ ذلك الأحد يقوم المؤمنون بإحضار الايقونات من بيوتهم إلى الكنيسة وخلال القداس الإلهي يحملونها ويرفعونها على أيديهم ويطوفون بها داخل الكنيسة.

أحد الصليب: في هذا الأحد يقوم المؤمنون بالسجود للصليب لأنّهم منه يستمدون القوة والرجاء من أجل متابعة جهاد الصوم. وخلال صلاة السحر يخرج الكاهن بالصليب موضوعاً على صينية ومزيّناً بالزهور ومحاطًا بالشموع الثلاثة، تتقدمه شموع مضاءة ومباخر ويطوف إلى وسط الكنيسة، ويضع الصليب على طاولة ويبقى هناك الاسبوع كله. ثم يتقدّم المؤمنون ويسجدون للصليب ويقبلونه ويأخذون منه وردة علامة لانتصار المسيح على الموت ويحملونها معهم إلى بيوتهم. يحافظ بعضهم على هذه الورود سنة بعد سنة ويضعونها في الكتاب المقدّس أو في كتب الصلوات والكتب الروحيّة.

الشعانين

لفظة شعانين مأخوذة من الهتاف "هوشعنا" الذي استُقبِلَ به يسوع عند دخوله إلى أورشليم. أحد الشعانين الذي يسبق أسبوع الآلام، هو ذكرى حدثٍ هام، كان ذروةً في حياة يسوع العلنيّة: دخوله إلى أورشليم، المدينة المقدّسة، راكباً على ابن اتان، دخول الملوك الظافرين. يظهر يسوع في هذا الحدث مَلِكاً وديعاً داخلاً عاصمة مُلكِهِ أورشليم بحَشدٍ شعبيّ مَهيب، والشعب والتلاميذ والأطفال يهتفون له بهوشعنا، "يا مخلّص، خلّص!"، يلوّحون بأغصان النّخل والزيتون، فإذا الشعانين تسبيقٌ لأحد القيامة من بين الأموات والنّصر الملكي الأخير!

لكنَّ هذا الحدث، وما تبعه من تطهير للعبادة في هيكل الله بطرد الباعة والصيارفة وغيرهم، كان السبب المباشر للحكم على يسوع بالموت من قِبَل رؤساء الكهنة والمحفل. لذلك نرى مجدَ الهوشعنا يُخيِّم عليه ظلُّ الصليب والموت، فإذا الشعانين أيضاً تسبيقٌ ليوم الجمعة العظيمة والموت على الصليب.

الاحتفال بذلك الحَدَث الفريد عاشته كنيسة اورشليم، بادئ ذي بدء، ثمّ انتقل من أورشليم ليعمّ مختلفَ الكنائس، الشرقيّةِ والغربيّة، حافَظَت عليه كلٌّ واحدة على طريقتها الخاصّة.

نكتفي بذكر نصٍّ كُتِبَ نحو سنة 400 للرحالة الإسبانيّة الراهبة إيجارياً في كتابها الذائع الصيت: "يوميّات رحلة"، حيث تصف بدقّة بالغة احتفالاتِ كنيسة القيامة في اورشليم، بما في ذلك زيّاح الشعانين:

"في الساعة السابعة يصعد الجميع مع الأسقف إلى كنيسة جبل الزيتون، فيُنشِدون أناشيد ولازمات مخصّصة لليوم والمكان ويقرأون قراءات خاصّة. وعند اقتراب الساعة التاسعة يذهبون مرتّلين الأناشيد إلى حيث صعد الربُّ إلى السماء، وهناك يجلسون. ويُدعى الجمعُ بأسره إلى الجلوس في حضرة الأسقف، إلاّ الشمامسة يبقون واقفين. يُرَتِّلون أناشيد ولازمات، يتخلّلها قراءات وصلوات كلّها مخصّصة للمكان والنهار.

وعند الحادية عشرة، يُتلى من الإنجيل المقطعُ حيث أسرع الأولاد، ومعهم الأغصان وسعف النّخل، لملاقاة السيّد، صارخين: "مبارك الآتي باسم الربّ!".

فينهض الأسقف وجميع الشعب، وينحدرون من جبل الزيتون سَيراً على الأقدام، والشعبُ يقدُمُ الأسقف، مرتّلين الأناشيد ومردّدين اللازمات: "مباركٌ الآتي باسم الربّ!". جميعُ أولاد البلد الصغار، حتّى الذين منهم لا يَقوَونَ على المشي لِطَراوة سِنِّهم، يحملهم أهلهم على الأكتاف؛ جميع هؤلاء الأولاد يحملون أغصان النخل والزيتون؛ وبهذا المظهر، يواكبون الأسقف على النمط الذي صُنِعَ للربّ يومئذٍ".

ما زال الاحتفال برتبة تبريك أغصان الشعانين وزيّاح الشعانين حيّاً وشعبيّاً. يكون هذا الاحتفال في نهاية أسابيع الصوم الستّة، في هذا اليوم. يلبس الأهل أولادهم، صباح العيد، الثياب الجديدة اللائقة، ويختارون لهم الشموع

الجميلة المختلفة الأحجام والألوان، ويزيّنونها بالأغصان والزهور والشرائط الحريريّة الملونة.

ويحمل المشاركون في القداس الشموع ويطوفون معاً في الكنيسة وخارجها أحياناً كثيرة، مرنّمين وهاتفين "هوشعنا في الأعالي"، بينما تقرع الأجراس في قبة الكنيسة. أما الأغصان فيباركها الكاهن، ثم يطاف بها أثناء الزياح. عند نهاية التطواف توزع أغصان الزيتون على الحاضرين بمثابة بركة العيد، فيأخذها كل واحد باحترام إلى منزله، ويحتفظ بها بأمانة توسلاً لبركة الله، ويضعها بعض المؤمنين فوق عتبات البيوت. ويرى فيها آخرون رجاءً بقيامة موعودة.

الأسبوع العظيم (أسبوع الآلام)

ويُفتتح يوم أحد الشعانين مساءً برتبة الوصول إلى الميناء عند الموارنة، يقابلها رتبة النور (النهيري) عند الكلدان ورتبة العذارى العشر عند السريان وصلاة الختن عند البيزنطيّين. ترتدي الكنيسة حلّة الحزن والحداد وتنزع منها كلّ زينة.

جميع احتفالات هذا الأسبوع العظيم وطقوسه، تجسيد للمراحل الهامّة من تاريخ الخلاص، كما ذكرتها الأناجيل المقدّسة وكما عاشها المسيحيّون الأولون وحفظتها الكنيسة في تقاليدها الحيّة. ويسعى المؤمنون إلى تتبّع المراحل الأخيرة من حياة الفادي، بمشاركتهم مشاركة تامّة في جميع حالات يسوع الفادي الإنسانيّة والروحيّة.

في الأيّام الأولى من هذا الأسبوع، تضع الكنيسة أبناءَها بالقرب من الأشخاص الذين كانت حياتهم رمزًا لحياة الفادي: يوسف بن يعقوب الذي باعه إخوته، اسحق الذي أراد ابراهيم أن يقدّمه ذبيحة، أيّوب...الخ وتُسمعهم نبوءات الأنبياء الملحّة ومراثيهم الحافلة بالتعنيف حتى يساعدهم كلُّ هذا على التفكير الأعمق والأوضح، ويحملهم على الاقتداء الأكمل بحياة الفادي الإلهي.

يوم الأربعاء، يسمّى أربعاء أيّوب، تصير فيه رتبة القنديل التي يبارك خلالها الزيت وتمسح به جباه المؤمنين علامة التوبة والتعزية والقوّة.

الخميس المقدس/خميس الأسرار

هو يوم عيد، تتّشح فيه الكنيسة بألوان العيد وتزيَّن بالزهور والشموع. في هذا اليوم العظيم يكثر عدد الرتب، فيحتفل برتبة تكريس الزيوت المقدّسة والميرون[11]، ويُحتَفَل برتبة الغسل وبالقداس. أمّا في ما يختصّ بالغسل، فيتفرّد يوحنا بين الإنجيليّين الأربعة بذكره غَسلَ يسوع أقدام التلاميذ الاثني عشر في عليّة صهيون، ليلة آلامه، أثناء عشائه الفصحي الأخير.

بعد القداس مساءً، يُصمَد القربان على مذبح جانبي ويُعَرّى المذبح الرئيسي. ويزور المؤمنون القربان المعروض في الكنائس، مشاركةً في نزاع المسيح في بستان الزيتون، ويُصمَد القربان حتّى الصباح في بعض الكنائس حيث يُحتَفَل برتبة الأقداس السابق تقديسه.

[11] الزيوت المقدّسة هي زيوت العماد ومسحة المرضى. زيت الميرون هو زيت الزيتون المزوج بالعطور ويستعمل في سرّي التثبيت والكهنوت.

رتبة الغسل لها تقليدان

الأوّل – وربّما الأقدم – كان سارياً في الأديار الجامعة والكنائس العامرة، يقضي بغسل المحتفل أقدام الشعب الحاضر بكامله، من الأصغر إلى الأكبر، مع مسحٍ بالزيت.

التقليد الآخر – الأحدث نسبيّاً – هو المعمول به اليوم، فيكتفي بغسل المحتفل أقدام اثني عشر شخصًا يمثّلون التلاميذ الاثني عشر.

كانت عادة غسل الأرجل شائعة بين اليهود، في زمن يسوع. فالأقدام كانت تتسخ من غبار الطريق وترابها، وكان العبيد والخدم يقومون عادةً بمثل هذا العمل.

كان هناك أجران ممتلئة بالماء توضع عند باب المنزل يقف عندها الخادم ليغسل أقدام الضيوف قبل دخولهم إلى المنزل. قام يسوع بهذا العمل مع تلاميذه، ثم فسّر لهم معنى ما فعله، درساً في المحبة والتواضع وقال لهم: "الكبير فيكم فليكن كالأصغر، والمتقدِّم كالخادم" (يوحنا 13:16).

مع بداية العشاء، بارك يسوع الخبز والخمر بحضور رسله، وأعطى لهذين الغذاءَين الخبز والخمر معنى جديداً قدسيّاً آخر، قال: "...خذوا فكلوا هذا هو جسدي... إشربوا من هذا كلكم، هذا هو دمي، المهراق عنكم عربوناً للعهد الجديد" (متى 26: 26 - 28) "من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا 6:54). كان ذلك أول تقديس افخارستي[12] في التاريخ المسيحي. منذ ذلك التاريخ، في كل خميس مقدّس كما في كل قدّاس، يتلو الكاهن كلام التقديس على الخبز والخمر، متذكّراً ما فعله يسوع.

[12] أول فعل شكر.

بعد العشاء ذهب يسوع كعادته مع رسله إلى بستان جتسماني، في جبل الزيتون، ليقضي الليل وهو يصلّي. وبينما كان منحنياً في صلاة عميقة، جاءه يهوذا الاسخريوطي، وهو واحد من الرسل الذين شاركوه العشاء في العلّيّة، على رأس فريق من جنود رئيس الكهنة، وأسرع نحو يسوع وعانقه وقبّله، فقال له يسوع "يا يهوذا، أبقبلةٍ تُسَلِّم ابن البشر؟" (لوقا 22:48). فألقى الجنود القبض عليه وقادوه إلى رئيس الكهنة. وتوالت الأحداث والأحكام على يسوع بالعذاب والصلب. وأنكره الرسول بطرس ثلاث مرات قبل صياح الديك، ثم تاب وبكى.

في يوم الخميس هذا، يتوجّه المؤمنون إلى الكنائس لزيارة القربان المعروض. وهناك تقليد أورشليمي قديم يعود إلى الأجيال الأولى ويقضي بزيارة الأماكن التي مَرَّ بها السيّد المسيح في طريقه إلى الجلجلة اختُصِرَت اليوم بمحطّاتٍ سبع في سبع كنائس. من هنا جاءَت العادة بأن يزور المسيحيون سبع كنائس في هذا اليوم.

أيقونة العشاء الأخير: يسوع المسيح يتوسّط تلاميذه الإثني عشر أثناء عشاء يوم الخميس، في الليلة التي سبقت تسليمه والحكم عليه بالموت. ويستذكر المسيحيون هذا الحدث من خلال إقامة القداس الإلهي.

الجمعة العظيمة

الجمعة العظيمة، يومُ الفداء، يومُ التحوّل الأكبر في تاريخ الله والكون والإنسان: يسوع المسيح يموت على صليب، فيُجدّد ويجمع فيه كلَّ شيء، ما في السماوات وما على الأرض.

وَصَف الإنجيليّون الأربعة، متى ومرقس ولوقا ويوحنا، ذلك الحدثَ التاريخيّ الأعظم، فصوّروا مراحلَ آلام السيّد المسيح، ساعةً ساعة، حتّى نزاعِه الأخير وموته على الصليب عريانًا، بين لصَّين، على مرأى من أمِّه العذراء مريم وتلميذِه الحبيب يوحنّا.

والمؤمنون، إذ يحتفلون بآلام السيّد المسيح وموته، في رتبة السجود للصليب، يسجدون للمصلوب الحيّ الظافر على الألم والموت بالقيامة المجيدة. فلا فصلَ بين الجمعة العظيمة وأحد القيامة الكبير. ليس حدادُ الكنيسة على موتِ فاديها حداداً على ميت، بالبكاء والنَوح والرثاء والنحيب، بل بالصوم والاماتة والصلاة والحياة النيِّرة البارّة.

في النصوص الطقسيّة تعبيرٌ عن الألم والحزن، مجبولٌ بالأمل والفرح. وفي الطقس الكلداني يبدأ الزمن الفصحي يوم الجمعة العظيمة، إذ يُؤخذ بالوقوف في الكنيسة بدءاً بهذا اليوم حتى يوم العنصرة. وهناك تقليد عريق في فنّ التصوير، يرسم المسيحَ المائت على الصليب لابسَاً ثياب الملك وفاتحاً عينَيه، رمزاً إلى المسيح الحيّ بِرَغمِ موتِهِ على الصليب.

الجمعة العظيمة يومٌ فريد مميَّز في تقليد كنيسةِ المسيح الجامعة: فيه يصومُ الشعبُ المسيحيّ، ويمتنع الكَهَنةُ عن القداس، مُكتَفين برتبةٍ تُدعى "رسمَ الكأس" أو "الأقداس السابقَ تقديسها"، يتناول فيها الكهنة والمؤمنون القربانَ المحفوظ من قداس خميس الأسرار، وتُخلى الكنائسُ والمعابد والأديرة من القربان الأقدس، وذلك دليلٌ على حداد الكنيسة وحزنِها العميق لموت عريسها السماويّ.

وتُقامُ رُتبة دفن المسيح أو سجدة الصليب قبل الظهر أو بعده، إكرامًا لمن بَذَلَ نفسَه عن البشر قربانا وفداء. تتنوّع أساليب التعبير عن الحزنّ لما يذكّر به هذا اليوم من حوادث مأساوّية في تاريخ البشر، وفي حياة يسوع.

تحتفل بعض الكنائس بمسيرة درب الصليب ساعة موت يسوع بعد الظهر، في الكنائس أو على الطرقات العامة، أمام جمهور كبير يمتاز بالتقوى الحارّة، بخاصة في هذا الظرف. كما تقوم كنائس كثيرة بالاحتفالات بجنّاز المسيح

ودفنه. ويضع المؤمنون الأزهار لدى دخولهم الكنيسة في مجسّم لنعش المسيح، يطوفون به في الكنيسة أو خارجها، متشاركين حمل النعش أثناء التطواف.

يوم الجمعة العظيمة هو يوم العودة إلى الذات والاتحاد مع آلام يسوع والمشاركة بها بالتقشّف، والتوبة عن الخطايا والالتزام بالصوم خصوصاً. تزداد شدة الصوم في هذا اليوم، فبعض المؤمنين يصومون عن الطعام صوماً كاملاً فلا يأكلون شيئاً يوم الجمعة العظيمة، ثم يأكلون شيئاً بسيطاً بعد قداس سبت النور ويستمرّون بصومهم الكامل إلى أن يحتفلوا بقيامة المسيح يوم أحد الفصح.

سبت النور

سبت النور، أو السبت العظيم أو سبت البشارة، هو يومُ الراحة للمسيح يسوع بعد آلامه وموته. فيه نزلَ إلى القبر وافتَقَدَ الراقدين – وعلى رأسهم آدم – وهم ينتظرون، منذ البدء، قدومه. بشّرهم بالقيامة تُشرِقُ وتملأ الكونَ والإنسان فرحًا بخلاصٍ وحياةٍ جديدة.

سبتُ النور هو اليوم الأخير من أسبوع الآلام، وهو يومٌ فريد في السنة الطقسيّة، لا يُحتَفَلُ فيه بالقداس. أمّا في الكنائس البيزنطيّة فيُحتفل بقدّاس يوم سبت النور، وهو السبت الوحيد الذي يجب فيه الصوم، بينما يُسمَحُ بالإفطار في كلّ سبوت زمن الصوم الكبير. يتميّز سبتُ النور في الطقوس السريانيّة كافّةً، بالاحتفال برتبة "صلاة الغفران". إنّها رتبة مصالحة وتوبةٍ جماعيّة منفصلة تمامًا عن صلوات أسبوع الآلام: يُرفَعُ أثناءها الحدادُ من الكنائس، ويعودُ أخذُ البَرَكة من المحتفل، بعد أن وُقِفَ طيلة أسبوع الآلام، وحسب التقليد يُعلِنُ المحتفل، في آخر الرتبة: "ألمسيح قام!"، فيُجيبُهُ الشعب: "حقّاً قام!". وحينئذٍ يبدأُ فرحُ القيامة.

مِحوَرُ لاهوت هذه الرتبة نقطتان: طلبُ الغفران من الله والمسامحة من الإخوة. كما أنّ طابعها الجماعيّ أساسيٌّ لمفهوم التوبة في إطار عودة الخاطئ إلى الله وإلى الجماعة الكنسيّة. في هذا السبت العظيم، كانت تتمّ رتبة العماد للمَوعوظين (الذين يتحضّرون لقبول سرّ العماد)، وتُقام السهرة الفصحيّة المخصَّصة للصلاة.

عيد الفصح

في العهد القديم، كان يحمل الاسمَ نفسه، أي عيدَ الفصح والعبور، وكان الاحتفال به سنويّاً واجباً دينياً، والطقوسُ المرافقة لأكل خروف الفصح مُلزمة، والرابع عشر من نيسان (حسب التقويم القمري). احتفلّ يسوع المسيح بالعيد عينه مع تلاميذه. إنّما، في العشاء الأخير، أنهى الرمز وأصبح هو ذاته حمل الله. يوم الأحد كان عيد الفصح الأسبوعي، وظلّ، حتى أواخر القرن الثاني، يومَ الرب. ومنذئذٍ ظهرت رغبة في الاحتفال بواحد من آحاد السنة بطريقة مميّزة، كونه عيداً للفصح. وتمّ الإجماع في الشرق والغرب على الاحتفال بعيد الفصح في الأحد الذي يلي بدر الربيع، وهو يتراوح بين 22 آذار و25 نيسان.

سنة 1582، على أثر إصلاح البابا غريغوريوس الثالث عشر الروزنامة اليوليانيّة المعمول بها، اقتضى حذف عشرة أيّام من السنة. تبنّت الدول والكنائس هذا الإصلاح، في ما يخصّ الحساب المدني كما في الحساب الكنسي، بالنسبة إلى الأعياد الثابتة: مثل الميلاد والدنح والانتقال وارتفاع الصليب. واستمرّت المشكلة فقط بالنسبة إلى عيد الفصح، وما زالت حتى اليوم. الخلاف هو على تاريخ العيد فقط إنما جوهر العيد ولاهوته هو في الغرب والشرق. أحدُ القيامة هو عيدُ أعيادِ الكنيسة المؤمنة، استقطب هذا العيد الأعياد الأخرى التي نشأت تدريجيّاً في الكنيسة، وأصبح محورها وقمّتها. منه تنطلق وإليه تعود.

منذ أصبح الاحتفال بعيد الفصح سنويّاً، أصبح يمتدّ خمسين يوماً، تؤلّف، بنظر ترتليانوس، عيداً وحيداً كيوم الأحد. وشرعت الكنيسة تتوقّف، خلاله، عند محطّات هامّة: محطّة الأسبوع الأوّل بعد القيامة – أسبوع الحواريّين –،

والأحد الأوّل بعد القيامة، ومحطّة خميس الصعود، في نهاية الأربعين، ومحطّة عيد العنصرة الذي يختتم زمناً طقسيّاً، هو زمن القيامة. وبعده يبدأ زمن جديد هو الزمن العادي. في أحد القيامة تحتفل الكنيسة الجامعة برُتَبٍ مختلفة، تعبّر عن أهميّة هذا الحدث الفريد: فالطقس البيزنطيّ يحتفل برتبة "الهجمة"، والطقس الأرمنيّ "بفرض حاملات الطيب"، والطقس الكلداني "بألحان السهرة"، وكلّها تُسمّى "فرض القيامة". ويتفرّد الطقس الماروني والطقس السريانيّ بالاحتفال برتبة السلام الفصحي. تقوم رتبة السلام بأن يُرفَع الصليب من القبر، حيثُ دُفِنَ يوم الجمعة العظيمة في رتبة السجدة، فتُجعل عليه شارةٌ بيضاء، علامةً للنصر على الموت والألم والخطيئة، ويُطافُ به في الكنيسة ليُكَرِّمهُ ويتبرَّك به المؤمنون. فالعلاقة وثيقة بين أحد القيامة ويوم الجمعة: المائت على الصليب والمدفون في القبر هو نفسه القائم الظّافر على الألم والموت.

أمّا في ما يختصّ برتبة الهجمة، فبعدما يجتمع المصلّون في الكنيسة، يبدأون بالصلاة ثم يخرجون بموكب حافل إلى أمام باب الكنيسة ويقفل الباب من الداخل. بعد تلاوة إنجيل قيامة يسوع، يتقدم مترئّس الصلاة ويقرع ثلاث مرات مطالباً بفتح الباب، وبعد القرعة الثالثة يُفتح الباب ويدخل الجميع إلى الكنيسة المشعّة بكل أنوارها حاملين شموعاً مضاءة ومنشدين أناشيد القيامة: "المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور". عند خروج المؤمنين من الكنيسة يتبادل المسيحيّون التحيّة قائلين: "المسيح قام"، وتكون الإجابة "حقاً قام". هكذا تصدر التحية بمثابة شهادة ايمان علنيّة.

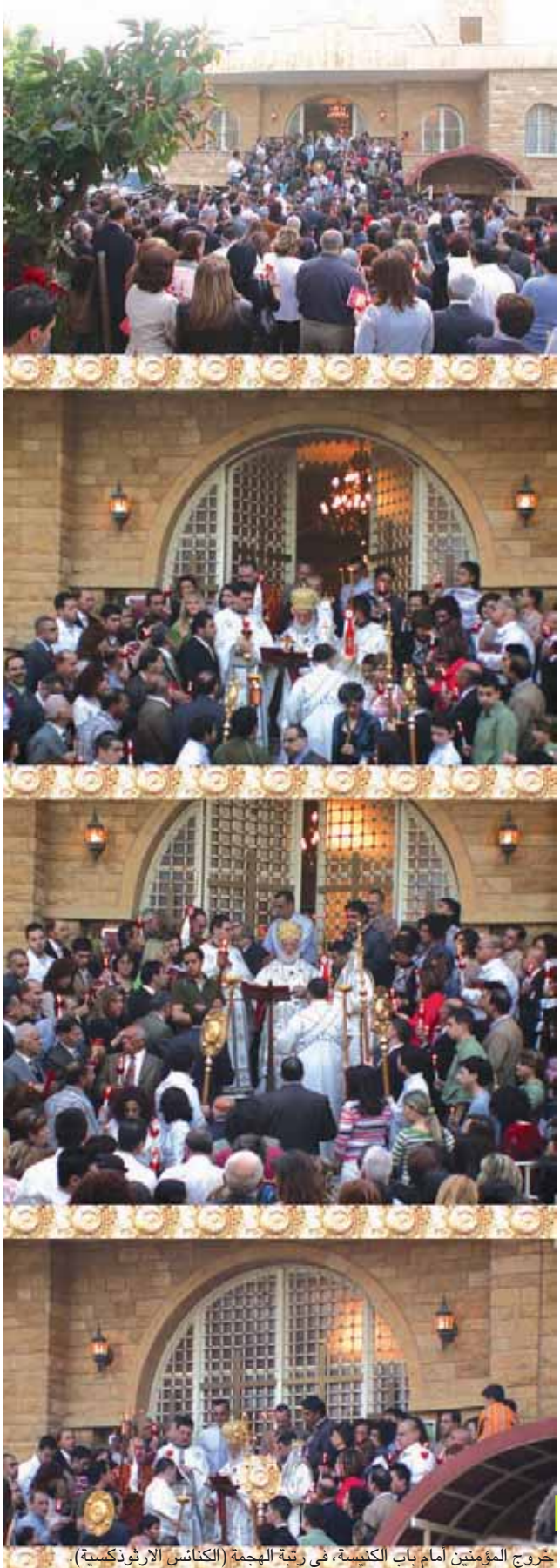

خروج المؤمنين أمام باب الكنيسة، في رتبة الهجمة (الكنائس الارثوذكسية).

توزيع البيض

درجت العادة بتوزيع البيض المسلوق والملوّن على الخارجين من الكنيسة في نهاية القدّاس، باعتبار البيضة رمز الخصب وخصوصاً رمز قيامة يسوع المسيح من القبر مثلما يشق الصوص قشرة البيض ويخرج من البيضة حياً. كان أكل البيض محرَّماً في الصوم على مدى القرون الأولى، لذلك راح التقليد المسيحي يشجّع أكل البيضة عند كسرها في عيد الفصح.

الكعك والمعمول

المسيحيون يصنعون بمناسبة عيد الفصح الكعك المدوّر بشكل إكليل والمحشوّ بالتمر والمعمول بشكل أكواز محشوّة بالفستق أو الجوز والسكر. يقصدون بذلك التذكير بآلام المسيح التي نتج عنها فرح القيامة. فشكل الكعك المدوّر يرمز إلى إكليل الشوك، وشكل المعمول المكوّز يرمز إلى الاسفنجة المغمّسة في الخل التي أعطاها الجنود للمسيح عندما طلب ليشرب. أما حشوة الكعك بالتمر والمعمول بالفستق أو الجوز والسكر فترمز إلى ما وراء آلام المسيح من حلاوة للفداء والخلاص.

بيض الشوكولا

منذ قرن تقريباً ظهر بيض الشوكولا بالاضافة إلى أشكال متنوّعة بغية إشباع رغبات الناس. وقد أعطى الناس للشوكولا شكل دجاجة هي مصدر البيض، أو شكل سمكة رمز المسيحيّين الأوائل (فالسمكة باللغة اليونانيّة اسمها اختيس، وكلّ حرف من هذه الكلمة هو بداية لكلمات تكوّن العبارة التالية: يسوع المسيح ابن الله المخلّص).

الباعوث

في الكنائس البيزنطيّة ولمناسبة عيد الفصح، يتمُّ نهار الأحد أو الإثنين الاحتفال بالتطواف في الكنيسة وحولها. ويقرأ المسيحيون بلغات مختلفة في هذا اليوم فصل الإنجيل الخاص بظهور المسيح لتلاميذه والأبواب مغلقة. كما يُسمح في هذا اليوم بقراءة الإنجيل في الكنيسة لجميع العوام، وتتم قراءته عادة بواسطة الأسقف أو الكاهن. ويرمز هذا الاحتفال إلى التبشير بقيامة يسوع لجميع شعوب الأرض ولكل منهم بلغته الخاصة.

الصعود

يُحتفل بعيد الصعود يوم الخميس السادس الذي يلي عيد الفصح، أي بعد أربعين يوماً. في هذا اليوم ظهر المسيح آخر ظهور له لتلاميذه بعد قيامته، وأراد قبل صعوده إلى السموات على مرأى من تلاميذه فوق جبل الزيتون، ألاّ يترك المجال للتفكير بأنه في ذهابه هذا يُهمل البشر، لذلك بشّر تلاميذه بمجيء الروح القدس، ووعدهم بالبقاء معهم لتبشير العالم كلّه بالخلاص وبعودته إليهم يوم الخلاص. ويعني صعوده إلى السموات لقاء العالم الالهي، الدخول في مجده والتعبير بشكل منظور عن كل ما تحقّق بالقيامة.

العنصرة

يُحتفل بعيد العنصرة يوم الأحد بعد خمسين يوماً من عيد الفصح، ذكرى نزول الروح القدس بشكل ألسن ناريّة على الرسل، وهو عطاء تأسيسيّ لولادة الكنيسة. إن لفظة عنصرة مشتقة من أصل سرياني ومعناها الاجتماع. يشير العيد إلى فيض مواهب الروح القدس على تلاميذ المسيح المجتمعين، ثم على الكنيسة بأسرها. بعد العودة من قداس الصباح ينصب الأهل لأولادهم مراجيح ليتمرجحوا النهار كله، ويروون لهم ما حدث للرسل (أعمال الرسل 1 - 2).

خميس الجسد

عيد القربان المقدّس في الكنائس الكاثوليكية فقط: يوم الخميس في اليوم العاشر بعد أحد العنصرة. فرض البابا أوربانوس الرابع الاحتفال بهذا العيد (عيد جسد المسيح) في 11 آب 1264. شاع الاحتفال به في القرن الرابع عشر، ودرجت بعد ذلك عادة الزيّاحات الجمهوريّة في الشوارع حيث يكرِّم المؤمنون علناً وبحرارة الجسد المقدّس في معرِض القربان. وفي لبنان تشتهر مدينة زحلة بإقامة هذا الزياح.

الاحتفال بخميس الجسد في إحدى كنائس الشمال، وتشتهر مدينة زحلة في البقاع خصوصاً لإقامتها أحد أكبر زياجات خميس الجسد

عيد ارتفاع الصليب

تُحيي الكنيسة في 14 أيلول تذكارين:

التذكار الأوّل: اكتشاف خشبة الصليب الذي رُفِعَ عليه المسيح سنة 327، في مغارة مدفن على جبل الجلجلة في ضاحية أورشليم على عهد الملك قسطنطين (306-337) الذي أمر بمباشرة عمليّات الحفر والتنقيب بإشراف الملكة هيلانة والدته. تأثرت الملكة من ظهور الصليب فأمرت بإشعال النيران على المرتفعات وفق خطة متّفق عليها سابقاً، لكي يصل الخبر إلى الملك المقيم في القسطنطينية بأسرع وقت ممكن. ويعود إلى هذه الحادثة التاريخية تقليد إشعال النيران على المرتفعات ليلة عيد الصليب، في 14 أيلول، وهو تاريخ العيد الذي حدّده الملك قسطنطين ذاته.

التذكار الآخر: استعادة خشبة الصليب، سنة 628، من الفُرس الذين استحوذوا عليها سنة 614، إثر دخولهم أورشليم. استعاد هرقل (610-641) خشبة الصليب من الامبراطور تبريز بعد انتصاره على الفُرس، حملها على كتفه عند وصوله إلى أورشليم ونقلها بتطواف عظيم إلى كنيسة القيامة.

ليلة العيد، حيثما اجتمع المسيحيّون على رؤوس الجبال أو في الساحات، يوقدون النار في ما جمعوه من حطب، ويعبّرون عن فرحهم بالأناشيد والرقص، ويشعلون أيضاً الشموع على سطوح المنازل والشرفات طيلة الليل. أما الأولاد فيبتهجون بالمفرقعات والألعاب النارية.

ولعيد الصليب عند المزارعين المسيحيّين ما يعتقدونه أدلّة على ما قد يقع في عامهم المقبل من صحوٍ أو مطر، ورخص أو غلاء، وهذه الأدلّة تُسمّى في اصطلاحهم البواحير أو الصليبيّات، وموعدها الاثنا عشر يوماً بعد عيد الصليب. وطريقتهم في اعتماد البواحير او الصليبيّات أن يحسبوا يوم العيد لشهره، أي أيلول، وكلّ يوم من الأيّام التالية لشهر من أشهر السنة بالترتيب، ثمّ أن يعتبروا كلّ آونة منه ليوم من أيّام الشهر الذي يقابله. ومن حساباتهم أن يأخذوا عشيّة العيد اثنتي عشرة ورقة تين أو توت ويشدّونها إلى قضيب يضعونه على سطح يكون معرّضاً لسقوط الندى، ويخصّون كلّ ورقة بشهر ابتداءً من أيلول، ثمّ يبكرون بالغداة لفحصها، فما كانت منها جافّة يكون شهرها جافّاً، وما كانت منها رطبة طريّة كان شهرها كذلك.

ملاحظة: تبدأ البواحير عند الكاثوليك في 14 أيلول، فيما تبدأ عند الأورثوذكس في 27 منه.

الأعياد والمناسبات الدينية لدى المسلمين

الأعياد

تنحصرُ الأعيادُ الشاملةُ والمطلوبةُ دينياً عند المسلمين في اثنين: عيد الفطر وعيد الأضحى. ويأتي عيد الفطر في نهاية شهر رمضان المبارك، وهو شهر الصوم لدى المسلمين. قبل الدخول في تفصيل عيد الفطر، لا بدّ من الحديث عن الصوم كونه يرتبط مباشرة بهذا العيد.

شهر رمضان والصوم

يقوم المسلم بتأدية الصوم في شهر رمضان عبر الامتناع عن تناول الطعام والشراب، وأمور أخرى جرى تفصيلها في الكتب الفقهية. ويتجاوز الصوم المسائل المادية المتعلقة بالبدن إلى التزام جملة من المسلكيات التربوية الأخلاقية والاجتماعية. وردت في خطبةٍ للنبي محمد (ص) عند استقباله شهر رمضان المبارك، ومنها كما ورد عنه (ص): "وتصدَّقوا على فقرائكم ومساكينكم ووقِّروا (احترموا) كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم (أي اهتموا بزيارة الأهل والأقارب)، واحفظوا ألسنتكم (عن الكذب والغيبة والفتنة) وغضّوا عن النظر عمَّا لا يحل النظر إليه أبصاركم، وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننوا على أيتام الناس يُتحنَّن على أيتامكم، وتوبوا إليه (أي الله) من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنها أفضل الساعات ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده، يُجيبهم إذا ناجوه ويلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه".

ويعتبر المسلمون، بحسب القرآن الكريم والأحاديث النبوية، أن شهر رمضان، هو الزمان المقدّس، لذا يطلق عليه اسم "شهر الله"، بحيث أن أيامه أفضل الأيام وساعاته أفضل الساعات، فيه فرض الصوم لأجل التربية على التقوى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة، آية 183) .

ويبدأ الصوم عند أول شهر رمضان بأن ينوي الصائم أن عمله هذا هو خالص لوجه الله وتقرُّبٌ إليه، ويبدأ امتناعه عن الطعام مع حلول الفجر، عند الصباح الباكر، ويستمر إلى الغروب. ويلتزم الصائمون بجملة من الأعمال العبادية عند الصيام منها تلاوة القرآن الكريم، قراءة بعض الأدعية الخاصة بشهر رمضان مثل: دعاء الافتتاح، وأدعية السحر لدى المسلمين الشيعة، والكثير من الأدعية الإسلامية الأخرى.

ومن تعاليم النبي (ص) في شهر رمضان:

- تأمين الإفطار للصائم الفقير بتقديم الطعام المناسب.
- تحسين الأخلاق الاجتماعية.
- الإكثار من الصلاة والدعاء والاستغفار.

تذكر يوم اللقاء بين يدي الله في الآخرة. وأن يكون الإنسان مستعداً لهذا اليوم وهو غير ظالم لأحد من الناس، لأن ظلم الناس في الإسلام ذنبٌ عظيم.

وانطلاقاً من هذه القيم والأهداف التربوية فإن لدى المسلمين بعض التقاليد الدينية والشعبية ومنها:

- إحياء الليالي في المساجد، خاصة ليلة القدر، والليالي العشرة الأخيرة من شهر رمضان.
- الإفطارات العائلية المشتركة انطلاقاً من ضرورة الصلة بين الأهل والأقارب.
- إعداد بعض الموائد للفقراء والأيتام والمساكين وهي التي اصطلح عليها باسم "موائد الرحمن".
- أخذت بعض الجمعيات الخيرية بإقامة حفلات إفطار، في السنوات الأخيرة، بغية حث الحاضرين على تقديم مساعدات مالية للمؤسسات الخيرية.
- تقوم بعض العائلات أحياناً بالتزام بعض الأنواع من الأطعمة على موائدها منها "الفتوش" و"الشوربا" وتقديم "التمر" الذي يتناوله الصائم قبل البدء بالطعام وهو يقول: "اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا صيامنا وقيامنا". كما تنتشر عادة شرب "شراب الجلاب" و"التمر الهندي" و"السوس".
- وفي الآونة الأخيرة أخذت المحالّ تقدّم في مبيعاتها بعض الحلويات مثل "الكلاج" و"أصابع الست".

تحضير الكلاّج، إحدى أبرز الحلويات "أحد محال بيروت".

عيدُ الفطر

هو أول يوم من شوال الذي يلي شهر رمضان المبارك، يأتي بعد صيام شهر رمضان مباشرةً، فيفطر المسلمون فيه بعد صوم تسعةٍ وعشرين أو ثلاثين يوماً بحسب ظهور الهلال.

ومن الواجبات الدينية بمناسبة عيد الفطر: دفع الصدقة المسماة "زكاة الفطرة" إلى الفقراء. ويدفع الزكاة، في يوم العيد أو في اليوم الذي يسبقه، رب الأسرة غير الفقير، يدفعها عنه وعمن يعيل. وتقدّر الزكاة بنحو 3 كلغ من الطعام المتعارَف، وتقدَّم للفقراء بشكلٍ عينيّ أو نقداً.

ولأنّ المناسبةَ احتفاليةٌ وكبيرةٌ ويحضُرها الجميع، كان المتعارَفُ عليه أداء ركعتي الصلاة وسماع الخطبة في ساحةٍ عامةٍ تتسع لأكبر عددٍ من الناس، كي تكون الصلاةُ والخطبةُ مناسبةً لاجتماع عام فيه ودٌّ وفرَح: فَرَح باكتمال أداء عبادة الصوم، وفرح بتواصُل الناس وتلاقيهم.

يؤدي المؤمنون الصلاة أولاً، وهي تتكونُ من ركعتين وراء الإمام، يقرأُ في كلٍ منهما الفاتحة وآيات أُخرى من القرآن، ثم يصعدُ الخطيب إلى المنبر ويُلقي خُطبة يُكثرُ فيها من التكبير، ويذكُرُ فيها فضائل الصَوم، وشؤوناً عامةً أخرى تُهمُّ المصلّين والمحتفلين بالعيد. ويُقْبِلُ المصلُّون قبل الصلاة والخطبة وبعدَهُما على رفع الصوت بشكلٍ جماعي بتكبيرات العيد، والنشيد الشعائري المتوارَث عن النبي محمد (ص) وأصحابه في أولِ الإسلام: "الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله العظيم وبحمده بكرةً وأصيلاً. لا إله إلاّ الله وحده. صدق وعده. ونصر عبده. وأعزَّ جندَهُ وهَزمَ الأحزابَ وحدَه. لا شيء قبله ولا شيء بعده. لا إله إلاّ الله. ولا نعبُدُ إلاّ إيّاه، مخلصين له الدين"، "اللهمَّ صلّ على محمد، وعلى آلِ محمد، وعلى أصحاب محمد، وعلى أنصار محمد، وعلى ذرية محمد، وسلِّم تسليماً كثيراً. ربِّ اغفِر لي ولوالدي، ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً".

يُهنّئُ المسلمون الحاضرون للصلاة والخطبة بعضَهم بعضا. ويذهبُ معظم المسلمين في هذا اليوم لزيارة أضرحة الأقارب والمعارف وقراءة الفاتحة ترحُّماً عليهم. وجرت العادة أن تسبق هذه الزيارات صلاة العيد. يعودون بعد ذلك إلى بيوتهم فيتهادَونَ، ويتناولون معاً إفطار الصباح لأول مرةٍ بعد انقضاء شهرِ الصوم.

ويمرُّ اليومُ كلُّهُ في زيارات التهاني للأقارب والمعارف. والعيدُ في الأصل يومٌ واحدٌ؛ لكنّ العُرف أن يستمرَّ الاحتفالُ والتعطيلُ ثلاثة أيام. ولأنّ عيد الفطر مرتبطٌ بصوم رمضان الذي تتغير مواعيدُهُ؛ فإنه يدورُ تدريجياً على مدار العام وعبر مختلف الفصول، حسبما هو معروفٌ عن الشهور القمرية.

بعض العادات المتعلقة بإحياء هذا العيد:

- التحضر الأسري ليوم العيد بتجهيز أفراد الأسرة خاصة الصغار منهم بالثياب الجديدة تعبيراً عن حلةٍ جديدة لولادة الفرح في النفوس.
- تجهيز بعض أنواع الحلويات البيتية مثل: معمول العيد، وكعك العيد بالتمر والجوز، وشراب التوت وماء الورد. الإفطار الصباحي العائلي، والعمل على تقديم الغداء الذي غالباً ما يكون ديك الحبش أو ما يشابهه.
- تزيين القبور بالورود وأغصان "الأيس" الأخضر، والذهاب إلى قراءة الفاتحة والقرآن الكريم عند الأضرحة. وهناك عادات في بعض القرى أن يتوجه الجميع إلى القبور التي توفي أصحابها في نفس اليوم، لمواساة أهل الأموات.

- تجهيز المعونات المالية أو الثياب المسمّاة بـ"كسوة العيد" للفقراء والمحتاجين. وذلك من زكاة الفطرة[13] والصدقات ونشير هنا أن "زكاة الفطرة: شرط لصحة وقبول صوم الصائمين في شهر رمضان المبارك".
- التهادي وتقديم ما يُطلق عليه اسم "خرجية العيد" للأطفال بشكل متبادل بين الأقارب والأسر.
- يعتبر المسلمون حسب تعاليم دينهم أن "للصائم فرحتين، فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربّه". أما فرحة الإفطار فهي نجاح إرادة الإنسان في تجاوز رغبات البدن والنفس من أجل الارتباط برحمة الله، لذا يصبح همّ الصائم كيف يحصل على رحمة الله بأن ينظر هذا الصائم إلى الجياع والفقراء والمساكين بنظرة الرحمة. فبعد أن جرّب معنى الجوع وصعوباته عليه أن يبادر لمساعدة المحتاجين في أيام شهر رمضان وما يليه، وبذلك يكون كل يوم لا يُعصى الله فيه ويساعد الإنسان فيه أخاه الإنسان هو يوم عيد.

وهناك إضافة أخرى: وهي أهمية هذا اليوم المبارك، وما يتخلله من زيارات، ولقاءات، أنه يشدّ من اللحمة الاجتماعية، ويقوّي يد الجماعة، ويزيل ما يعلق في القلوب من الأحقاد، ويحبّب الناس ببعضهم، ويؤلّف بين قلوبهم، ويضفي السرور والبهجة في المناخ العام، بحيث ينتظره المسلمون بشوق كل عام.

نبات "الأيس" الأخضر، أبرز ما يضعه المسلمون على قبور ذويهم أثناء زيارتهم صبيحة عيد الفطر

[13] راجع صفحة 142.

عيد الأضحى

كما يرتبط عيدُ الفِطْر بانتهاء أداء فريضة الصوم، يرتبطُ عيدُ الأضحى بأداء فريضة الحجّ إلى مكّة[14]. يأتي في موسم الحج بعد الوقوف بجبل عرفة في مكة المكرمة، حيث يكون المسلمون حجاجاً وغيرهم قضوا أيام ذي الحجة العشرة بالصلاة والصيام والأعمال الصالحة.

عيد الأضحى في اليوم العاشر من ذي الحجّة سمّي بعيد الأضحى تذكرةً باستعداد إبراهيم (عليه السلام) أبي الأنبياء للتضحية بابنه إسماعيل إطاعةً لأمر الله. يُقدِّمُ الحاجُّ أُضحيةً مفروضة عليه خلال حجّه، اتباعاً لما فعله إبراهيم أيضاً من افتداء ابنه بأُضحيةٍ حيوانية. بيد أنّ أكثرية المحتفلين بعيد الأضحى يذبحُون أُضحيةً، فتأكُلُ منها الأُسرة يومَ العيد، ويُوزَّعُ على الجيران وعلى الفقراء منها، بالرغم من أنها ليست فرضاً عليهم كونهم لم يحضروا الحجّ.

ولا فرق بين صلاة عيد الأضحى وصلاة عيد الفطر، وعادةً يهتم الخطيب بأجواء المناسبة ودلالتها، فيتحدّث في عيد الفطر عن الصوم، وفي الأضحى عن الحج، غير أن ذلك ليس بالأمر اللازم، وبإمكانه طرح أي موضوعٍ دينيٍّ أو معالجة أي مفهوم اجتماعيّ يرتبط بالمناسبة أو لا يرتبطُ بها. ويعتمد المسلمون نفس المسلك الشعبي نفسه في إحيائهم عيد الأضحى الذي مارسوه في عيد الفطر مع إضافتين:

أولاهما: الأضحية: قيام بعض الميسورين بتقديم الذبائح وتوزيعها على أهل الاحتياج من الفقراء والمساكين.

ثانيتهما: التحضير والتزيين استعداداً لاستقبال الحجّاج وغالباً ما تكون "سعف النخيل"، أي أغصان النخل، عنصراً أساسياً في الزينة أمام البيوت. وهم بذلك يرمزون إلى أرض الحجاز، حيث مكة والمدينة حيث تزدهر أشجار النخيل. كما أنه لا يجوز الصوم في أول أيام العيد

[14] راجع صفحة 139.

عشور العيد لدى الموحّدين الدروز

تقع عند الموحدين الدروز بين الاول والعاشر من شهر ذي الحجّة، فما أن يهل هلال شهر ذي الحجة كل عام، حتى تدبّ حركة سعيٍ غير اعتيادية في المجتمع التوحيدي الدرزي بكافة فئاته نحو الخلوات والصروح الدينية والشيوخ الثقات طلبا لسماع التلاوة المباركة والمذاكرة الدينية واستشعار قدوم يوم العيد الكبير.

ويحيي الشيوخ الليل مجاهدةً واستغفاراً مستحضرين الآية من سورة الفجر: ﴿والفجر- وليال عشر﴾ (سورة الفجر، آية 12)، ومتمثلين الإحرام في جوارحهم وأفئدتهم سبيلاً إلى أن تكون نواياهم صافية لاستكمال معنى الأضحية، وأرواحهم قاصدة وجه ربها الكريم، تحقيقاً للقصد في معنى المناسبة.

إحدى سهرات المذاكرة الدينية لدى الموحدين الدروز.

المناسبات

المولد النبوي

يذكر التقليد أنه، في يوم مولد النبي (ص)، حدثت حوادث كثيرة منها وظهر نور في مكة أضاء ما بين المشرق والمغرب بشارةً بمولده المبارك. يحتفل المسلمون، بمولد النبيّ محمد (ص) في 12 ربيع الأول. وتُعطّل بعضُ البلدان الإسلامية في هذه المناسبة. وهناك من يقول إنه صلّى الله عليه وآله وسلّم وُلد في 12 ربيع الأول (10 نيسان) عام 571 م وهناك من يقول بأنه ولد في 17 ربيع الأول. لذا دعا البعض أن يكون هناك أسبوع كامل لإحياء المناسبة تحت عنوان "أسبوع الوحدة الإسلاميّة". يُضيءُ المسلمون الفوانيس الصغيرة الملوَّنة عشية المناسبة. ويسيرون في الشوارع منشدين الأناشيد المادحة للنبيّ، والمتذكّرة لفضائله. وتقامُ الموالدُ في المنازل أيضاً حيث تُوزَّعُ الحلوى، وتُقرأُ السيرةُ النبوية، ويُضربُ الدفّ، ويزورُ المحسنون دُور الأيتام لمؤانستهم، وبعث الفرحة في نفوسهم.

ظهرت عبر التاريخ مئاتُ النصوص التي تذكر خصائص النبي (ص) وفضائله، وتتغنّى به شعراً ونثراً. والمنشِدون في المنازل والمساجد ومن على المنارات يرفعون الصوتَ بها في هذه المناسبة تعبيراً عن الحبّ للنبي، والفرحة بمولده.

ومنذ زمنٍ بعيد ما عادت أناشيدُ المولد قاصرةً على يوم 12 أو 17 ربيع الأول، بل إنّ الموالد الاحتفالية صارت تُجرى في عدة مناسباتٍ عامة أو خاصة.

رأس السنة الهجرية

لم يعرف المسلمون قديماً الاحتفال بالهجرة النبوية، أي خروج النبي محمد (ص) من مكة إلى المدينة عام 622م، وإنما أظهروا احتفاءً بالهجرة من خلال بدء التأريخ بها أيام خلافة عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه). وقد هاجر النبيُّ إلى المدينة في شهر ربيع الأول؛ لكنّ عمر بن الخطّاب بدأ التأريخ الإسلاميَّ بأول محرَّم كما سبق وذكرنا، أي مطلع السنة القمرية.

وتكتسبُ الهجرة أهميةً خاصةً لسببين. أولاً هي تُذكِّرُ بمُعاناة النبي محمد (ص) وأصحابه بمكة على يد وجهاء قبيلة قُريش الذين عذَّبوا الذين اتبعوا دين الإسلام أو ناصروا النبيَّ ودافعوا عنه وحاولوا عزل المسلمين الأوائل وتجويعهم؛ بحيث اضطرَّ بعضُهم للهجرة إلى الحبشة. ثمَّ لمّا صمَّموا على قتل النبي (ص) نفسه أقدم على الهجرة إلى المدينة (وكانت تُسمَّى يثرب، وقد سمّاها النبي (ص) المدينة إشعاراً بمركزيتِها في قيام الإسلام). والسبب الآخر الذي من أجله اعتبر المسلمون الهجرة إلى المدينة مهمةً، هو بدءُ عيش الجماعة الإسلامية بعد أن آمنَ برسالة النبي محمد (ص) أكثر أهلها خلال أقلّ من سنتين (622–624م)، وإدراكاً من أصحاب النبي لضخامة هذا الحَدَث، قاموا بالتأريخ به، كما سبق القول. وتحتفل بعضُ الدول العربية والإسلامية بذكرى الهجرة كلَّ عام بحيث تتوقَّف المرافقُ الرسميةُ والمدارس عن العمل، ويخطبُ رئيس الدولة في احتفال رسمي. ومع بدء السنة الهجرية/القمرية الجديدة، يُنشد المُنشدون ما صاغه

طلع البدرُ علينا من ثَنيّات الوداعْ
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعْ
أيها المبعوثُ فينا جئت بالأمر المُطاعْ
جئتَ شرّفت المدينة مرحبا يا خير داعْ

أهلُ يثرب في استقبال النبي عندما أطلَّ عليهم قادماً من مكة:

يبدأ المسلمون الشيعة بإحياء أول ليلة من ذكرى عاشوراء، مع الأول من شهر محرّم، إذ به بدأت المواجهة الكربلائية، لذا فإن الخطباء المسلمون الشيعة في الأول من محرّم يتحدثون حول هجرة النبي ويربطون ذكرى عاشوراء بها.

ليلة القدر

يستند احتفالُ المسلمين بليلة القدر إلى ما ورد من آياتٍ بشأنها في القرآن الكريم: ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدْر خيرٌ من ألف شهر. تَنَزَّلُ الملائكةُ والروحُ فيها. بإذن ربهم من كلِّ أمر. سلامٌ هي حتى مطلع الفجر﴾ (سورة القدر، آية 1). ويعني هذا أمرين: بدء نزول القرآن، في إحدى ليالي شهر رمضان: ﴿شهر رمضان الذي أُنزلَ فيه القرآن﴾ (سورة البقرة، آية 185). وأنّ فيها أَسراراً وأقْداراً تؤثر في حياة الإنسان المؤمن على مدى العُمُر. ولذلك دأَب المسلمون على سهر تلك الليلة وانتظارها في العشر الأواخر من رمضان (23 أو 25 أو 27 أو 29). والاعتقادُ الشعبيُّ أنّ التماسَ بركة ليلة القَدْر، أي الفتح العظيم على مَنْ أنعمَ الله عليه، يكونُ بالتعبُّد والتهجُّد والدُعاء طَوالَ الليالي السالفة الذكر. وفي هذه الليلة تتنزل الملائكة والروح (روح القدس) بسلام حتى طلوع الفجر وشروق الشمس الذي يكون بلا شعاع ولا وهج. والاحتفالُ دينيٌّ بحتٌ، وهو نعمةٌ مرجُوَّةٌ للأفراد. ويُشعر المسلمُ بالفخر والاعتزاز أنّ الله سبحانه اختارَ النبيَّ (ص) في إحدى تلك الليالي المباركات، لإنزال الوحي والقرآن عليه، وختم برسالته النبوةَ والنبيين. وبدأ هذا الخير كلُّه في ليلة القدْر.

الإسراء والمعراج

الإسراء والسُرى، في الأصل: السير أو الترحُّل في الليل. لكنّ الكلمة عندما تقترن بالمعراج تعني ما ورد في القرآن الكريم في سورة الإسراء: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركْنا حوله لنريَهُ من آياتِنا. إنه هو السميعُ البصير﴾ (سورة الإسراء، آية 1). ويذكر مفسِّرو القرآن وكُتّاب السيرة النبوية أنّ الله سبحانه وتعالى أنعم على النبي محمد (ص) بمعجزةٍ حين أسرى به في إحدى الليالي في السنوات الأولى لنبوته من مكة إلى القُدس. ثم عَرَج به (أي صعد به) إلى ما بعد السماء السابعة مصاحباً روح القدس جبريل (عليه السلام)، حيث قابل اخوانه من الأنبياء السابقين من آدم وإلى أبي الأنبياء إبراهيم وانتهاءً بالمسيح عيسى بن مريم (عليه السلام)، ثم عاد وفراشه لا يزال دافئاً. كل ذلك في ليلة واحدة. وقد تناول حديث المعراج جملة من المعاني والقيم الأخلاقية والروحية السامية التي تشير إلى كرامة الإنسان عند ربه ورفعته فوق كل الخلائق.

ويستشعر المسلمون أهميةً خاصَّةً للحَدَثين، حَدَث الإسراء، وحدث المعراج، لما فيهما من كرامةٍ للنبي (ص)، وربط للإسلام بالدينين الإبراهيميَّين السابقَين عليه، وتعظيم لمكانة القدس في الإسلام بالربط بينها وبين مكة. وكان المسلمون يتوجهون إلى القدس في صلواتهم (وفي النصوص الإسلامية أنّ الصلوات الخمس فُرضت في ليلة الإسراء والمعراج)، قبل أن يؤمَروا في القرآن بالتوجُّه إلى مكة. ولأنّ الحَدَثين (الإسراء والمعراج) مذكوران في القرآن، بدأ المسلمون الاحتفال بهما في العصور الوسطى. ويتمُّ الاحتفالُ بالمعراج على الخصوص بالتهجُّد والتعبُّد والدعاء والصلاة في المساجد في العَشْر (الأيام) الأواخر من رمضان، والتي تتوافقُ مع انتظار ليلة القدْر، أي الليلة التي بدأ فيها تنزيلُ القرآن الكريم. وبسبب الرمزية الكبيرة التي يُحاط بها المعراجُ أيضاً، دأَب الأُدباءُ عبر العصور على كتابة معراجات شعبية تُذكَرُ فيها تفاصيل الانطلاق بالنبي (ص) إلى السماء، ولقاء الأنبياء، والاقتراب من العرش الإلهي. ومن قصة المعراج استوحى أبو العلاء المعرّي قصته الجميلة المسمّاة: "رسالة الغفران" كما أنّ كبار الصوفية المسلمين كتبوا معراجاتٍ روحية.

اليد المرفوعة تميّز عيد الغدير لدى المسلمين الشيعة: يد الإمام علي (عليه السلام) التي رفعها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في غدير خم عندما خطب في الجموع

عيد الغدير

هو الثامن عشر من شهر ذي الحجّة، يومٌ يحتفل به المسلمون الشيعة، إذ يعتقدون أنه فيه أعلن النبي (ص) علياً (عليه السلام) خليفةً من بعده. فبعد رجوع النبي (ص) من حجّه الأخير إلى المدينة، أمر بتوقّف القوافل في مكان يسمّى "غدير خم"، حيث قام في الجموع خطيباً وسألهم: "ألست أولى بالمسلمين من أنفسهم؟" قالوا: "بلى يا رسول الله!" فقال: "من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم والِ من ولاّه، وعادِ من عاداهُ وانصُرْ مَنْ نصره".

النصف من شعبان

يرتبط اليوم الخامس عشر من شعبان عند الشيعة بولادة الإمام المهدي عام 255 هـ الذي غاب عن الأنظار وسوف يعود لينشر قيم الخير والعدل والسلام على الأرض. ويدخُلُ الاحتفالُ الدينيُّ في النصف من شعبان (قبل حلول رمضان بأسبوعين) ضمن الأعراف والتقاليد الشعبية في بعض المجتمعات الحَضَرية الإسلامية. ففضلاً عن صلوات التهجُّد والتعبُّد بعد صلاة العشاء، يقامُ احتفالُ دينيٌّ تنشدُ فيه الأناشيد استبشاراً باقتراب رمضان، وأناشيدُ أُخرى في مدح النبي (ص). وفي هذه الليلة ترفع الأعمال إلى الله فيُقبلُ الناس على العبادات والطاعات لكي ترفع أعمالهم على هذه الحال. ويعيش المسلمون بوجدانهم في هذه الليلة عقيدة الأمل والرجاء بحلول يوم تنبسط فيه قيم العدالة الاجتماعية على كل الناس والبلاد، وينهزم فيه الباطل والظلم وتتوحّد فيه شعوب الديانتين: المسيحية والإسلام، بقيادة المسيح والمهدي للعالم في آخر الزمان.

عاشوراء

تقع المناسبةُ في العاشر من شهر المحرَّم كلّ عام. وفي الروايات الإسلامية أنّ المكيين قبل الإسلام كانوا يصومون ذلك اليوم جزءاً من التقاليد الباقية من ميراث أبي الأنبياء إبراهيم. لكنْ في مروياتٍ أُخرى أن صومَ عاشوراء عرفه النبي (ص) لدى اليهود عندما هاجر إلى المدينة المنوَّرة. وأنّ اليهود كانوا يصومون ذلك اليوم باعتباره يومَ مولد موسى النبي. فأمر النبي بصوم التاسع والعاشر بدلاً من العاشر وحده. ويصوم المسلمون في أكثر البلاد الإسلامية هذا اليوم طاعة لرسول الله (ص) إذ يذكر الحديث النبوي: "هذا يوم صالح يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام موسى شاكراً، فقال النبي (ص) أنا أحق بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه".

إنّ إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين التي يقيمها المسلمون الشيعة بدءاً من أوّل محرَّم ولمدة أربعين يوماً، لا علاقةَ لها بما كان في مكة أو المدينة؛ بل لأنّ الإمام الثالث الحُسينَ بنَ علي بن أبي طالب استُشهد في اليوم العاشر من العام (61هـ/680م) على أيدي جنود السلطة الأُموية، مع عشراتٍ من أهل بيته وأنصاره. وسببُ ذلك الحَدَث المأساوي أنّ معاويةَ بن أبي سفيان عندما توفي عام (59هـ/ 678م) استخلف ابنه يزيد على رئاسة الدولة، وكان أعطى وعداً في حياته بأنّه لن يستخلفه، والسبب في ذلك أن يزيداً كان معروفاً بين أبناء المجتمع الإسلامي بظلمه، وفي الإسلام من كان ظالماً لا يستطيع أن يحكم. أثار هذا الاستخلاف سُخطاً وغضباً لدى أهل مكة والمدينة، وأبناء كبار صحابة النبي (ص). وكان الإمامُ الحسين بين أولئك الذين أَبَوا مُبايعة يزيد بن معاوية. وقد تلقّى أُلوفَ رسائل التأييد من أنصاره وأنصار أبيه علي (41هـ/661م) بالكوفة بالعراق. فخرج من مكة مع أهل بيته وأقاربه وبعض أنصاره وسار باتجاه الكوفة. وعندما وصل صحراء كربلاء، وجد جيشاً أموياً هاجمه واشتبك معه وقتله وأخاه العباس وبعض أبناء عمومته، وعدداً من أنصاره في مشاهد مأساوية ومؤثّرة. ترك ذلك الحدث آثاراً عميقةً في نفوس جمهور المسلمين، وبخاصةٍ أنصار علي وأهل بيته، بشكلٍ حرّك الناس ضدَّ الأمويين وضد يزيد وأعوانه ونقموا على الدولة الأموية وخاضوا ضدّها ثوراتٍ عدّة. يحيي المسلمون الشيعةُ منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ذكرى استشهاد الإمام الحُسين لمدة أربعين يوماً. وفي ليالي وأيام التفجُّع والذكرى الحزينة تُقْرأُ "التعزية"، وهي نصوص

أسىً وحُزن ونُواح، تقصُّ بالتفصيل وقائع استشهاد الإمام الحُسين وأهل بيته، وما عاناه أهلُ البيت جميعاً من عسفٍ واضطهادٍ وحرمان؛ صمدوا أمام أهوالِهِ مراراً وتكراراً واضعين الرجاءَ في الله عز وجلّ، ومصمِّمين على شجاعة الفداء، وروح التضحية، ويذكرون أقوال الإمام الحسين(عليه السلام) في العزّة والموت والحياة، وأن الإنسان من دون حياةٍ عزيزة لا قيمة له. تحولت هذه الذكرى مع الأيام إلى معينٍ لا ينضب لاستلهام العزّة والكرامة وترجيح الشهادة على العيش بذلّ. ولاحقاً طغى الطابع الثقافي على إحياء هذه الذكرى، فباتت تقام بعض التقاليد التي تدل على الحزن كلبس السواد وقراءة الوقائع الحزينة التي حصلت في كربلاء.

ومن هذه التقاليد:

- نشْر السواد في البيوت والحسينيات والحارات كعلامة للحزن.
- الامتناع عن إقامة الأفراح.
- تمثيل الواقعة في مسرحية تعكس أهم الأحداث التي وقعت في عاشوراء. وتطور هذا العمل الفني اليوم بإقامة المسلسلات والأفلام والبانوراما العاشورائية.

- الموكب الحسيني: مسيرةٌ أول ما انطلقت في لبنان كانت في مدينة النبطية، وفي قرية مجدل سلم بالجنوب اللبناني ثم انتشرت هذه الظاهرة في بقية المدن والقرى، وكانت تقعُ فيها أحياناً بعض الأعمال التي رفضها بعض علماء الدين وهي جرح الرؤوس ليسيل منها الدم وهي التي تسمّى بـ"التطبير". واليوم هناك مؤسسات استعاضت عن هذه الظاهرة بفكرة أخرى هي التبرّع بالدم للمستشفيات والمراكز الطبية.
- تقديم بعض المأكولات الشعبية مثل "الهريسة" أو حلويات مثل: راحة الحلقوم والبسكويت ثم تطورت الفكرة لإقامة المآدب في اليوم العاشر عند الظهيرة للمحتفين الذين يحضرون المجلس منذ الصباح الباكر ويبقون بلا طعام وشراب كعنوان لرفض منطق الظلم بالإضراب عن الأكل والشرب.

- زيارة العتبات المقدّسة في العراق وإيران وسوريا، حيث يدفن بعض الأئمة. ومن لا يستطيع ذلك يتصدّق للفقراء ويقرأ "الزيارة" وهي عبارة عن مناجاة للأئمة وخاصة الإمام الحسين (عليه السلام).

ذكرى الأولياء والقدّيسين

نرى في الديانتين المسيحية والإسلامية، أشخاصاً عاشوا حياة تقوى وفضيلة، وأثّروا من قريب أو من بعيد في حياة الناس بشكلٍ جعل لهم مرتبة أعلى من مراتب البشر العاديين. هم غالباً أصحاب مسلك متميّز، قد يكونون على صلة مباشرة بالسيّد المسيح أو برسول الله (ص)، أو أشخاصاً عاشوا حياة ترفّع عن المادة، بعيدين عن صخب الحياة، متقشّفين إلاّ في التقرّب من الله.

يكرِّم الناس هؤلاء الأشخاص غالباً بعد موتهم، مع أن رائحة تقواهم تظهر أثناء حياتهم. يسمي المسيحيون هؤلاء الأشخاص، القديسين. أما لدى المسلمين، فهم إماّ من الأولياء عند السنة والصوفية أو من الأئمة المعصومين عند الشيعة أو شيوخاً ثقات عند الموحدين الدروز.

أعياد القديسين عامة

الأعياد، بالنسبة للمسيحيين، هي في جوهرها ملتصقة بتاريخ الخلاص. لها أبعاد متعدّدة، تذكّر المسيحي بالماضي حين تجلّت آيات الله وأعماله الخلاصيّة. تدفع المؤمنين إلى الرجاء في المستقبل لأنّ أعمال الله السابقة ضمانة لمستقبل شعبه المؤمن به. وترسّخهم في الحاضر ليعرفوا إرادة الله ويعيشوها فرحين تائبين. فالاحتفال بالأعياد، إن لم يصدر عن قلوب تائبة شاكرة صادقة، كان نفاقاً على الربّ فرذله كما جاء على لسان النبي عاموص: "أبغضت أعيادكم ورذلتها ولم تطب لي احتفالاتكم" (عاموص 5: 21).

يعبد المسيحيّون الله وحده ولا كائن سواه اطلاقاً. فالعبادة واجب نحوه، وهم يعبّرون عنها تجاهه فقط. غير أنّ بعض الكنائس تكرِّم القديسين الذين يعكسون في حياتهم بعضاً من أشعة قداسة المسيح، ويُظهرون بتنوّع حيواتهم وفرة الخبرات المسيحية المؤدّية إلى الخلاص، ويقدّمون بنقاوة تصرفاتهم أمثلة صالحة للإقتداء بهم. يستنجد المسيحيّون الكاثوليك والأرثوذكس بشفاعات القديسين لدى الله، فَوَفْرتهم تتيح لكلّ إنسان ولكلّ فريق بأن يختار شفيعاً خاصاً به، وقد خصّت التقاليد المنقولة بعض القديسين بشفاعات محدّدة، منها: القديس أنطونيوس البادواني للأغراض المفقودة، والقديسة ريتا للحالات المستعصية اليائسة.

تطور على مدى التاريخ اسلوب تطويب القدّيسين في الكنيسة الكاثوليكيّة. وما يحدث حالياً يعود في تاريخ نشأته إلى 25 كانون الثاني 1983، حيث أدخل البابا يوحنا بولس الثاني على المسار الرسمي أسلوباً بسيطاً، وأشرك فيه كلاً من الأساقفة المعنيّين في مواقعهم الجغرافيّة أي أبرشيّاتهم. عندما يعيش أحد المؤمنين الأمانة الكاملة لإيمانه المسيحي ورجائه ومحبته حتى الموت، ويتميّز بممارسة الفضائل المسيحيّة على أنواعها، ثم يرقد بالربّ ويبقى اشعاعه الروحي ينتشر بعد رقاده، وتتمّ بشفاعته معجزات أكيدة، يكلف أحد المسؤولين القريبين منه محامياً كنسياً ليقدمَ دعوى قانونيّة، لدى مجمع قضايا القدّيسين في الفاتيكان، المقر الرسمي للكنيسة الكاثوليكية، يطلب فيها المبادرة إلى تطويبه وإعلانِ قداسته رسميّاً.

بعد قبول الدعوى، يكلف مجمع دعاوى القديسين كلاً من الأساقفة المسؤولين عن الأمكنة التي عاشَ فيها الراقد أو اجترح معجزةً بعد موته، بمهمة الاستطلاع الدقيق عن واقع الحال، ليرفع في النهاية بياناً إلى المجمع يدعم فيه الدعوى أو ينقضها. وبعد دراسة أعضاء المجمع أعمال الدعوى والتدقيق ببيانات الأساقفة المفصّلة، يتفاوضون

رسم للقديس أنطونيوس الذي يتشفّع له بعض المسيحيين حين يفقدون غرضاً ما، إذ يعتقدون أنه يساعد في إيجاده. وللقديسة ريتا التي يتشفّع لها بعض المسيحيين، لاعتقادهم بأنها تساعد على تخطي الحالات المستعصية اليائسة.

رسم لأعجوبة الشفاء التي تمت بشفاعة شربل مخلوف والتي ارتكز عليها ضمناً لإعلانه قديساً.

بالأمر، ثم يلجأون في النهاية إلى التصويت. عندما تحظى القضيّة بموافقة أكثريّة الأعضاء، يرفع رئيس المجمع تقريره ونتيجة التصويت إلى قداسة البابا، ويعود إلى قداسته القرار التنفيذيّ بالتطويب وإعلان القداسة. ثم يترأس قداساً يحتفل فيه بإعلان قداسة الراقد المذكور والسماح بتكريمه جمهوريّاً في الكنيسة وطلب شفاعته. هكذا يجسد الكاثوليك عمل الله التقديسي في إنسان عاش الفضائل المسيحية بطريقة مميزة

أمّا الكنيسة الأرثوذكسيّة فلا تشترط اجتراح العجائب من أجل إعلان القداسة. تعتمد على تمحيص دقيق لحياة القديس، ولكتاباته إذا كان ألّف كتباً، بعد أن يكون مرّ زمن على رقاده. معظم القديسين في الكنيسة الأرثوذكسيّة طوِّبوا بعد نحو المئة عام من رقادهم. وما زالت قضية شروط إعلان القديسين وتطويبهم في الكنيسة الأرمنية الأورثوذكسية، مطروحة على جدول أعمال الكنيسة منذ القرن الخامس عشر. أما القديسون الأرمن الذين ظهروا قبل القرن الخامس عشر، فنذكر بعضا منهم على سبيل المثال لا الحصر: القديس كريكور المنور، القديس مَسْروب مَشْدوتس، القديس هاكوب.

الأعياد المريميّة

عندما تحتفل الكنيسة بأسرار المسيح[15]، على مدار السنة، تكرم أيضاً بمحبّة خاصة الطوباويّة "مريم أمّ يسوع المسيح" التي ترتبط بعمل ابنها الخلاصي ارتباطاً لا ينفصم. ففي مريم تنظر الكنيسة بإعجاب إلى ثمرة الفداء (المجمع الفاتيكاني الثاني، الليتورجيا عدد 102 و103).

أعياد مريم العذراء ترافق أعياد السيّد المسيح كما رافقت الأمّ ابنها في عمله الخلاصي وحياته. وعى المؤمنون هذه الحقيقة باكرًا فتكاثرت أعياد السيّدة في الشرق أولاً ثمّ في الغرب. ولا يكاد يخلو شهر من شهور السنة إلاّ وللعذراء مريم فيه عيد. ففي تشرين الأول عيد سيدة الورديّة وفي تشرين الثاني وكانون الأوّل، عيدا البشارة والزيارة في الأحاد السابقة للميلاد استعداداً لهذا العيد المجيد. وفي اليوم التالي للميلاد عيد تهنئة العذراء بولادة ابنها. وفي كانون الثاني سيّدة الزروع. وفي 2 شباط ذكرى تطهيرها، وفي 15 أيّار سيدة الحصاد وفي 16 تمّوز سيدة الكرمل وفي 15 آب انتقالها إلى السماء وسيّدة الكرم وفي 8 أيلول ميلادها.

مصدر هذه الأعياد متنوّع. بعضها مستقى من الإنجيل كالبشارة مثلاً، وبعضها من التقليد المسيحي كعيد ميلادها. وبعضها حدّدته الكنيسة لأنّه من صلب عقيدتها كعيد الانتقال إلى السماء. وهناك أعياد فرضتها التقوى المسيحيّة مثل عيد الورديّة، والبعض الآخر له بُعد زراعي إفخارستي، كأعياد سيّدة الزروع في 15 كانون الأوّل وسيّدة الحصاد في 15 أيّار وسيّدة الكرم في 15 آب المرتبطة بالقمح والعنب، بالخبز والخمر اللذين يتحوّلان إلى جسد ودم يسوع في

القربان. كلّ هذه الأعياد تضع المؤمن في إطار حياة العذراء مريم تكريماً لها واقتداءً بها.

عيد "أم الله" نشأ في الكنيسة في القرن الخامس بعد مجمع أفسس. أمّا التذكار المريمي القديم الذي نشأ أيضاً في كنائس محليّة تعبداً للعذراء ثم انتشر في سائر الكنائس بعد المجامع المسكونيّة المختلفة فهو عيد "نياحة العذراء"، أو تذكار موتها في 15 آب. وقد يكون هذا العيد بدأ في الكنيسة حول قبرها في أورشليم، ثمّ امتدّ إلى سائر الكنائس.

وعيد نياحة العذراء "هو من أكبر الأعياد" المريميّة في الكنائس الشرقيّة حتى في الكنيسة النسطوريّة، يسبقه صوم من أسبوع أو أسبوعين إتماماً للاحتفالات.

[15] أسرار المسيح: علامات لحقيقة غير منظورة تدلّ على حضور السيّد المسيح في وسط الجماعة.

وفي الكنيسة المارونيّة مقام خاص لهذا العيد إذ كان البطريرك يحتفل بالقداس في حضور أكبر عدد من الإكليروس والمؤمنين.

يصف الأب اليانو كيفيّة الاحتفال بعيد السيدة في قنوبين نهار 15 آب 1580:

"ليلة العيد كان الناس يتوافدون من كلّ المناطق إلى قنوبين. البطريرك والحاضرون يتطلّعون على الناس الوافدين من أعلى سطح الدير. الأجراس تقرع، الفلاحون يشعلون النار ابتهاجاً. البارود والزلاغيط تتعالى! ويوم العيد يكون الاحتفال بالقداس بمشاركة الأساقفة والاكليروس والشعب".

وتكرم الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية العذراء مريم على مدار السنة ولكن تكرمها تكريماً خاصاً في عيدها السنوي أي يوم الأحد الأقرب الى 15 آب. ففي نهاية القداس الاحتفالي الذي يقام في هذه المناسبة يوزَّع العنب الذي تم تبريكه على المؤمنين. ومن العادات الأرمنية القديمة عدم تناول العنب إلا بعد عيد السيدة العذراء مريم وبعد تبريكه في الكنيسة.

رتبة تبريك العنب (تتميّز بها الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية في عيد السيدة العذراء بشهر آب)

عيد مار مارون في 9 شباط (14 شباط في الكنيسة الأرثوذكسيّة)

ولد نحو سنة 340 م في قورش، شمال شرقيّ أنطاكية. آراميّ الأصل سريانيّ الطقس واللغة.

إختار سكنه في بلاد قورش، على قمّة جبل أجرد. كرّس مارون هيكلاً وثنيّاً، وخَصَّصَه لعبادة الإله الواحد، وكان يحيي الليالي بذكر الله وإطالة الركوع والسجود والتأمّلات، ثمّ ينصرف إلى الوعظ وإرشاد الزائرين وتعزية المصابين.

مارَسَ مارون التقشّف والإماتات، تحت جوّ السماء، بلا سقفٍ، سوى خيمةٍ صغيرة، لم يكن يستظلّها إلاّ نادراً. حَبَسَ نفسه في مساحاتٍ ضيّقة، ولم يكن يخرج منها إلاّ للعمل في الأرض بقصد إماتة نفسه.

مَنَحَه الله موهبة شفاء المرضى، فَذاعَ صيتُه وتَقاطَر إليه الناس من كلّ جانب. لم يقتصر القدّيس مارون على شفاء أمراض الجسد، بل كان يُبرئ أيضاً مرضى النفس. إعتَزَلَ الشهرة فشَهَرَته أعماله التقويّة وانتَشَرَ عرف قداسته.

انتَشَرت سمعته وتكاثر عدد الرهبان حوله. أقامَهُم أوّلاً، في مناسك وصوامع، على الطريقة الانفراديّة، ثمّ أنشأ أديراً، وسَنَّ لهم قانوناً، وقام يرشدهم في طريق الكمال. وَتَعدَّدَت تلك الأديار، ولا سيّما في شماليّ سوريّا، حتّى أنّ ثيودوريطس اغتبط لوجودها في أبرشيّته.

كانت وفاة مار مارون نحو العام 410، عن عمر يناهز السبعين عاماً. تمسّك تلاميذه بتعاليم المجمع الخلقيدوني سنة 451 ونشروها في محيطهم، وكانوا في ذلك أمينين لتعاليم أبيهم ومرشدهم مار مارون. كثر في المنطقة عدد الذين عاشوا في الإطار الرهبانيّ وانتسبوا إلى مار مارون، فأنشأوا "الجماعة المارونيّة" في سهول سوريا الخضراء أولاً، ثمّ انتقلوا إلى جبل لبنان في القرن السابع، ناقلين معهم الأمانة لإيمان آبائهم ومحافظين على طقوسهم، كما كانوا يؤكدّون دائماً تعلّقهم القوي والعميق بالكنيسة الواحدة.

عيد جميع القديسين

فيه يتم إكرام جميع القديسين المعروفين وغير المعروفين، في الكنائس الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية. تعيّد له الكنيسة الكاثوليكيّة في 1 تشرين الثاني وتتوقّف عنده الكنيسة المارونيّة في أحد الأبرار والصدّيقين من ضمن التذكارات السابقة للصوم. أمّا الكنائس الأرثوذكسيّة فتعيّد له في الأحد الأول بعد العنصرة إذ تعتبر أنّ القداسة ثمرة حلول الروح القدس في قلب المؤمن. والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية خصّصت يوماً واحداً خلال شهر تشرين الثاني لتكريم جميع القديسين، ويحدد هذا اليوم كل سنة وفقاً للروزنامة الأرمنية.

تذكار الموتى

يقدّم فيه المسيحيّون الكاثوليك والأرثوذكس الصلوات ويقومون بأعمال الخير طلباً لراحة نفوس موتاهم. تعيّد له الكنيسة الكاثوليكيّة في 2 تشرين الثاني وتتوقّف الكنيسة المارونيّة عنده في أحد الموتى المؤمنين الذي يبدأ به أسبوع المرفع. أمّا الكنيسة الأرثوذكسيّة ففي السبت الذي يسبق أحد مرفع اللحم والسبت الذي يسبق أحد العنصرة. وتعتبر الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية أيام الإثنين التي تلي عيد الميلاد وعيد الفصح وعيد التجلي وعيد السيدة وعيد الصليب، أياماً مخصصة لزيارة المقابر وإقامة القداديس لراحة نفوس الموتى.

ذكرى الأئمة المعصومين والأولياء

تشكّل الاحتفالات بالموالد مناسباتٍ خاصّة لدى الطوائف والمذاهب الإسلامية المختلفة. يحتفل المسلمون الشيعةُ بذكرى ولادة عدد من الأئمة منها الاحتفال بولادة الإمام علي (عليه السلام)، وولادة السيدة الزهراء (عليها السلام) بنت النبي محمد (ص)، وولادة الإمام المهدي، فهم يعتقدون بولادته، وغيبته، ومن ثم ظهوره المنتظر في وقت لا يعلمه إلاّ الله، لينشر العدل والسلام وقِيَم الخير على الأرض. ويحتفل الصوفيّون من أهل السنّة بمولد السيّد أحمد البدوي أو عبد القادر الجيلاني أو أحمد النقشبندي. وقد تتحول هذه الاحتفالات إلى زياراتٍ للمقامات والمزارات لأولئك الأئمة والأَولياء والصالحين لإقامة الحضرات، أو التماس البركة، أو قضاء الحاجات، أو سؤال التوبة والمغفرة للرجال والنساء. وقد تحضر تلك المناسبات أو تقوم بتلك الزيارات حشودٌ شعبيةٌ كبرى؛ وبخاصةٍ لدى الشيعة والصوفية.

أشهر الشيوخ الثقات وأهل العرفان لدى الموحّدين الدروز

الامير عبدالله التنوخي (1392-1479)

هو الأمير جمال الدين عبد الله بن عَلَم الدين سليمان التنوخي. ولد في قرية "عبيه" (قضاء عاليه) وتوفي فيها. عُرف بالعلم والصَلاح، وخدمة الناس حينما كان يعيش فيها. أدرك الأمير السيد الكثير من ظواهر الانحطاط التي أصابت البيئة الاجتماعية وعلى الأخصّ في الجانب الروحي. منها ما أصاب المفاهيم العقائدية ذاتها، ومنها ما أصاب الأداء المسلكي في العديد من الأوضاع الاجتماعية. وبذكاء متوقد وذهن مستنير تيقن أن الأمر بحاجة إلى إصلاح أساسي يبدأ في تهذيب الروح من شوائب الترسّب في ممارسة الطقس دون التنبه إلى ضرورة مساءلة النفس وحثها باستمرار على المضيّ قدُمًا في البحث عن كنه المعنى وحقائق تجلياته في الكلمة قدر المستطاع. أراد الأميرُ السيِّد أن يحرِّر النفسَ

مدخل مزار الأمير عبدالله التنوخي (ق) – عبيه.

من أوثان الباطن أيضاً. دعا إلى ضرورة تهيؤ الذات مسلكياً قبل الاستزادة من العِلم. ونقضَ العقائدَ الدخيلة الفاسدة التي تفشت من جرّاء تخلف حركة العقل عن إدراك غاية التعاليم. ونبّه إلى أن الذي يعوَّل عليه في الحياة التوحيدية لا كثرة الذكر والتقليد والتأثر العاطفي، وإنما ما يترسّخ في النفس من غذاء معرفي يكون بمثابة زيت الحياة لسراج البصيرة الذي ينير الداخل ويحصنه من مفاسد الشر الظاهرة والباطنة. تشكل مجمل أعمال الأمير السيّد (شروحات، رسائل، تفاسير لغوية فضلا عن سيرة حياته) صيغة فريدة جدّد بها منظورَ الرؤية للتراث التوحيدي، بمعنى أن تلك الصيغة أعادت بناء الإمكان الفقهي والثقافي بل والفلسفي لمفهوم الباطن بالمصالحة مع مجريات الزمان والمكان التاريخيَين، وبالتواصل "الطبيعي" مع الأصول الشرعية للدوحة الإسلامية. كما كتب ما يُشبه "كشف الآفاق" داخل نصوص التأويل بانسجام متكامل مع الإرث الإبراهيمي بكليّته لجهة البحث عن خواص الروح فيه. قاعدة المصالحة كانت ثقافية ومسلكية باتجاه الشمول والمشاركة وتحقيق الإنسانية في ذات الموحِّد وسط مجتمعه لا بالعزلة عنه، بل وسط العالم الذي هو في نهاية المآل "حقل المعاينة" لامتثال الحق واعتناقه. عندما توفّي الأمير السيّد، شُيّد فوق ضريحه في عبيه مزارٌ مهيب يزوره الموحِّدون الدروز وغيرهم، ويقضي الزهاد وأصحاب النذور فيه عدة أيامٍ يصرفونها بالذكْر والدعاء.

الشيخ زين الدين عبد الغفار تقي الدين (1495-1558م)

ولد في بعقلين وتوفي في كفرمتّى ودُفن فيها. درس على شروح السيد التنوخي، وصار من كبار زُهّاد العصر. كان بمثابة شيخ للعقل باعتباره أعلم أهل زمانه. كان ثابتا في التزام واجباته الدينية، مثابراً عليها. ذات يوم، أصابته أزمة وعي حاد واستولت عليه مشاعر قلق عظيم من أن تكون مساعيه تقليداً ظاهراً. أراد استشعار التحقق بكل كيانه، فانصرف إلى مزيد من العبادة بجهدٍ فائق لتنقية النية من كلّ شائبة. وثبت في مكابدته حتى "فاضت الحكمة على لسانه بالخير والمعرفة". تحوّل ضريحه في كفرمتى إلى مزارٍ للتبرك والدعاء والصلوات.

الشيخ الفاضل محمد أبو هلال (1578 – 1640م)

ولد في قرية الشعيرة (وادي التيم). ربي يتيماً في رعاية والدته، ولكن لشدّة شغفه بالعلم والمعرفة اصطنع لنفسه لوحاً للكتابة وأخذ يدرِّب نفسه على تعلم الحروف، ويسأل كلّ من له معرفة في ذلك حتى أتقن الخط والقراءة. وبعد بلوغه وغلوه في مسلك التقشف، قصد دمشق ودرس مقتديا بالأمير السيد التنوخي. وتبين لاحقا أنه أراد بالمعرفة التي قصدها أن يبني مسلكه في الزهد والورع على قواعد راسخة في العلم، مستضيئاً بالأحاديث والتفاسير والمأثورات الصحيحة، فضلاً عن التزامه التام بعلوم الأمير السيّد. خلّف الشيخ الفاضل بعض الكتابات الهادفة إلى إلقاء الضوء على لطائف المسلك الروحي ظاهرًا وباطناً، لتكون معيناً للسالك على التنبه لخفايا الآفات التي من شأنها إعاقة الطالب عن حسن التدبير وصحة التحقق، أهمها مجموع "شرح الخصال". وله العديد من القصائد المفعمة بمعاني الشوق والوجد ومحبة الله تعالى. أوصى، لشدة تواضعه واستشعاره مهابة الخالق، ألاّ يُبنى عليه ضريحٌ بعد موته. بيد أن ضريحه في قرية عين عطا، (قضاء راشيا)، تحّول إلى مزارٍ يقصده الناس لإيفاء النذور والتبرك والدعاء.

أنبياء مشتركون في الديانتين

في كلتا الديانتين المسيحية والإسلامية، شخصياتٍ مشتركة، تحمل أسماء مختلفة بين الدين والآخر، غير أن سيرة حياتها لا تختلف كثيراً بين هذا الدين وذاك. ولعل وجود هذه الشخصيات دليل تقاربٍ بين الديانتين وتواصل بين أبناء الديانات. فأيوب المعروف بصبره، ويوحنا أو يحيى بن زكريا وأليصابات العاقر، وجريس او الخضر، أسماء لأنبياء أو شخصيات يعترف بوجودها المسيحيون والمسلمون، ويكرمونها وفقاً لعاداتهم وتقاليدهم.

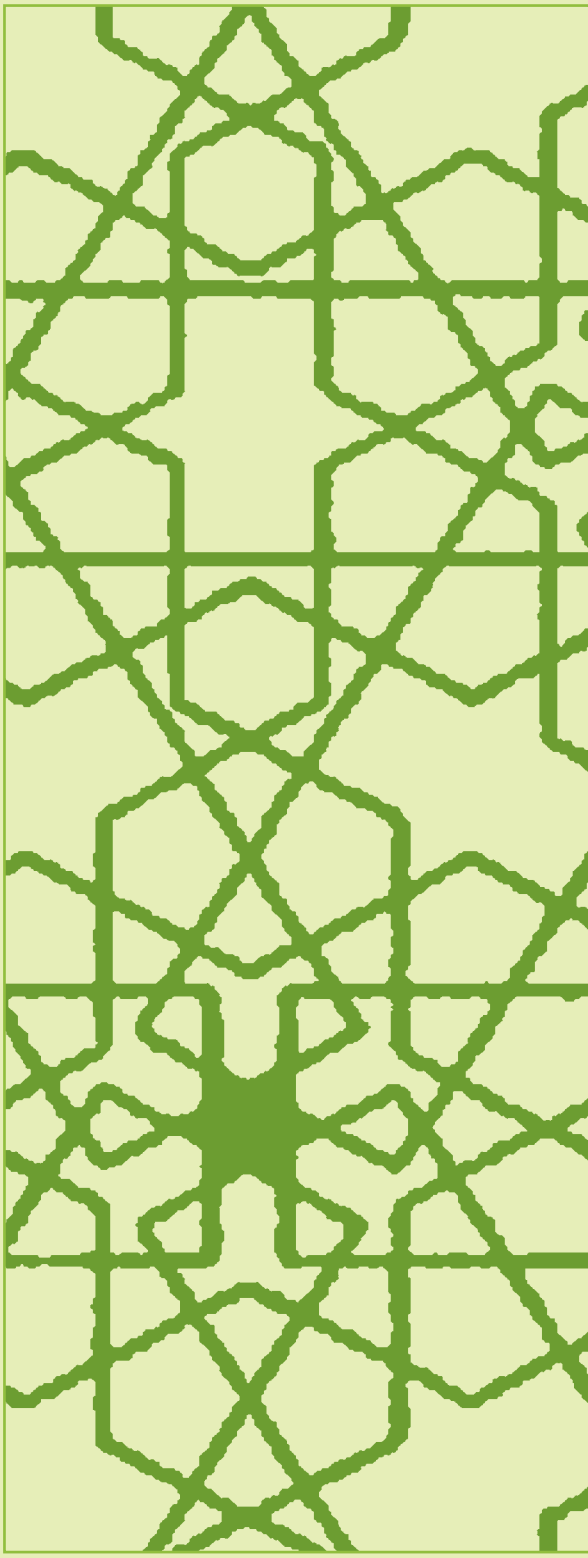

يوحنّا المعمدان أو يحيى عليه السلام

يعرف المسيحيون عن يوحنا أنه وُلد في عين كارم (اليهوديّة) قبل ولادة يسوع المسيح بستّة أشهر. هو ابن زكريّا وأليصابات. امتلأ من الروح القدس وهو بعدُ في حشا أمّه. دُعي "نبيّ العليّ"، لأنّه يسير أمام وجه الربّ ليعدّ طرقه (لوقا 1:15 و75). ويضيف لوقا أنّ الصبيّ يوحنّا كان يكبر ويتقوّى في الروح (لوقا 1: 80). تَوَجَّهَ إلى البريّة منذ حداثته. كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقةٌ من جلد. أمّا طعامه فكان الجراد وعسل البرّ (متى 3: 4).

خرج من القفر وأخذ ينادي بالتوبة معمِّداً ومبشِّراً بالملكوت، وموضحاً أنّه ليس المسيح. وقال للجمع: "ماذا خرجتم تنظرون في البرّيّة؟ أنبيّاً؟ نعم، أقول لكم إنّه أعظم من نبيّ" (متى 11: 7 - 14).

سبّب انزعاجاً للشعب وللنظام العامّ. تجرّأ ووبَّخ الملك هيرودس أنتيباس الذي تزوَّج هيروديّا امرأة أخيه هيرودس فيليبس، فيما أخوه هذا حيٌّ يُرزق.

أوقفه الملك بناءً على إلحاح هيروديا وسَجَنَه في إحدى قلاعه. وانصاع مرّة جديدة لتصميم الانتقام عند هيروديا، يوم سَكِرَ وأُخِذَ برقص ابنتها، وأقسَمَ بأن يعطيها ما تسأله. فسألته رأس يوحنّا المعمدان على طبق.

إغتمّ الملك، لكنّه لم يشأ أن يردّ طلبها، فأرسل حاجباً وأمره بأنّ يأتي برأس يوحنّا. وبلغ الخبر تلاميذه، فجاؤوا وحملوا جثّته ودفنوها (مرقص 6: 17 - 29).

ويرى المسلمون في يحيى (عليه السلام) نبياً من أنبياء الله رزقه الله للنبي زكريا بعد كثرة الدعاء لله تعالى على الرغم من كبر سنه وعقر امرأته، وجعله الله نبياً وآتاه الحُكم صبياً، ووصفه بأنه كان براً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً، وهو أول من سمي بيحيى.

النبي ايليّا أو إلياس عليه السلام

كان إيليّا النبيّ من قرية "تِشبه" في أرض جلعاد. عاش في منتصف القرن التاسع قبل المسيح، بتولاً ناسكاً لا يهاب الملوك ولا الجبابرة.

كان "آحاب" الملك تمادى بإسخاط الربّ، هو وإيزابيل امرأته. فأرسل الربّ إيليّا يقول لَه إنّه لا يكون في هذه السنين ندى ولا مطر إلاّ عند قوله. وتمّت نبوءته، فحُبس غيث السماء ثلاث سنين وستّة أشهر. وأَقامَ إيليّا عند نهر كريت، تجاه الأردنّ، يشرب من النهر، وقد أَمَرَ الربّ الغربان بأن تقوته هناك إلى أن جَفَّ النهر.

طال انحباس المطر. أَمَرَه الربّ فمضى إلى "صرفة/ صيدا"، حيث رأى امرأةً وثنيّةً تجمع الحطب فاستَقبَلَته. وكَثّر رجل الله الدقيق والزيت في بيتها، فأطعَمَته وأَكَلَت، هي وابنها. بعد هذه الأحداث، ماتَ ابنُ الأرملة، لكنّ النبيّ أخذ الولد بين ذراعيه وصلّى إلى الربّ فاستجابَ صلا تَه وأعاد الحياة إلى ابن الأرملة.

إلتقى إيليّا وكهنة البعل على جبل الكرمل، وطلب منهم أن يأتوا بثور، ويعدّوا الذبيحة، ويصلّوا إلى آلهتهم كي تُنزل ناراً على المذبح. أجابوا طلبه. لكنّ شيئاً لم يحدث، فسخر منهم إيليّا. أمّا هو فأَعَدَّ مذبحاً للربّ، وصلّى متوسّلاً إليه كي يُظهر لشعب إسرائيل أنّه الإله الحقّ. إستجاب الرّب صلاة إيليّا وقَبِلَ قربانَه بنارٍ هَبَطَت من السماء وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب، فَقَبَض إيليّا على كهنة البعل وذبحهم قرب نهر قيشون. إختبأ إيليّا موغلاً في البريّة إلى جبل الله حوريب. تراءى الله لَه في نسيم لطيفٍ هادئ، وناداه. وشَجَّعَه وأَمَرَه بالعودة إلى أرضه للدِّفاع عن الحقّ.

بعد حياة جهاد، وشهادةٍ لله وشريعته، ذَهَبَ مع تلميذه أليشاع إلى نهر الأردنّ. وإذا به يرتفع في العاصفة على مركبةٍ ناريّة صوب السماء، بعد أن أعطى تلميذه أليشاع رداءه. كان ذلك نحو سنة 880 ق. م. (سفر الملوك الأول: 17 - 19)

في رواية التجلّي الواردة في الأناجيل، رأى الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا، إلى جانبي المسيح المجَّد، كلاًّ من موسى وإيليّا. الأول يرمز إلى الشريعة، والثاني يرمز إلى الأنبياء. وكلاهما يشهدان للمسيح يسوع.

وإلياس (عليه السلام) هو عند المسلمين نبي من أنبياء الله أُرسل إلى قوم يعبدون الأصنام ومن أصنامهم الصنم المعروف باسم (بعل)، ودعاهم إلياس إلى الله، ولكنهم رفضوا دعوته وحاولوا قتله فابتلاهم الله بحبس المطر عنهم حتى بقيت معه المجموعة المؤمنة.

أيوب عليه السلام

تستخلص شخصيّة أيوب الصديق لدى المسيحيين من الكتاب الذي يحمل هذا الاسم في العهد القديم، والذي يثير السؤال الملح عند جميع الناس: لِمَ الشر والألم؟

أيوب انسان أنعمت عليه الحياة بكل خيراتها، وفجأة حلَّت به النكبة وفقد أمواله وأرزاقه الشاسعة وأولاده الكثر وصحته أيضاً. كان يعتبر ذاته صدّيقاً ورجل خير، ولم يكن يستطيع أن يفهم كيف ان الله يعاقبه، فيثور ضد الخالق. يريد أصدقاؤه أن يقنعوه بأنه خاطئ لأنه معاقب. يرفض أيوب قبول التهمة ويضم صرخته إلى صرخة جميع الذين يعانون من مصيبة.

وفي نقاش مع الله يعترف في النهاية بأنه لا يستطيع أن يسبر غور مقاصد الله، بل يجب عليه أن يصمت أمامه. وقد درَج القول المأثور "يا صبر أيوب". ونتيجة صبر أيوب على محنه وتسليمه إلى إرادة الله، منحه الله الصحة والثروة والعائلة والاعتبار، غير أن السؤال يبقى مطروحاً: لمَ الشر ولمَ الألم غير المستحق؟

تخصّه الكنيسة بيوم خاص من أسبوع الآلام هو يوم الأربعاء فتطلق عليه اسم أربعاء أيّوب الواقع في الأسبوع العظيم الذي يسبق عيد الفصح تتأمّل فيه بآلام هذا النبيّ التي هي استباق لآلام يسوع المسيح. وفي بعض المناطق اللبنانية تُكَحّل النساء عيونهنّ في هذ اليوم اعتقاداً منهنّ انّ هذا يساهم في الوقاية من أمراض العيون.

مقام النبي أيوب (عليه السلام) في نيحا الشوف.

أما بالنسبة للمسلمين، فهو نبيٌّ من أنبياء الله ابتلاه الله بضيق العيش بعد الرغد والسعة، وبالمرض وضعف الجسد بعد الصحة. تركه كثير من الناس والأقارب، لكنه صبر صبراً كبيراً على البلاء حتى مكّنه الله من الشفاء، خصوصاً بعدما دعى الله بقوله: ﴿إني مسّني الضّرّ وأنت أرحم الراحمين﴾ (سورة الأنبياء، آية 82)، لكن اللافت أن مرض أيوب لم يكن مرضاً معيباً ولا مُنفِراً لأنه نبي معصوم.

ويخص المسلمون في لبنان أيوب بيوم في السنة هو يوم الأربعاء الأخير من شهر نيسان ويدعونه "أربعة أيوب". ينزل الناس، وخصوصاً البيروتيون، إلى الشاطىء في هذا اليوم، ينصبون الخيم التي تتسع لكل أفراد العائلة، ويمضون يومهم بجانب المياه. يرتبط هذا التقليد بالمعتقد الذي يقول بأن الله أنعم على أيوب بالشفاء بعد سبع سنوات من المرض. طلب منه الاغتسال بمياه البحر واستقبال سبع موجات كي يشفى. وهكذا فعل فشفي من امراضه. لذلك ينزل الناس إلى البحر بثيابهم في هذا اليوم، تبركاً بمياه البحر التي شفت أيوب. ومن هنا القول السائد "مياه نيسان تحيي الإنسان". تسهر النسوة في الليلة التي تسبق هذا اليوم لتهيئة الـ "مفتّقة"، وهي نوع من الحلوى يتطلّب تحضيرها الكثير من الصبر والوقت لإنجازها، وذلك تذكيراً بصبر أيوب على الآلام والمرض.

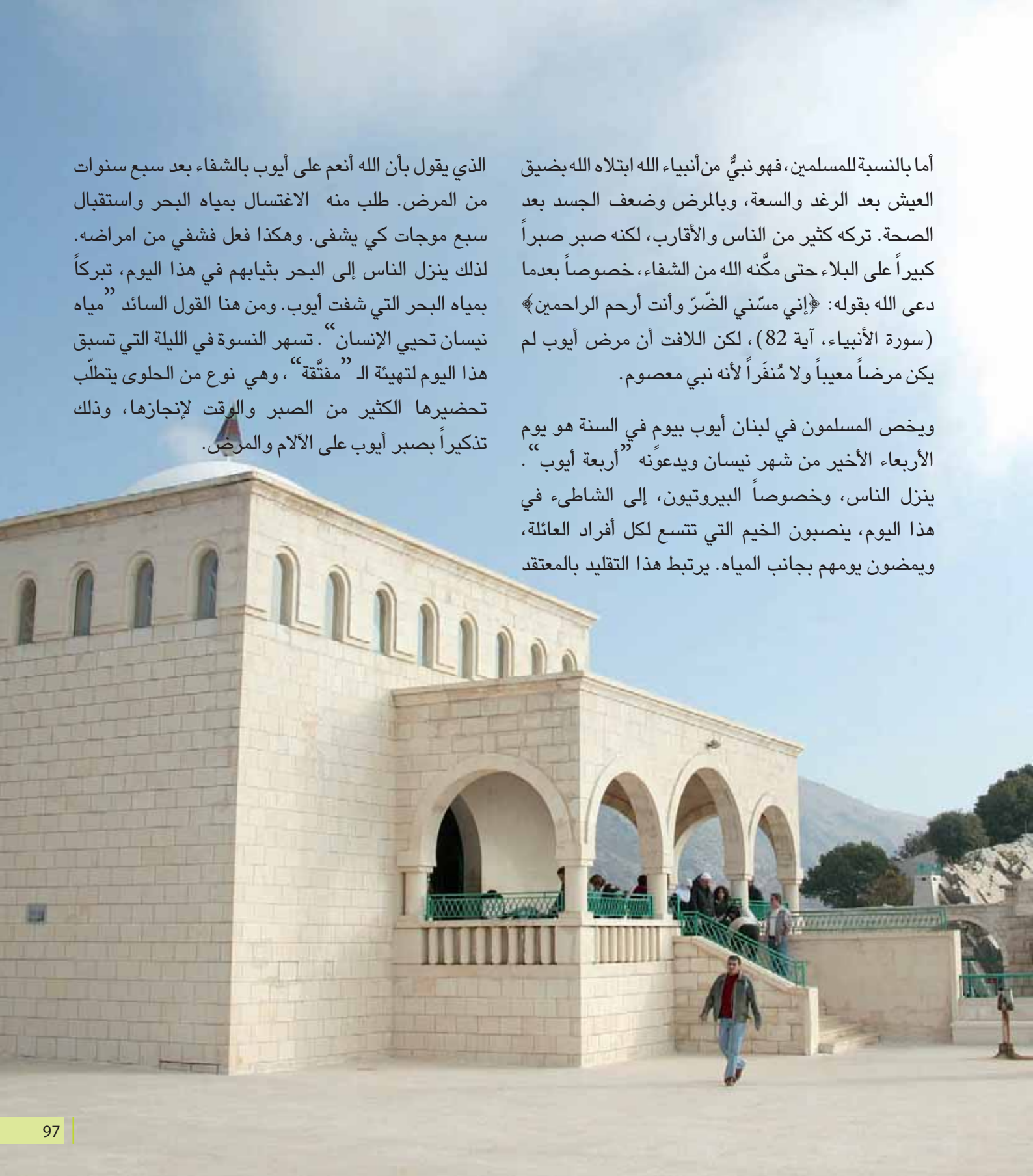

جريس/الخضر

– لدى المسيحيين

"هو الشهيد الذي يعني اسمه الفلاّح والحارث". تتوافق المصادر حول تاريخ ولادته، سنة 280م، وتختلف حول مسقط رأسه الذي قد يكون مدينة اللدّ، في فلسطين، أو مدينة فريجية في بمفيلية، أو في كبادوكية. وُلد جرجس من أسرة مسيحيّة شريفة. تُوفّي والده فربّته أمّه التقيّة تربيةً مسيحيّة صحيحة. انخرط في خدمة الملك ديوكلتيانوس، بدخوله في سلك الجنديّة. أَحَبَّه الملك لشجاعته، ورقّاه إلى رتبة قائد ألف. فكان ضابطاً رومانيّاً كريماً معروفاً بالبطولة. لمّا تَشَدَّد ديوكلتيانوس قيصر في اضطهاد المسيحيّين، وأصدر أمراً علّقه على جدار البلاط الملكيّ، في نيكوميدية، تَقَدَّمَ جرجس ومَزَّقَ هذا الأمر. قَبَضَ عليه الوثنيّون وألبسوه خفّاً من حديد، وجرّوه بأذناب خيلٍ غير مروَّضة، فخلّصه الله من هذا كلّه. ثمّ طرحوه في أتونٍ مضطرم. ولمّا رأى الملك ديوكلتيانوس هذا الشهيد غائصاً في بحرٍ من الدماء، لا يئنّ ولا يتأوّه، أَكبَرَ شجاعته، وعَزَّ عليه أن يخسره، وطلب أن يُسمح له بدخول معبد الأوثان.

أَدخَلَه الوثنيّون معبد الإله "أبولّون" وأمره الملك بالسجود للأصنام واعداً إيّاه بالصفح عنه. تَقَدَّم جرجس إلى تمثال "أبولّون" ورَسَمَ إشارة الصليب، ودعا باسم الله الواحد الأحد. وإذا بالأصنام تتساقط كلّها على الأرض محطَّمةً مهشَّمة. بُهت الملك والحاضرون من هول ما سمعوا ورأوا. وكان إلى جانبهم واحدٌ من كهنة الأصنام، فَتَقَدَّم منهم وأَقنَعَهم بأنّ عمل جرجس لم يكن إلاّ ضرباً من السحر والشعوذة. إستصوب الملك كلامه، فأَصدَرَ أمره، فصُلب جرجس ورُمي بالأسهم حتى أَسلَمَ الروح. وبذلك، نال إكليل الشهادة، في 23 نيسان من سنة 303 م، ولم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره.

– قصّته في الأسطورة

إستمدّ الناس أسطورة جرجس من الوثنيّة، فحاكوا حوله حادثة التنّين وبنت الملك. ونسبوها إلى عدّة مدن، وخَصَّها اللبنانيّون بمدينة بيروت، وتَناقَلَتها ألسنتهم. نرويها في ما يلي، بإيجاز:

نُقِلَ جرجس الضابط الروماني، يوماً، مع فرقته، إلى بيروت. في تلك الأثناء، ظَهَرَ في بحر المدينة تنّينٌ عظيم كان يفترس الناس. إتّفق ملك المدينة ووزراؤه على أن يُقدّموا له كلّ مدّة، نعجة، وفتاةً تُنتخب بالقرعة. وأصابت القرعة، ذات يوم إبنة الملك. أَحدَثَ وقوع القرعة عليها ضجّةً كبيرة في المدينة. مشى الملك والناس وراءها إلى البحر يودّعونها وهم يبكون. ولكن ما أن وصلت الفتاة أمام التنّين حتى شاهدت الضابط جرجس يسبقها إليه، وهو على ظهر جواده، والرّمح مشرَّعٌ في يمينه، يسدّده إلى صدر التنّين. هجم على التنّين ورشقه بالرمح فأرداه. رَفَع الملك والأهالي تهاليل الفرح وتَقَدَّموا من الضابط يشكرونه. وعرَض عليه الملك تزويجه من فتاته، فأبى قائلاً إنّه لم يفعل ذلك إلاّ تلبيةً لِواجب دينه.

إلى جانب هذه الأسطورة، رواياتٌ أخرى: بعضها ينتهي بزواج جرجس من الأميرة، وبعضها الآخر ينسب الأحداث إلى ضفّة بحيرةٍ في ليبيا.

– لدى المسلمين

دعاه المسلمون "الخضر"، وعدّوه شفيع البحّارة والغرقى والمبشِّر بالربيع، من هنا تسميته "الخضر". وهو أحد أعظم الأولياء عندهم، بحسب القرآن، لأنّ الله أَودَعَه مهمّة القيادة التي أُلقِيَت على عاتق موسى. يكرّمه، خاصةً، الصوفيّون منهم. وبحسب بعض المحلّلين ينطبق هذا الاسم أيضاً على النبيّ إيليّا. ويظنّون أنّ شفاعة جرجس تطول الغرقى والمتنقّلين في الصحراء. أمّا إيليّا فهو سيّد البحار. والإثنان– أي جرجس وإيليّا غير قابلين للموت لأنّهما ارتويا من نبع الأبديّة. وجاء في بعض الروايات أنّ إيليا وجرجس شقيقان، وفي البعض الآخر، أنّ خضر (جرجس) هو شابٌّ مغرمٌ بصبيّةٍ تُدعى إيليّا تواعدا بأن يلتقيا على الأرض. ويعتبر بعضهم أنّ روح الشخصيّة السرّيّة التي تجد نبع الحياة وتشرب من مياهه تكتسب عدم الموت. وهي حَلَّت أوّلاً في جسد إيليّا، ولاحقاً في جسد جرجس.

أمّا الدروز فيعتبرون جرجس بطلاً شجاعاً. كان أمراؤهم ومشايخهم يُلزمون المسيحيّين، أيّام الإقطاع، ببناء أديرتهم وكنائسهم على اسمه، أو على اسم غيره من الأبطال. تحليلٌ آخر يربط بين مار جرجس ومار الياس: لفظة جرجس تعني "الفلاّح" والفلاّحُ يُخصب الأرض فتخضرّ، ومن هنا تسمية الخضر. أمّا "إيليّا" فيعني اسمه "إيل هو يهوه". حارب إيليّا كهنة بعل، ولفظة "بعل" تعني عدم الخصب. إذا طَبَّقنا التسمية على الأرض، فيكون إيل هو إله الخصب الذي يكسو الأرض اخضراراً، ويُضحي إيليّا هو الخضر، على مثال جرجس.

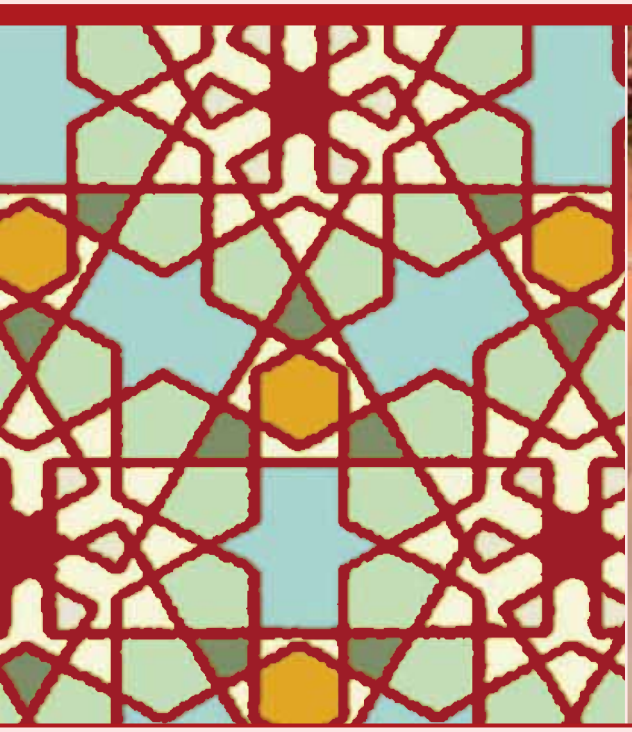

المؤمن والزمان

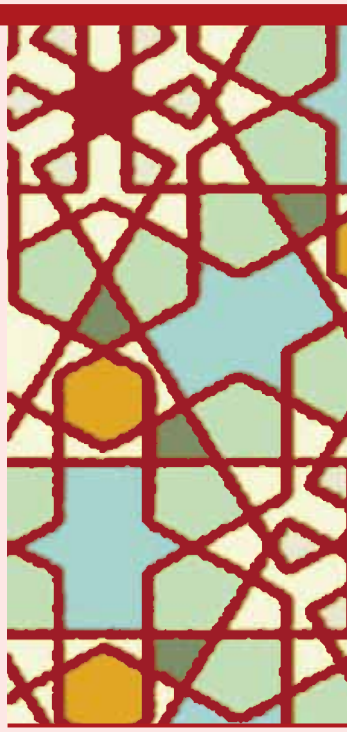

يرفض الكثير من الناس، عن وعي أو عن عدم وعي، هذا الزمان الذي يمر ويقود إلى الموت. يرفضون زمان مجتمع يُتعب بتنظيمه، ويبحثون عن إيقاع داخلي وشخصي وطريقةً عيش يقبضون فيها على زمام الزمان وعلى ذواتهم، ليربطوا اللحظة العابرة بالخلود.

يعيش المؤمن كل لحظة من لحظات الزمان في حضور الله الذي ينتظر دائماً إجابة الانسان الحرَّة على نعمته المقدّمة له، وإظهار عزمه على الشهادة لهذا الحضور بيقظته وإطلالته الجديدة على الزمان.

الولادة (إنجاب الاولاد)

إنجاب الأولاد واجب أساسي على كلّ زوجين في المسيحية، ويعتبر بمثابة بركة من الله. عندما تتمُّ الولادة، يدعو الأهل كاهن رعيتهم ليبارك الأمّ الوالدة والطفل المولود جديداً، فيُلَبّي دعوتهم ويتلو صلاةً خاصة بالمناسبة على الوالدة والطفل، قرب السرير في المستشفى أو البيت. في اليوم الثامن، يعطي الوالدان لطفلهما الأسم المسيحي، ويضعانه بحماية القدّيس شفيعه.

عندما يصبح بإمكان الأم والطفل الذهاب إلى الكنيسة (تقليديّاً بعد أربعين يوماً)، يستقبلهما الكاهن على باب الكنيسة ويتلو صلاةً خاصة بالوالدة وطفلها، ويدعو من أجل مباركة الطفل ونموه في الفهم والقداسة، ومن أجل حفظه من القوات المضادة. وتساوي المسيحيّة بين الصبيّ والبنت منذ ولادتهما، وهي تعترف بحق كلٍّ منهما بالتربية العلميّة والدينيّة، وبالعناية الصحيّة والطبيّة، وبحب الوالدين.

وفي الإسلام يركز القرآن على التساوي في القيمة الإنسانية بين المولود الذكر والأنثى: ﴿خلقكم من نفس واحدةْ﴾ (سورة النساء، آية 1) و﴿يا أيها الناسُ إنّا خلقناكم من ذَكَرٍ وأُنثى وجعلْناكم شُعوباً وقبائلَ لتَعَارَفوا. إنّ أكرمَكُمْ عند الله أَتْقاكم﴾ (سورة الحجرات، الآية 13). فالله تعالى هو الذي قسم الخلق، فوهب الذكور والإناث لمن يشاء.

فقد كانت لدى العرب قبل الإسلام تقاليدُ وأعرافٌ تمييزيةٌ بين الذكر والأُنثى وتفضيل الذكَر على الأُنثى، استنكرها القرآن: ﴿وإذا بُشِّر أحدُهُم بالأُنثى ظلَّ وجهُهُ مسودَّاً وهو كظيمٌ﴾ (سورة النحل، آية 58). كما استنكر عادة وأد البنات لدى بعض القبائل وفي بعض النواحي: ﴿وإذا الموءودةُ سُئلت بأي ذنبٍ قُتلت﴾ (سورة التكوير، آية 8 و9). واستندّ القرآنُ الكريمُ في ذلك إلى وحدة الخَلْق.

الدخول في الدين

في المسيحيّة

سرّ العماد

المعموديّة بدايةُ الحياة في الكنيسة، والبابُ الذي يُدخل إلى باقي الأسرار في رتبة العماد. وبعد ختم الطفل بالصليب المقدّس، يعلن العرابان (العرّاب هو من يقدّم أحد الأشخاص إلى المعموديَّة مشاركاً في المسؤوليّة عن تنشئته الروحيّة وثباته) والأهل، كفرهم بالشيطان وإيمانهم بالثالوث الأقدس وبالكنيسة؛ ومن ثمّ يصير تقديس مياه المعموديّة، وتُمسح جبهة المعمّد بزيت العماد المقدّس. هذا الزيت هو زيت الإنارة. به يصبح المعمّد نوراً من نور المسيح.

ويرمز الزيت أيضاً إلى تقوية متقبّل المعموديّة في صراعه مع قوى الشر. الطقس الأساسي في المعموديّة هو تغطيس المعتمد بشكلٍ كاملٍ ثلاث مرّات بالماء أو صبّ الماء ثلاثاً على المعتمد مع قولِ هذه الكلمات: يُعمَّد (فلان) حملاً في رعيّة المسيح، باسم الآب والابن والروح القدس للحياة الأبديّة.

الكنائس البيزنطية تعتمد تغطيس كامل الجسم أثناء التعميد، إذ يتم تغطيس جسم المعتمد في الماء ثلاث مرات: الرأس ثم بقية الجسم. وتكتفي الكنائس الكاثوليكية بصب الماء على رأس المعتمد ثلاث مرات

قبل النزول في مياه المعموديّة يخلع المعمّد ملابسه الخارجيّة رمزًا لترك الإنسان القديم. وبعد المعموديّة، يلبس اللّباس الأبيض تعبيراً عن الوضع الجديد أو الإنسان الجديد الذي صار إليه. تضاف إلى ذلك، أحياناً، بعض الممارسات التقليدية في الطقوس فيوضع القليل من الملح على لسان المعمَّد رمزاً إلى أنه يصير ملح الأرض القادر على أن يعطي طعماً جديداً للوجود كلّه؛ في نهاية العماد يحمل جميع الحاضرين شموعاً مضاءة ويقومون بتطواف داخل الكنيسة. بعد الاحتفال، يوزّع أهل المعمَّد على جميع الحضور الملبَّس الأبيض اللون.

يمكن الاحتفال بالعماد في أيّ يوم من الاسبوع. ويجب على العرّاب أن يكون معمَّداً، مثبَّتاً ويعيش حياة متّفقة مع مقتضيات الإيمان. كما عليه واجب الاهتمام بتربية المعمَّد تربية دينيّة في حال غياب أو فقدان الأهل. المعموديّة ضروريّة للخلاص. غير أنّ الذي يفتّش عن الحقيقة ويعمل إرادة الله حسبما يعرفها، ودون أن يعرف الإنجيل، يمكنه أن يَخلصَ بشوقِهِ الضمني للعماد. هذا ما يُسمّى بعماد الشوق.

سرّ التثبيت
أو سرّ المسحة بالميرون

الميرون المقدّس

الميرون هو الزيت الممزوج بعطور متنوّعة، يرمز إلى امتلاء القوّة التي يعطيها الروح القدس. وتتمّ بركة تقديسه في المعموديّة، والتثبيت والكهنوت، وفي تكريس الكنائس، والمذابح والأجراس. وهو زيت الرائحة اللذيذة والطعم الطيّب. به يحمل المعمّد والمثبَّت رائحة المسيح الطيّبة لينشرها حوله من خلال أعماله الصالحة. وتستخدم الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية الميرون المقدس في جميع طقوسها الدينية.

تعني هذه المسحة "تثبيت" طالبي العماد في الإيمان الذي أعلنوا عنه أو في "معرفة الله".

تمنح الكنائس الشرقيّة سرّ الميرون أو التثبيت، بعد العماد مباشرة، بوسم المعمّد بالميرون ودعوة الروح القدس. ويمنح هذا السرّ، كما سرّ العماد، مرّة واحدة في الحياة، لأنّه يَسمُ الإنسان وسمًا لا يُمحى، وينتدبه لخدمة المسيح والشهادة له قولاً وعملاً.

تأتي "المسحة بالميرون" على الجبهة تعبيراً لطبيعة العماد: "رائحة الإيمان الحقّ الطيّبة"، و"طابع وملء نعمة الروح القدس".

مسح الجبهة وأعضاء الحواس واليدين فالرجلين بالميرون أثناء رتبة التثبيت التي تلي رتبة العماد

إضافةً إلى ذلك، تشير المسحة بالميرون المقدّس على الجبهة، ثلاث مرّات باسم الثالوث الأقدس وبشكل صليب، إلى ما صار إليه المعتمد بفضل عماده: رسولَ المسيح وشاهدًا له، لأنّه بعماده لبس المسيح، وحمله رائحة عذبة طيّبة يفوح بها من خلال عَيشه وكلامه.

في بعض الكنائس يقوم الأسقف أو الكاهن المفوّض من قبله بتثبيت المراهق أو المراهقة المعمَّد الذي يتقدّم لتقبّله. في هذه الحال، يُعطى التثبيت عموماً في القداس الالهي (أو اجتماع العبادة في الكنائس البروتستانتية) بعد العظة المفسّرة للإنجيل، هكذا يكون المثبّت داخل الجماعة حيث ينمو إيمانه.

في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، بعد إعلانه قانون الإيمان، يضع عرَّاب طالب التثبيت يده اليمنى على كتفه ويتقدّم معه نحو الاسقف أو الكاهن، الذي يغمس إبهامه الأيمن في الميرون المقدّس، ثم يضع يده اليمنى على رأس طالب التثبيت ويرسم بإبهامه الصليب على جبينه فينال المثبّت القوّة والشجاعة لإثبات إيمانه، ولتحمّل مصائب الحياة بصبر. ويصير بالميرون ممسوحاً، يحلُّ عليه الروح القدس مثل حلوله على يسوع المسيح بعد عماده في الأردن.

في عدد من الكنائس وبنوع خاص في الكنائس البروتستانتية، يخضع المراهقون المرشحون للتثبيت لدورة تعليمية في العقيدة المسيحية. وفي الخدمة الاحتفالية التي تُقام للمناسبة، يتلو القسيس أمام جمهور الكنيسة أسماء المرشحين، وبعد أن يعترفوا بإيمانهم، بتلاوة قانون الإيمان، ويتعهدون القيام بواجب الشهادة المسيحية، يرفع القسيس صلاة التثبيت، بعدها يمنحهم يمين الشركة معلناً قبول هؤلاء المثبتين أعضاء جدداً في الكنيسة ويرحب بهم للاشتراك في الاحتفال الافخارستي.

زيت المرضى

إضافةً إلى زيت العماد وزيت الميرون تستخدم الكنيسة زيتاً آخَر في سرّ مسحة المرضى. إنّه الزيت الذي يشفي المريض من آلامه الجسديّة والنفسيّة والروحيّة. هذا الزيت لا يُستَعمَل في أسرار التنشئة إنّما عند دخول الإنسان المريض في خطر الموت.

ملاحظة: جميع هذه الزيوت مأخوذة من زيت الزيتون ويكرّسها البطريرك في رتبة خاصّة بها يوم خميس الأسرار.

المناولة

يشارك المعمّد الجديد في الإفخارستيّا، على ما دَرَجَت عليه عادة تعميد المؤمنين بالمسيح في القرون المسيحيّة الأولى، وكما هو حاصلٌ اليوم في الكنيسة الأورثوذكسيّة. يومَها كانوا يُعَمَّدون ويُثَبَّتون ويُناوَلون جسد يسوع المسيح ودمه في يوم واحد. مناولة الأطفال المعمّدين يتطلّب قراراً كنسيّاً لم يُتَّخَذ بعد في الكنيسة المارونيّة وعددٍ من الكنائس الكاثوليكيّة. يُكتَفى الآن بمناولة المعمّدين البالغين، بعد إعدادهم لها وفق برنامج تنشئة يخضعون له في المدرسة وفي الرعيّة.

الإعداد للمناولة الأولى عند الكاثوليك ينطلق من توعية الطفل على انه بلغ سن الرشد وبدأ في سلوك الحياة الواعية والمسؤولة. تستفيد المؤسّسات والأهل معها من هذا الظرف للاحتفال بالمرحلة الجديدة المميّزة في حياة الأطفال، ويسعون إلى تخليد هذه الذكرى بتوزيع الهدايا التي تدوّن تاريخ المناولة الأولى واسم من تقبّلها، وبدعوة الأقارب والأصدقاء ليشاركوا فرحة الوالدين ويشهدوا على بلوغ الولد سن الرشد والمسؤولية. فالاحتفال الرعوي الذي يقام في الكنيسة لدى تقدّم الأولاد للمرّة الأولى من سرّ القربان، هو احتفال المناولة الأولى.

تتمّ المناولة الأولى في الكنائس البروتستانتية بعد التثبيت مباشرة، وبعد أن يكون المثبَّت خضع لدورة تعليمية في العقيدة المسيحية. غير أن الكنيسة اللاتينيّة وضعت شروطاً لتأهيل الطفل للمناولة الأولى تفرض عليه:

- أن يتمكّن من فهم ما تمثّله القربانة فيعرف الفرق بين الخبز العادي والخبز المقدّس، جسد المسيح، ويرغب بالتعرف أكثر على يسوع المسيح وتعليمه.
- أن يعرف الطفل أن الكنيسة هي أيضاً جسد المسيح فيحبها ويتمنّى الحياة معها.
- أن يكون الطفل متصالحاً مع الله، حاصلاً على نعمته وعلى الغفران عن خطاياه.
- أن يكون ممتنعاً عن الأكل قبل ساعة على الأقلّ.

يتم الاحتفال بالمناولة الأولى في الكنائس الكاثوليكية بشكلٍ جماعي، فيلبس الأطفال ثياباً بيضاء للدلالة على نقاوة القلب ويتقدمون لأول مرّة في حياتهم لتناول القربان، خلال قداس احتفالي يشاركهم فيه الأهل والأصدقاء

في الإسلام

الولادة

لا يفرضُ الدينُ الإسلاميُّ شعائرَ خاصّةً بالولادة والمولودين، إذ بحسب قول النبي (ص): كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة. وأبوه وأمُّه هما المسؤولان عن تنشئته التنشئة الصالحةَ دينياً وأخلاقياً وإقداراً على مواجهة أعباء الحياة بالتربية والتعليم والاندماج في البيئة والمجتمع. ويترافق مع ولادة المولود جملة من الأعمال التي يمارسها الأهل ومنها:

- أن يحمله والده بعد ولادته مباشرة فيؤذّن له في أذنه اليمنى، ويقرأ إقامة الصلاة في أذنه اليسرى، لتكون أول العلاقة معه وأول ما يدخل إلى مسمعه ذكر الله سبحانه وتوحيده.
- أن تتمّ تسميته بشكل مؤقت ولمدة سبعة أيام أحياناً باسم "عبد الله" أو "محمد"، إذ خير الأسماء ما عبِّد وحمِّد. ولتكون الفرصة سانحة لتسميته بالاسم المناسب بعد ذلك. إذ من حقوق الابن على والديه أن يحسنا تسميته.
- قص شعر الطفل بعد سبعة أيام، والتصدّق بوزنه فضة على المحتاجين.
- الختان للمولود الذكر عن ولادته.
- تقديم "العقيقة" كفداء عن المولود، وهي عبارة عن شراء خروف أو ما يشابهه حسب الإمكانات. وتقديم لحمه بعد ذبحه إلى الفقراء من الجيران، أو طبخه ودعوة من يحبون إلى الوليمة، شرط أن لا يأكل الوالدان منها وتكون بمثابة قربان وصدقة رجاء حفظ المولود.
- تعليم الأطفال عند بداية وعيهم معنى الشهادتين، وتعليمهم قراءتها وقراءة السورة المباركة الفاتحة، أي سورة الحمد.
- تدريب الأطفال على الصلاة قبل البلوغ، حتى إذا ما بلغوا سن التكليف التزموا بتأديتها. ويبدأ سن التكليف للفتيات عند سن الثامنة. أما الفتيان فعند سن الثالثة عشرة.
- درجت بعض العادات الشعبيّة على تقديم الجيران الهدايا عند ولادة الطفل. كما درجت العادة في بعض المؤسسات الإسلامية بإقامة احتفال تكريمي سنوي للفتيات عند وصولهن سن التكليف، وارتدائهن الحجاب.

الختان

الختان عادةٌ قديمةٌ كان يقوم بها العرب وشعوب سامية أُخرى، تنسبُها المروياتُ الإسلامية إلى أبي الأنبياء إبراهيم. جذر الكلمة ختن أي قطع، ويتم عادةً خَتْنُ المولود الذكَر في الشهر الأول للولادة إن أمكن، إذ تتم إزالة قطعة من الجلد في العضو الذكري للصبي، فيتخلّص بذلك من مخبأ لأوساخ أو جراثيم أو حتى فطريات.

الزواج وما يترافق معه

الزواج إطار اجتماعي يجمع الرجل والمرأة، بحيث يشعر الإنسان، عند إتمام سنّ البلوغ بالحاجة إلى أن يُحب وأن يكون بدوره موضوع حب. قد يتطور هذا الحب، بحيث يشكّل حافزاً يجعل المرأة والرجل يقرران الإرتباط ضمن رابط الزواج.

الزواج في الدين المسيحي كما في الدين الإسلامي، شرط أساسي لإنجاب الأولاد. وبالرغم من اختلاف مفهومه بين الديانتين، يبقى نوعاً من الإتفاق بين رجل وامرأة، على العيش معاً تحت سقفٍ واحدٍ حيث ينجبان الأولاد ويكونان لهم الأم والأب. تتغيّر العادات والتقاليد بين الديانتين في ما خصّ الزواج، وقد تسبقه فترة تحضيرية تسمى الخطبة.

في المسيحية

يتصف الزواج المسيحي بميزات خاصة: الوحدة وبالتالي رفض تعدد الأزواج، يرتكز لاهوتياً على تعليم العهد الجديد، واجتماعياً على المساواة الأساسية بين الرجل والمرأة، كما تجد رمزها الديني في اتحاد المسيح والكنيسة التي هي واحدة. ويتميز الزواج المسيحي بغير الإنفصام وبالتالي ينفي الطلاق كلياً لأنه يفصل ما وحّده الله. علاوة على ذلك يتميز الزواج المسيحي أيضاً بواجب السعي لإنجاب البنين، وأيُّ رفض لهذا الواجب ينحرف بالحياة الزوجيّة عن عطيتها المميَّزة أي الطفل، ويحرم الزوجين من مشاركتهما الله بالأبوّة.

يقتضي الزواج زمناً استعدادياً له يتمُّ أحياناً في فترة الخطبة، ويُحتفل به في حفلة جمهورية هي الإكليل، حيث تتمُّ المعاهدة علناً في الكنيسة بحضور رجل الدين المفوض لذلك، والشهود وجماعة المؤمنين.

الخُطبة

الخطبة في المفهوم الكنسيّ "رتبة مباركة الخواتم" لعهد رسميّ بالزواج لاحقاً. تقام عادةً في بيت الخطّيبة خلال وليمة يدعى إليها الأهل والأصدقاء، فيتبادل الخطيبان عهد التراضي ويقدّم أهل الخطيب الهدايا والمهر للخطيبة.

بعد الخطبة ينصرف الخطيبان إلى تعميق معرفة كل واحد للآخر بدون أن يتشاركا في المسكن، ويستعدان استعداداً مباشراً للزواج، يطّلعان على ما ينتج عنه من واجبات دينيّة ومدنيّة ويرسمان مشروعهما المشترك في الكنيسة والمجتمع. وبعد أن يصلا إلى الاقتناع من أمانة الحب المتبادل إلى مدى الحياة، يحدّدان موعد الإكليل ومكانه، ويتفقان بشأن الاشبينين الشاهدين على معاهدتهما الرسميّة.

غالباً ما يُلبس أهل الخطيب الخطيبة المجوهرات بعد لبس الخطيبين المحابس في بنصر اليد اليمنى

الإكليل

كما تركّزت رتبة الخطبة على الخواتم، كذلك رتبة الزواج تركّزت على الأكاليل. وسُمِّيَت رتبة الزواج، في التقليد الشرقي، باسم الحركة الأساسيّة فيها، وهي وضع الأكاليل على رأس العروسين، فدُعِيَت "خدمة التكليل"، أو "رتبة التكليل". تُبارَك الأكاليل بصلاة، ويرافق وضع كلّ منها على رأس العروس والعريس صلاة، كما يرافق رفعهما عن رأسيهما صلوات. ويبدّل الكاهن إكليلي العروسين ثلاثًا في الطقس البيزنطي. ويطوف العروسان مع الاشبينَين وراء الكاهن، حول الطاولة، مكلَّلين، ويشرح معنى هذا التطواف تقليد الطقس الكلداني الذي يختتم رتبة التكليل ببناء غرفة الزوجين: فالتطواف والبناء يدلاّن على أهميّة انتقال العروس من بيتها الوالدي إلى بيت عريسها، في موكب احتفالي ليلي تنيره المشاعل وتؤنسه الأناشيد والأغاني والرفقة الحميمة، ذكره السيد المسيح في مثل العذارى العشر. ويتفرّد الطقس القبطي

حاليًّا بدهن العروسين بالزيت. وهذا الدهن بالزيت لا يُفهم إلاّ بمقارنة مع دهن الملوك واللاويّين بدهن المسحة قبل تتويجهم. تصنع الأكاليل من زهور المواسم أو من أغصان شجر الغار أو الزيتون وغيرها أو من معدن. وتوضع على الرأس إشارة إلى سموّ الشخص أو للزينة أو للتكريس لشخص أو للتدليل على انتصار. ويعطي يوحنا الذهبي الفم الاكليلَ في الزواج معنى آخر: "يوضع إكليل على رأس العروسين رمزاً لانتصارهما. يتقدّمان نحو ميناء الزواج منتصرين على الشهوة". قبل بدء الاحتفال، تصل العروس إلى الكنيسة برفقة والدها أو وليّ أمرها وتلتقي بالعريس الذي ينتظرها على مدخل الكنيسة، فيدخلان معاً إليها برفقة الإشبينَين الشاهدَين المختارَين من الأهل والأصدقاء وأطفال المواكبة. ترافق التراتيل والموسيقى دخول العروسين ولدى خروجهما من الكنيسة، يتقبّلان مع الأهل والأقارب التهاني من الحاضرين.

يحمل العريس عروسه قبل دخول منزلهما الزوجي، لتلصق خميرةً فوق المدخل الرئيسي للمنزل، طلباً للبركة والخير في حياتهما المشتركة الجديدة.

فسخ الزواج والطلاق

الطلاق هو الفسخ الشرعي للزواج أثناء حياة الزوجين. ترفض المسيحية في أساسها الطلاق، لأنّ الزواج هو معاهدة الزوجين أمام الله على الأمانة المتبادلة مدى الحياة كلها. وتدعو المسيحية المتزوجين شرعياً، للبقاء أمناء حتى نهاية الحياة لكلمة العهد المتبادل. وهذا ما تسميه اللاانفصام في الزواج.

غير أن الكنيسة تعترف أن الخطأ والفشل يشكلان جزءاً من الحياة الإنسانية، وتوجد بالتالي حالات يكون فيها الانفصال بين الزوجين مبرَّراً ولا مفر منه. أمام هذا الواقع تحترم الكنيسة الكاثوليكية الأشخاص الذين يضطرون لأخذ قرار الانفصال الصعب والمؤلم في أكثر الأحيان، غير أنها تؤكد استمرار الرباط الزوجي المتمّم شرعيّاً. أما الكنائس الأرثوذكسية ومنها ضمناً الكنيسة الأرمنية الأورثوذكسية والبروتستانتية، فتعلن أنها توافق أحياناً على فكّ الرباط الزوجي وتعتبره شراً أقل من سوء التفاهم والنزاع في الأسرة. وينتج عن ذلك انها توافق على زواج آخر للحاصلين على فكّ الرباط الزوجي، وتعطيهم شرعيّاً أسرار الكنيسة.

من جهة أخرى تعترف الكنيسة الكاثوليكية بحقها في إعلان بطلان الزواج من الأساس لدى طلب أحد الزوجين ذلك من المحكمة الكنسية، في حال ثبت أن أحد الأسباب الآتية كان قائماً قبل الاحتفال برتبة الإكليل:

أولاً: غياب الشروط المطلوبة إلزامياً لصحة الزواج، مثل: العمر، الصحة العقلية...

ثانياً: وجود عيوب في القبول المتبادل بين الزوجين، مثل: نقص الحرية في القبول، إنكار الميزات الجوهرية للزواج، عدم نضج الزوجين العاطفي، العجز الجنسي، المثليّة الجنسيّة، رفض إنجاب البنين أو رفض الحياة الزوجيّة.

بعد إعلان بطلان الزواج تعطي المحكمة لكل من المدعيين شهادة مطلق حال، وتسمح لكل منهما عقد زواج آخر في الكنيسة.

أما الكنائس "البروتستانتية" فهي لا تعتبر الزواج سرّاً مقدساً، غير ان الزوجين يطلبان بركة الله لمشروع حياتهما المشتركة في احتفال كنسي يترأسه قسيس مرسوم. كما أن الطلاق أمر جائز بعد أن تكون محاولات الصلح باءت بالفشل وأصبحت الحياة الزوجية المشتركة أمراً مستحيلاً. ويفسح في المجال لكل من المطلقين بطلب بركة زواج آخر.

في الإسلام

الزواج في الإسلام من المستحبّات المؤكّدة لكل من الرجل والمرأة البالغَين، لما فيه من ضبطٍ لشهواتهما واستمرار للنسل الإنساني واستقرار للحياة الاجتماعيّة. ويُعد الزواج المبني على المودة والرحمة، آية من آيات الله بمقتضى قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكّرون﴾ (سورة الروم: آية 21). ويحثُّ على الزواج عندما يبلغ الشاب والفتاة السنَّ الملائمة وتتوافر الشروط المادية والنفسية التي تُرجِّحُ نجاح الارتباط. وتقومُ علاقات المودّة والرحمة على الشرعية التي يدعو إليها العُرف الإنساني والشرائع السماوية، أي قيام علاقة زواجٍ علنيٍّ ومعقودٍ بين الرجل والمرأة اللذين يريدان إنشاءَ أُسرة.

الخُطبة

تسبقُ الزواجَ أحياناً خُطبةٌ من خلالها يعرف الشابُ الفتاةَ عن كثب، ويعرف أهل الطرفين كلاً منهما. والخُطبة عادةٌ قديمةٌ المقصودُ بها إمكانُ التعارُف والتقارُب بين الشاب والفتاة بطريقةٍ علنية. وتختلف العادات الاجتماعية المرتبطة بالخطبة، فعند العائلات المتديّنة لا تتم من دون عقد، أما الخطبة المجرّدة من عقد الزواج فلا يترتّب عليها أي أثر شرعي أو قانوني إذ تكون مجرّد وعدٍ بالزواج ليس أكثر، يمكن فسخه في حال ارتأى الخطيبان ذلك. وفي مطلق الأحوال، لا يحق للخطيبين من دون عقد أن يقيما علاقة جنسية. من المستَحَبِّ اجتماعياً ألاّ تطول الخطبةُ، وأن يعمد الطرفان، إذا توافقا بدون ضغوط، إلى الارتباط عن طريق عقدٍ الزواج. وجرت العادة أن يقدّم الخطيب هديةً للمخطوبة، وأن يقترن ذلك بحفلٍ ضيّق تقرأ فيه الفاتحة على نيّة رجاء التوفيق والتسديد.

عقد الزواج

الزواج في الإسلام عقد قائم على التراضي بين طرفَي العقد: الزوجة والزوج. ويقدم الرجل على الزواج إذا تيقن أنه قادر على القيام بحقوق الزوجة. ومن أسسه التصريح، وهو يتم بلفظ الزواج في الإيجاب والقبول بين الزوجين فينعقد عندها العقد بقول: "قبلت الزواج". وللأب وحده ولاية على الفتاة التي لم تتزوج من قبل، فلا يجوز الزواج من دون رضاه، وتنتقل منه إلى أبيه. ولا تعني ولاية الأب إلزامه لابنته بالزواج ممن يريد مع عدم رضاها ورغبتها، إذ تسقط قانوناً ولايته عليها في حال منعها من الزواج من الرجل المناسب لها شرعاً وعرفاً. كما تسقط قانوناً ولاية الأب على ابنته في الزواج الثاني لها. ولا ولاية على المرأة لأحد من الأقارب إلاّ أباها، فلا الأخ ولا العم أو الخال أو غيرهم هم أولياء عليها. ويجيز المذهب الحنفي للفتاة الزواج من دون موافقة وليها، كما تعطي المذاهب الفقهية الأخرى الحق للقاضي في تزويج الفتاة في حال امتناع الولي عن تزويجها بمن تريد إذا كان امتناعه تعسفياً. ويقدِّم الرجل مَهْراً للعروس: هديّة يقدمها عند الزواج. وقد يكون المهر وثيقة مؤخّرة تهدف إلى تعقيد الطلاق على الرجل، إذا ما أراد يوماً أن يطلّق زوجته؛ إذ يكون المهر حينها حقاً من حقوق المرأة على الرجل التي عليه تأديتها قبل الطلاق، وهذا ما يسمّى بالمهر المؤجّل، والأجل الذي يحدَّد عادةً لدفع المهر المؤجّل، هو الطلاق أو وفاة أحد الزوجين، ويعبّر عن ذلك في العقد بأقرب الأجلَين.

تستمرُّ احتفالاتُ الزفافَ أياماً في الأعراف والتقاليد، وهي تُقامُ في بيت العروس للنساء قبل العقد، وفي بيت الزوج وأهله بعد العقد. وجرت التقاليد الاجتماعية أن يكون العرس قسمين: قسماً للرجال وقسماً للنساء. فعند الرجال يزف العريس من مدخل مكان الحفلة إلى داخلها بالطبول والزمور وتزف العروس من النساء قبل خروجها إلى العريس وعند دخولها مكان الحفلة بالزغاريد. وقد يفتتح حفل الزواج بتلاوة من القرآن الكريم تبركاً ثم بالمدائح النبوية فضلاً عن كلمة رجل الدين الذي يسوق الزواج من معانيه الروتينية إلى معانيه الدينية المنبعثة بالحياة والتفاؤل وتوضيح علاقة الزوج بالزوجة. بعد الانتهاء يزف العروسان الزفة الأخيرة مع بعضهما إلى مكان استقرارهما.

ولا يرى الفقهاءُ الإسرافَ في الاحتفال، ولا في قيمة المَهر. لكنّ العروس بحسب النصّ القرآني تستطيع أن تطلب ما تشاء، ويكون ذلك مِلْكاً خالصاً لها. ولا يجوز

للرجل أن يظلم إمرأته بسلبها مهرها، إذ يقول الله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهنّ نِحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ (سورة النساء، آية 4). والصدقة هي الصداق أي المهر، والنِحلة هو العطاء من دون مثامنة، أي من دون أخذ ثمنٍ أو عوضٍ في مقابله. وليست النِحلة اسماً للمهر، بل هي اسم لكل ما يعطى من دون عوض. والأمر المهم الذي تشير إليه الآية، هو النهي عن عادةٍ جاهليّة كانت تقضي بأن يأخذ الأب مهر المرأة، فأتى الإسلام لينهى عن هذه العادة، ويحصر الحق بالمهر بالمرأة، إلاّ إذا تنازلت هي عنه لأبيها أو غيره عن طيب نفس ورضا.

وفي المسلك التوحيدي الدرزي، يقوم الزواج على مبدأ الرضى والاتفاق المتبادل بين الزوجين، فلا يجوز فيه الإجبار أو الإكراه لأي منهما. لكن على الموحد عند زواجه الاجتهاد في أن يختار زوجته ديِّنة رصينة طيِّبة الأصل والنسب. وهذا متوجِّب أيضاً على الفتاة عندما تريد أن تختار لما لذلك من أثرٍ عظيم في تربية الأولاد وصلاحهم.

والخاطب في المسلك التوحيدي الدرزي، يحوز على أهليّة الزواج بإتمامه الثامنة عشرة، والمخطوبة بإتمامها السابعة عشرة. وعلى أهل الفتاة السؤال عن الخاطب وإعلام ابنتهم بحاله مع إسداء النصيحة، وترك القرار الأخير لها في القبول أو الرفض. ويُشترط أيضاً ألا تكون الفتاة مخطوبة في الوقت نفسه لشخص آخر، ولا في عدة طلاق أو وفاة. ولا يستحسن الشيوخ الموحدون كل ظواهر الصخب في حفل الزفاف، بل أن يقتصر الأمر على التبرك بالذكر والإشهار وإكرام الوافدين إلى الحفل في ما هو لائق بالمناسبة.

تعدد الزوجات

يجيز القرآنُ الكريمُ تعدُّدَ الزوجات للرجل الواحد؛ لكنْ بشرط القدرة المادية والعدالة والمعاملة بالمساواة. ومن الفقهاء المحدَثين من يرى أنّ القرآن الكريم فرض شروطاً على التعدد بحيث لا يتمُّ ذلك إلاّ في الظروف الاستثنائية مثل عدم وجود الأولاد أو العاهة، أو حدوث حالات بعد الحروب بحيث تتكاثر أعداد النساء وتقلُّ أعدادُ الرجال. ويعترفُ الفقهاءُ بأنّ المرأة الأولى تتعرض للضرر نتيجةَ إقدام زوجها على الزواج مرةً ثانية. ولذلك يجيزون أن تنصَّ في عقد زواجها على حقِّها في الطلاق منه إن حصل ذلك.

أما في المسلك التوحيدي الدرزي، فمن خصوصيات المذهب في زواج الموحدين الاقتصار على زوجة واحدة نتيجة التشدّد في تفسير الآية القرآنية الكريمة ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ (سورة النساء، آية 3) وقوله تعالى ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ (سورة النساء، آية 129).

الطلاق

تعتبر الشريعةُ الإسلاميةُ عقد الزواج نهائياً، لذلك لا تُحدِّدُ له مدة. فالأصل فيه الاستمرار، لأن المقصودَ به تكوين أُسرة. بيد أنَّ الشريعةَ تُقِرُّ بإمكان الطلاق إن تعذّر الاستمرار بسبب اشتداد الخلافات بين الطرفين، أو إصرار الزوج على الإساءة لزوجته. وتعبيراً عن كراهية الشريعة للطلاق. قال النبي (ص): "أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق". ولا يطلِّق القاضي الزوجين بمجرد الخصومة أو شكوى أحدهما على الآخر. بل إنّ القرآن يطلب تعيين حكمين، واحد من أهل الزوج، والآخَر من أهل الزوجة، للعمل على الإصلاح: ﴿فابعثوا حَكَماً من أهله وحَكَماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهم﴾ (سورة النساء، آية 35).

والطلاقُ حقُّ الزوج. لكنّ المرأة من حقّها طلب الطلاق إن كان منصوصاً عليه في عقد الزواج، أو طلبه من القاضي في حالاتٍ كثيرةٍ منها سوء المعاملة أو العجز عن الإنفاق أو الإضرار بها في منعها من ممارسة حقوقها المشروعة. يجوز للمرأة أن تشترط على الزوج في عقد الزواج أن تكون وكيلة عنه في الطلاق، وإذا رضي بذلك تستطيع أن تطلق نفسها بحسب الاتفاق بين الزوجين. كما أنه يجوز للمرأة في بعض الحالات فسخ عقد الزواج. وتؤثّر المتغيّرات الاجتماعية والاقتصادية في لبنانَ وغيره في مسائل الزواج والطلاق. كان مألوفاً التزوُّج بأكثر من امرأة، وما عاد ذلك يتكرر كثيراً في العقود الأخيرة. وما كانت حالاتُ الطلاق كثيرةً وبخاصةٍ في الأرياف، وهي تتزايدُ مؤخراً عاماً بعد عام وبخاصةٍ في المُدُن. وأُدخلتْ تعديلات كثيرةٌ على مدوَّنات الأحوال الشخصية في الدول العربية، من أجل إنصاف المرأة من جهة، والتصدي بكفاءة للتحديات التي تفرضها الأزمنةُ الحديثةُ على الأُسرة من جهة أخرى. ووضع الله قيوداً عديدة للطلاق لكي لا يستسهله الزوج، ومن هذه القيود وجوب إعطاء الزوجة حقوقها كاملة عند طلاقها، ويشترط في صحة الطلاق وجود شاهدين عادلين يسمعان صيغة الطلاق، ولا يصح طلاق المرأة إذا كانت في فترة العادة الشهرية، ولا يصح الطلاق إذا وقع في غير العادة، وبعد حصول المعاشرة الجنسية بين الزوجين، بل يجب الانتظار إلى شهر آخر حتى يتم الطلاق. ومن فوائد هذه الشروط إعطاء مهلة للزوج كي يفكّر بأعصاب باردة قبل الطلاق ولا يطلق في حالات الغضب والانفعال. ومن بين التدابير التي أقرها الإسلام للتقليل من حالات الطلاق: فكرة التحكيم الأسري، وهو تفويض شخص من أقارب الزوجة وشخص من أقارب الزوج للقيام بمهمة الإصلاح بين الزوجين قبل حصول الطلاق. وإذا لم تنفع هذه التدابير وحصل الطلاق شرَّع الإسلام حكم العدة وهي في بعض حالات الطلاق فترة زمنية قد تصل إلى ثلاثة أشهر يجب على الزوج أن يستمر خلالها في الإنفاق على الزوجة، ولا يجوز له إخراجها من بيت الزوجية إذا أرادت البقاء فيه، وهذه الفترة هي مهلة أخيرة للحفاظ على العلاقة الزوجية فإذا حصل فيها لقاء جنسي أو مقدّمات اللقاء بطل الطلاق، وكذلك يبطل الطلاق إذا اتفقا على إبطاله في بعض حالات الطلاق وهو الطلاق الرجعي.

المـــوت

يواجه الإنسان أمام الموت اللغز الأكبر في الوجود البشري. فالموت ينهي حياة كل إنسان على هذه الأرض، وكلنا أكيد أنّه ذاهب إليه يوماً. يعطي المفكرون لهذه النهاية إنسانياً تفسيراً عقلياً يرتكز على المبدأ القائل بأن كل كائن مركب قابل للتفكيك، وكل كائن مادي يخضع للانحلال والزوال. والتفسير الذي تقدمه المسيحية عن الموت يرتبط بحدثين: الأول خلق الله لآدم، والآخر موت يسوع المسيح وقيامته من القبر منتصراً على الموت. ويبين الإسلام ويوضح مذكراً الإنسان أنه سيأتي يوم يوضع فيه تحت التراب. قال الله تعالى في القرآن: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (سورة آل عمران، آية 185)، ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (سورة الجمعة، آية 8).

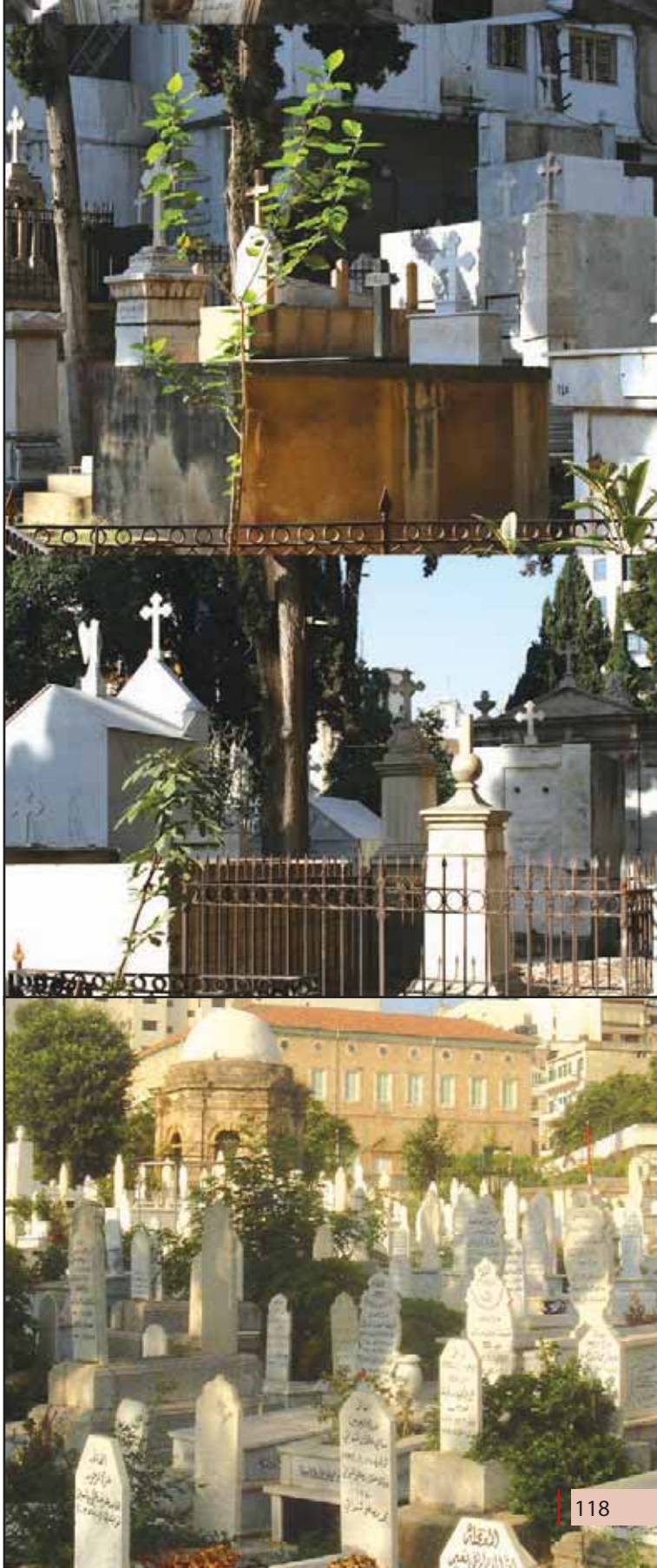

الموت لدى المسيحيين

يُنهي الموت شكل الحياة الأرضيّة ويُدخل الإنسانَ في شكل حياة لا ماديّة. النظرة الوحدويّة للإنسان، الظاهرة في بعض النصوص، تعتبر الموت رُقاداً يُغرقُ الإنسان في نوع من الغَيبوبة حتّى يوم القيامة. أمّا النظرة الثُنائيّة، فتُعطي النفس حياةً مستقلّة عن الجسد؛ ولكنَّ هذه الحياة تبقى ناقصة إلى أن تتّحد النفس، من جديد، بالجسد يوم القيامة العامّة.

"مساكن النور والراحة" للأبرار و"الشيول" للخطأة، هي الأماكن التي فيها ينتظر الموتى يومَ القيامة العامّة. الأبرار ينتظرونه بالفرح والبهجة والتمجيد؛ أمّا الخطأة ففي الحُزن والخوف؛ ولكنَّ المؤمنين منهم لا ينالهم اليأس، إذ هم يتّكلون على صلوات الكنيسة ورحمة الله، ليكونَ حظُّهم في الملكوت يومَ الدينونة العامّة. تُقسَم حياة الإنسان إلى ثلاث مراحل: الأولى على الأرض والثانية بين الموت والقيامة. كلتاهما تُهيّئ المرحلة الثالثة التي فيها يتقرَّر، نهائيّاً، مصيرُ الإنسان إمّا في الملكوت مع الله، وإمّا في جهنّم بعيداً عنه.

في رواية الخلق المذكورة في سفر التكوين، يبدو أن آدم المخلوق على صورة الله ومثاله لم يكن خاضعاً في البدء لواقع الموت، ولكنه بعدما خالف أمره وارتكب الخطيئة، دخل الفساد إلى الطبيعة البشريّة وأصبحت قابلة للألم والمرض والموت. غير أن الله، في الوقت ذاته، وعد الإنسان بالمخلص الذي ينقذه من الخطيئة وهيمنة الموت. وهذا ما تحقق واقعياً بانتصار يسوع على الموت وقيامته في اليوم الثالث، فأقام بالفعل ذاته جميع البشر التائبين داعياً إياهم إلى الحياة معه إلى الأبد. هكذا، بنعمة يسوع المسيح، يتخذ الموت عند المسيحي معنى ايجابياً: دعوة إلى الحياة الأبديّة موجّهة من الله للإنسان الذي يقرّر بأفعاله على الأرض مصيره الخالد مع يسوع القائم من بين الأموات.

الصلاة على الميت والدفن

يؤكد الإيمان المسيحي ان موت الجسد لا يؤدّي إلى زوال الإنسان كليّاً، فقيامة المسيح أعطت لموت المؤمن معنى العبور نحو حياة خالدة مع الله. لذلك، عندما يموت المسيحي، تلتئم جماعة المؤمنين حوله لتعبّر عن احترامها إياه وتوديعه والصلاة على نيته، ولتحمل إلى أسرته وأصحابه التعزية، مذكّرةً بوعود يسوع بشأن الحياة الأبدية التي هي موضوع الإيمان المسيحي.

ثم يُنقل الجثمان إلى الكنيسة، حيث يشارك جميع الحاضرين في صلاة الجناز التي تكون الوداع الأخير فيسلمون المنتقل إلى رحمته لله الخالق، ويعبّرون عن رجائهم بالالتقاء به بنعمة الله. ولكل كنيسة صلوات خاصة يصليها الكاهن والمؤمنون على الميت قبل دفنه.

يُنقل الجثمان من الكنيسة إلى المدفن حيث يبارك الكاهن القبر ومن يدفن فيه بعد أن أنهى مسيرته، وبعد مراسم الدفن يودعونه على رجاء القيامة.

تذكارات الموت

بعد دفن الميت، يقيم الأهل تذكارات عدّة لموتاهم، والمعروف منها عامّة هو:

- في اليوم الثالث، قداس وجنّاز ووضع البخور على المدافن.
- في اليوم السابع أو التاسع، قداس وجنّاز وختام الصلوات الجنائزيّة.
- جنّاز الأربعين، في تذكار مرور أربعين يوماً على الوفاة.
- نصف السنة... ثمّ السنة: قدّاس وجنّاز.

وقد يطلب الأهل من الكاهن إقامة قدّاسات خاصّة في آحاد وأعياد "ممسوكة" لراحة نفوس موتاهم.

هذه التذكارات التي يحسب لها الأحياء حساباً، لا تتوقّف على الصلاة والقداس والبخور، بل قد يرافقها توزيع "خبز الرحمة"، أو "المرحميّة"، على باب الكنيسة أو من خبز أو قمح بالسكّر، أو ما يُشبه ذلك.

كيف يذكر المسيحيون موتاهم؟

تذكر الكنيسة الموتى في صلاتها بطريقة شبه متواصلة، لأنّها تنظر إليهم وكأنّهم مشاركون معها في الصلاة، وإن غابوا عنها جسديّاً.

ويكرّس يوم السبت خصوصاً في الكنائس الأرثوذكسية لذكر الموتى وذلك تذكاراً لسبت النور، أو سبت نزول المسيح إلى مثوى الأموات قبل قيامته. ويوم السبت، بحدّ ذاته، يوحي بذلك لأنّ يوم "الراحة" ويوم الصلاة يَذكر فيه الأحياء مَوتاهم طالبين لهم "الراحة" الأبديّة.

أما تذكار الموتى الرسمي في الليتورجيا المارونيّة فهو الأسبوع السابق للصوم، المعروف "بأسبوع المرفع". ويسبق الصوم ثلاثة آحاد وأسابيع هي كلّها تذكار موتى: الأوّل منها للكهنة المتوفّين؛ والثاني للأبرار والصدّيقين؛ والثالث للموتى عموماً.

محطّات أخرى للتذكارات ولذكر الموتى: عند المناولة أو بعدها. وكانت العادة القديمة أن يُزَوَّد الميت بالقربان ليكون شفيعًا له في الآخرة؛ كما كانت العادة، أيضاً، أن يُدفَن المسيحيّون بالقرب من الكنيسة، وحتّى في الكنيسة، ليمرّ ظلّ القربان فوقهم وينضحهم بالرحمة والرضوان. وفي آخر القدّاس كان الكاهن والمؤمنون يمرّون على مدافن الموتى فينضحونها بالماء ويبرّدون غليلهم مُرَتِّلين للمسيح. بعد ذلك كان الأحياء يوزّعون "المرحميّات" عن نفوس موتاهم، فيشارك الجميع مُرَدِّدين "الله يرحمهم"؛ وقد ينتهي القداس وذكر الموتى والمرحميّة بمأدبة يترحّم فيها الجميع عليه.

الحداد

يوصي القديس بولس: "لا تحزنوا كسائر الناس الذين لا رجاءَ لهم" (1 تسالونيكي 4: 13). وإكرام الميت لا يكون بالنحيب والعويل واللون الأسود، بل بالصلاة والقيام بأعمال الرحمة والمحبّة على نيّته. كان المسيحيون الاوائل يرتدون لباساً أبيض عند موت أحدهم، تعبيراً عن إيمانهم بالقيامة من بين الأموات. في الوقت الحاضر، يرتدي أهل الميت وأقرباؤه في فترة الحداد، الملابس السوداء، ويتخلّون عن مظاهر الأفراح والتقاليد والعادات التي ترتبط بها. كما يمتنعون عن عقد الخطبة أو الزواج، إلاّ في حال الضرورة، عندها يُعقَد الحفل سرّاً بدون غناء ولا موسيقى. الحزن الذي يحزّ في النفس يلازم الإنسان مدّة طويلة، إلا أن الحضارة المعاصرة فرضت على المحزونين اختصار مدّة الحداد لمزاولة الأعمال. يستعيض أقارب الميت عن ذلك بتقديم الصلوات تكراراً لراحة الراقد في جوار الرب، ويكثرون من التبرع للمؤسسات الخيرية، إذ يجدون في تخفيف ألم الأحياء الآخرين، بالإحسان إليهم، عزاءً ورجاءً.

الموت لدى المسلمين

تمتزج العادات والأعرافُ بالأحكام الشرعية في وداع الميّت لدى المسلمين. ويُستحبُّ التعجيلُ شرعاً في دفن الميّت بحيث يدفن ليلاً من توفي في الليل، ونهاراً من توفي في النهار، إلاّ إذا كان في التأجيل مصلحة مهمة.

والواجب شرعاً توجيه المحتضِر إلى جهة القِبلة (نحو مكة) حال الاحتضار. يغسل الميت بعد موته ثلاث مرات، مرّة بالماء الممزوج بنبات السدر، ومرّة بماء ممزوج بمادة عطرية هي الكافور، ومرّة أخيرة بالماء الصافي. ويغسل الرأس والرقبة أولاً، ثم الجانب الأيمن من الجسد فالأيسر. بعد الغسل وأثناء التكفين أو قبله، يوضع الكافور على أماكن السجود السبعة للميت أي الجبهة والكفيّن والركبتين وإبهامي القدمين. ثمّ يكفّن بثلاث قطع من القماش الطاهر يشترط أن تكون كل منها ساترة للجسد تحتها. ويغسل الرجال الميت إذا كان ذكراً، أما إذا كان الميت أنثى فتغسلها النساء.

يُحملُ الميّت بعد غسله وتكفينه على محملٍ أو في تابوتٍ إلى المسجد للصلاة عليه بعد إحدى صلاتَي الظُهر أو العصر. والصلاة على الميت تختلف عن الصلوات الأخرى، إذ ليس فيها ركوع (أي انحناء) أو سجود، بل تؤدى وقوفاً كي لا يظن الناس أنهم يسجدون ويركعون

للميت وليس لله تعالى. وتؤدّي الصلاة بأربع أو خمس تكبيرات حسب المذاهب (التكبيرة: الله أكبر). تُذكر الشهادتان بعد التكبيرة الأولى، والصلاة على النبي (ص) بعد التكبيرة الثانية، والدعاء للمؤمنين بعد التكبيرة الثالثة، والدعوة للميت بالمغفرة بعد التكبيرة الرابعة، وتختتم الصلاة بالتكبيرة الخامسة عند الموحدين الدروز. ويكون الميت أمام المصلّين ورأسه إلى يمينهم.

يؤخَذُ الميت بعد الصلاة إلى المقبرة، ويُحْفَرُ له قبرٌ يُدفَنُ فيه بكفنه ويُهالُ عليه التراب. والعبارة المشهورةُ "ووريَ الثرى"، ليست عبارةً مجازيةً؛ بل هذا هو ما يحدُثُ في الواقع.

يرتبط الحداد بالعادات والتقاليد، ويوصي الشرع ألاّ يستمر الحداد أكثر من ثلاثة أيام، لذلك يقدّم الناس التعازي لأهل الفقيد قبل انقضاء هذه المدّة. وعلى الزوجة التي فقدت زوجها، أن تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام. ويجوز لها الخروج من البيت في هذه المدّة كما يجوز لها أن تلبس ما تريد على أن لا تتبرّج ولا تتزيّن. هناك أعرافٌ وتقاليد تقضي بإقامة التعازي بعد أسبوع وبعد أربعين يوماً، وبقراءة القرآن على القبر. ويزور المسلمون قبور موتاهم في الأعياد والمناسبات لقراءة الفاتحة والدعاء والتذكُّر والاعتبار.

يتقدم أحد المشايخ الصلاة على الميت لدى الموحدين الدروز، يشاركه في ذلك خمسة شيوخٍ واقفين خلفه.

التبني والتكفل بالأيتام

يستحق كلّ طفل اهتماماً خاصاً من أهله أولاً ثم من المجتمع. وينعم جميع الأطفال، سواء ولدوا في الزواج أم خارج الزواج، بالحق ذاته بالحماية الاجتماعية بغية إنماء شخصهم المتكامل. أما الأطفال الذين حُرموا من رعاية ذويهم أو أولياء أمرهم، فيجب أن ينعموا بحماية خاصة من المجتمع.

التكفُّل بالأيتام

اليتيمُ هو مَنْ مات أحد والديه أو كلاهما، وصار مفتقراً إلى الرعاية العاطفية أو المادية أو إلى كلا الأمرين. وفي الدين والعُرف عند العرب والمسلمين اهتمامٌ فائقٌ بأمور اليتامى لجهة العناية في الصِغَر أو لجهة تدبير العمل والتزويج في الكِبَر. ويذكر القرآن الكريم أنَّ النبي محمداً كان يتيم الأبوين: ﴿ألم يجدك يتيماً فاوى. ووجدك ضالاً فهدى. ووجدك عائلاً فأغنى﴾ (سورة الضحى، آية 6)؛ ويطلب منه (ومن أتباعه طبعاً) أن يعتنوا بالأيتام وكلّ ذوي الحاجة: ﴿فأما اليتيم فلا تقهرْ. وأمّا السائلَ فلا تنهرْ. وأمّا بنعمةِ ربِّك فحدِّث﴾ (سورة الضحى، آية 11). ويفضل الفقهاءُ المسلمون أن يبقى الأيتامُ في أُسَرِ أقاربهم، إنْ أمكن، للأبعاد العاطفية والتربوية.

نشأت، قديماً مؤسساتٌ وقفيةٌ ضخمةٌ للعناية بالأيتام. وصار ذلك بارزاً جداً في دُور الأيتام المُنشأة بتبرعات سائر الناس وأوقافهم في الأزمنة الحديثة. قال النبي محمد (ص) "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين" وأشار

التبني

بإصبعيه السبابة والوسطى، وهذا يدل على تشجيع نبي الإسلام لكفالة الأيتام ورعايتهم صوناً لهم من الضياع. وشجع الإسلام على الرحمة بالأيتام ونهى عن أكل أموالهم وحقوقهم وتوعّد من يقوم بذلك بأشد العقاب: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نار وسيُصلون سعيراً﴾ (سورة النساء، آية 5).

لا تكتفي دور الأيتام بتأمين الحاجات المادية والعاطفية للطفل؛ بل هناك تعليمٌ مدرسيٌّ وفنّيٌّ يساعد الفتى والفتاة على مواجهة أعباء الحياة، والتعويض بقدْر الإمكان عن فقد الوالدين أو أحدهما.

مشكلةٌ اجتماعيةٌ أُخرى تتعلق بالأولاد المجهولي الأبوين، ويُسمَّون في كتب الفقهاء: "اللُّقطاء"، فالقرآنُ الكريم لا يُقرُّ التبنّي: ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسطُ عند الله. فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانُكم في الدين ومواليكم﴾ (سورة الأحزاب، آية 5) ويحرّمه على جميع أفراده لما في ذلك من ضياع للنسب واختلاطه واعتداء على حق الطفل وانتهاك لكرامته، وأُقِرَّ في لبنان وبلدانٍ عربيةٍ وإسلاميةٍ نظامٌ للتكفُّل باللقطاء، بحيث يُعامَلون بالعناية التي يُعامَلُ بها الأيتام، ليس لجهة الرعاية والتنشئة والتعليم فقط؛ بل لجهة التسمية ومراعاة حقوق الطفل في الإسلام وفي المواثيق العالمية.

قد يحاول الزوجان تكراراً إنجاب الأطفال لكنهم، وعلى الرغم من التقدم الذي حققه الطب في هذا المضمار، قد لا يُوفّقان إلى ذلك لأسباب صحية متنوِّعة. من جهةٍ أخرى، حُرِم الكثير من الأطفال من حق وجود الأهل إلى جانبهم لأسباب متعددّة. فمنهم من مات أبواه وهو طفلٌ، ومنهم مَن تخلّى عنه والداه لأسباب قاهرة، وغيرها من الأسباب الأخرى. ووجد المسيحيون في التبنّي حلاً لهاتين المشكلتين في آن. ففي حين يساهم التبني بأن ينعم كل طفلٍ بحق العيش في كنف والدين تحت سقف يحميه، يساهم في الوقت ذاته بأن ينعَمَ الكثير من الأزواج بحق التبنّي. فالتبني، وإن ساهم بإشباع حاجات الأهل العاطفيّة، غير أنّه يتمّ دائماً لصالح الطفل.

هناك إجراءات قانونيّة خاصة بعملية التبني، تسمح بأن يصبح الطفل ابناً شرعياً للزوجين اللذين تبنياّه، له كل الحقوق وعليه كل الواجبات التي ينعم بها كل ابنٍ. وثمة تجارٌ يستغلون التبنّي لمصلحتهم الشخصية، فيقومون بتجارة الأولاد. يساهم في تفاقم هذه المشكلة عدم وجود قانونٍ خاص واضح للتبنّي في لبنان يراعي التشريعات الدينيةً كافة في آنٍ.

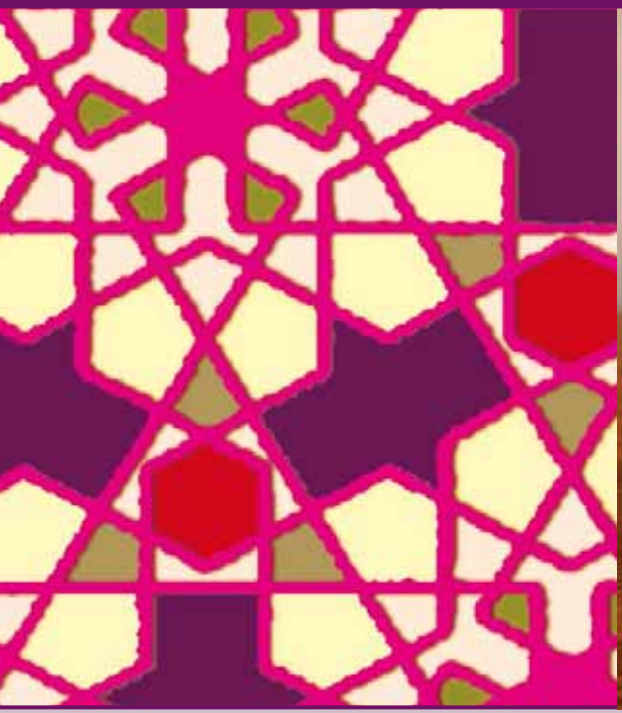

شعائر وعبادات

تتكون المنظومة الدينية عادةً من خمسة عناصر رئيسية: الأُلوهية، النصوص المقدَّسة، الشعائر والعبادات، النظام الأخلاقي، المؤسسة الدينية.

وتعتبر الشعائر أحد أبرز وجوه الإلتزام الديني. من خلالها يحاول المرء أن يضع شكلاً ملموساً يدركه بحواسه، لجوهرٍ قد يتخطى إدراكه إمكاناته المحدودة. ومع أنَّ الشعائر والعباداتٍ ترتكز على الشكل، تبقى وسائل يستعملها المرء للتعبير عن صلته بالله عزّ وجلّ.

الصـــــلاة

الصلاة، من جذر صلة، أي الصلة بين الإنسان والله، ركيزة أساسية في الديانتين المسيحية والإسلامية، غير أنها لا تحمل المعنى عينه في الديانتين. فالصلاة فريضة يومية في الإسلام كونها أحد أركان الدين الأساسية، بينما هي في المسيحية تعبير فردي أو جماعي من الإنسان نحو الخالق، يأخذ أشكالاً متنوعة.

في المسيحيّة

الصلاة هي رفعُ النفس إلى الله والتحدّث إليه بثقة ومحبّة، لتسبيحه وعبادته وشكره على عطاياه. الله يدعو جميع الناس إلى الصلاة. في البدء، هو الذي يفتّش عن الإنسان، وبفضل ذلك يتمكّن الإنسان من أن يفتّش عن الله.

أنواع الصلاة

- صلاة البركة وهي جوابُ الإنسان على عطايا الله؛
- صلاة التسبيح والمديح والعبادة؛
- صلاة الطلب: "أطلبوا أولاً ملكوت الله..." (متّى 6: 33)، والشفاعة (تكوين 18: 33-16)؛
- صلاة الشكر على عظائم الله والاعتراف بالجميل.

طُرُق الصلاة

للصلاة طُرُق عديدة، وكلٌّ واحد يمكنه أن يختارَ التي توافقه. هذا لا يعني أن الصلاة تقتصر على رغبة داخليّة أو على رغبة حسيّة. تكون الصلاة طقسيّة، وهي صلاة الكنيسة الرسميّة وتقتضي وجود جماعة.

وتكون الصلاة فرديَّة، إمّا شفويَّة وتستعمِل الكلمات الموضوعة سابقاً: الأبانا، والسلام عليكِ يا مريم، والمجد للأب... وإمّا تأمّليّة، بالاستعانة بكتاب كالإنجيل أو النصوص الطقسيّة أو المؤلّفات الروحيّة. إصغاء فاعلٌ لكلمة الله في صمتِ النفس. ترافق الصلاة حرَكات وتعابير جسديَّة مثل رفع اليدَين تضرُّعاً، أو الانحناء والركوع والسجود خضوعاً وتواضعاً، أو الوقوف مشاركةً في قيامة الربّ، أو الجلوس تعبيرًا عن الراحة في حضوره.

أوقات الصلاة

الصلاة الطقسيّة موزّعة على سبع ساعات في اليوم دلالة على انَّ المسيحي عليه أن يصلّي دوماً. يستطيع المؤمن أن يصلّي صلاته الفرديَّة في أيِّ وقت من أوقات النهار لأنّ المؤمنين مدعوّون أن يحيَوا حياة تأمّلٍ وهم يعملون. جميع أحداثِ النهار تُقدَّم ليسوع. الصلاة تطبع حتّى الأحداثَ اليوميّة العاديّة جدّاً.

موضوع الصلاة

الموضوع المفضَّل للصلاة هي حياة يسوع لاسيّما آلامه وقيامته. تشكّل المزامير تحفة الصلاة في العهد القديم. تمتدّ على جميع أبعادِ التاريخ والوجود الشخصي، مذكّرة بمواعيدِ الله التي تحقّقت حتّى الآن وحاثّة على رجاء مجيء المسيح. والأناجيل ملآنة بصلاة يسوع: أصلّى يسوع في الوحدة أم في السرّ، فصلاته تتضمّن مطابقة محبّة لإرادة الله حتّى الصليب وثقةً مطلقة بأنّ الله سيستجيبها. أمّا في العهد الجديد فالأبانا هي الصلاة بامتياز لأنّ الكنيسة تعلّمتها من شفاه يسوع المسيح بالذات. إنّها الخُلاصة الأفضل للعهدَين القديم والجديد. الأبانا هي أيضاً صلاة الكنيسة المميّزة التي تتلوها منذ نشأتها. إنّها جزءٌ ملازم لساعات الفرض الإلهي الكبيرة وللاحتفال بأسرار التنشئة المسيحيّة: العماد والتثبيت والافخارستيّا. إنّ الإكرامات المسيحيّة الكبيرة تُغني الصلاة: الثالوث الأقدس، قلب يسوع الأقدس، القربان المقدّس، الروح القدس المعزّي، الإكرام الفائق للعذراء مريم القدّيسة، إكرام مار يوسف والملائكة الحرّاس والقدّيسين.

في الاسلام

الصلاة الفريضة

الصلاة عند المسلمين صلة كبيرة بين الخالق والمخلوق والعابد والمعبود، ولا يتم الإسلام إلاّ بها. فهي أحدُ أركان الإسلام إلى جانب الصوم والحجّ والزكاة، بعد الشهادتين اللتين تعنيان إعلاناً للإيمان، فمن حافظ على الصلاة كانت له نوراً ودليلاً ومنجاةً يوم القيامة.

للمسلمين في اليوم والليلة خمس صلوات لكل منها وقت حدّده الشرع الإسلامي: الصُبح وهي ركعتان قبل شروق الشمس – والظُهر، وهي أربع ركعات، – والعصر، وهي أربع ركعات – والمغرب بعد غروب الشمس مباشرةً وهي ثلاثُ ركعات – والعشاء، وهي صلاةُ الليل، وهي أربع ركعات. تبدأ كل ركعةُ بالوقوف تُقرأُ فيه الفاتحة وإحدى السُوَر

القِصار جهراً في صلوات الليل، وسراً في صلوات النهار. ثم يركعُ المصلّي ويذكر اسم الله، ثم يقوم ويسجد ذاكراً اسم الله أيضاً. وتبدأُ الصلاةُ بالنية والتكبير (الله أكبر)، وتُختتمُ بالتسليم (قول السلام عليكم وهو يدور رأسه يميناً ثم شمالاً) للإشعار بالانتهاء منها. وتُقامُ الصلواتُ الخمس على الانفراد أو في جماعةٍ في المسجد. وتسبقها أو تليها ركعتان اقتداءً بسنة النبي (ص).

الصلوات الأخرى: صلاة الجمعة

لا تُقامُ صلاةُ الجمعة (بدلاً من الظُهر) إلاّ جماعةً وفي المسجد الجامع، وهو المسجد الرئيسيُّ في المدينة أو البلدة. وتشترط بعضُ المذاهب لصحتها أربعين مصلياً وما فوق. وبعد حضور وقت الصلاة والإعلان عنه بالأذان، يصعد الخطيب إلى المنبر ويُلقي خطبتين يفصلُ بينهما فاصلٌ قصير، يأمر فيهما بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعظ بمحاسن الأخلاق. وقد يتكلم في الشأن العامّ. ثم ينزل بعد الخطبة الثانية عن المنبر فيؤمُّ الناس ويصلّي فيهم ركعتين.

صلاة العيدين

هما صلاة الفطر وصلاة الأضحى. وكانتا تُقامان خارج المساجد لضخامة الأعداد التي تحضُرُهُما بعد شروق الشمس مباشرةً. لكنهما صارتا تُصلَّيان في المساجد الجامعة. وصلاةُ العيدين ركعتان تؤديان مباشرةً بلا أذان (دعوة إلى الصلاة) ولا إقامة (الدعوة الثانية للصلاة)، وفي القيام الأول سبع تكبيرات، وفي القيام الثاني خمس تكبيرات. وتُقرأُ في كلٍ من الركعتين الفاتحة جهراً. ثم تُقرأ جهراً سورة "الأعلى" في الركعة الأولى وسورة "الغاشية" في الثانية. ثم يتلو ذلك خطبة يلقيها الإمام يتحدث فيها عن – معاني العيد. وهي ليست فريضةً مثل الصلوات الخمس.

الصلاة على الميت أو صلاة الجنازة

يوضَعُ نعشُ الميت أمام المصلّين، ثم يقفُ الإمام ووراءه من يريد الصلاة على الميّت، وفيها دعاءٌ سريٌّ للميّت وسائر الناس، وتتخللها أربع تكبيراتٍ أو خمس بحسب المذاهب الفقهية.

صلاة الاستسقاء

مستحبةٌ في أزمنة القحط والجفاف، ويخرج فيها الناس إلى خارج البلد، ويتخلَّلُها دعاءٌ طويلٌ واستغاثةٌ بالله عز وجلَّ، وطلبٌ للرحمة منه.

صلاةُ الآيات

صلاة الأيات، تقام عند حدوث الكسوف، فتسمى بصلاة الكسوف، أو الخسوف فتسمى بصلاة الخسوف، أو الحوادث الطبيعية التي تخيف الناس. أدَّاها النبي (ص)، وفيها طلبٌ لرحمة الله، واستغاثةٌ من عذابه، ودعاءٌ للتمكين في الشدة، واستعاذةٌ بالله في أوقات المحنة.

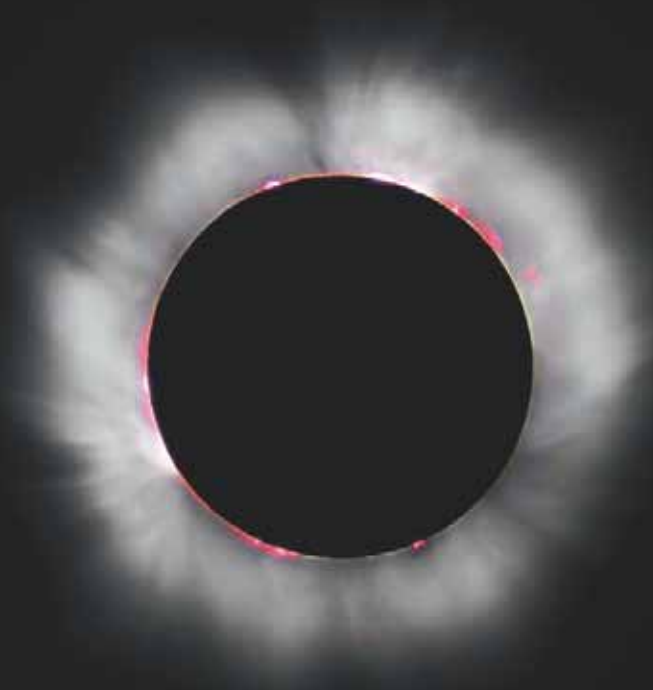

صلاةُ النوافل

النافلة هي الزيادة، وتسمى بعض الصلوات بالنافلة لأنها زيادة على الصلاة المفروضة. وصلوات النوافل كثيرة ومتعدّدة، فمنها الصلاة غير الراتبة، وترتبط بحالة أو حدث معيَّن مثل صلاة الشكر عند حصول نعمة للإنسان؛ والصلاة الراتبة أي المرتبطة بالليل والنهار، وهي عدد من الركعات تصلّى قبل الصلوات الواجبة أو بعدها. وفي معظم النوافل تصلّى كل ركعتين على حدة، بإستثناء البعض منها.

القداس الإلهي عند المسيحيين (راجع يوم الأحد ص 31)

القداس عند الكاثوليك والأرثوذكس هو ذبيحة جسد المسيح ودمه التي تُقَرَّب عن يد الكاهن بصفتها تأويناً لذبيحة الصليب، لمجد الله وخلاص البشر.

أُطلِقَ على القداس في الماضي عدّة أسماء: كسر الخبز (القرن الأوّل)، الافخارستيّا (القرن الثاني)، القربان (القرن الثالث)، المحفل (من القرن الرابع إلى القرن السابع عند اليونانيّين). واليوم يحمل أسماء أخرى كالذبيحة الإلهيّة والليتورجيا المقدّسة.

يسوع المسيح، أثناء العشاء الأخير، أحبَّ خاصّته، وكي يترك لهم عربوناً لحبّه وكي لا يبتعد أبداً عنهم، وضع الافخارستيّا تذكاراً لموته وقيامته.

الإفخارستيّا ينبوعُ الحياة المسيحيّة وقمّتها. الأسرار الأخرى وجميع النشاطات الرسوليّة مرتبطة بالإفخارستيّا ومرتّبة بالنسبة إليها كما إلى غايتها، لأنّها تحتوي على كلِّ خيرِ الكنيسة الروحي، أي المسيح ذاته، الذي هو فصحُها.

يقرع جرس الكنيسة لدعوة الجموع إلى القداس، وعند نهاية القداس فرحاً بالمشاركة بالذبيحة الإلهية

في الصلاة الإفخارستيّة، بقوّة الكلمات الكهنوتيّة: "هذا هو جسدي" "وهذه هي كأس دمي"، وباستدعاء الروح القدس، يتحوّل جوهر الخبز كلّه إلى جوهر جسد المسيح وجوهر الخمر كلّه إلى جوهر دمه، وهذا ما يسمّى الاستحالة.

وتنمي المناولة اتّحاد المؤمنين بالمسيح، وتطهّرُهم من خطاياهم وتدمجُهم أكثر بالكنيسة، وتوحّدهم بكلّ المسيحيّين وتمنحُهم عربونَ المجدِ الآتي.

ثمة فروقات بين الجماعات المسيحيّة بخصوص الخبز المعدّ للتقديس، ففي حين تقدّس بعض الجماعات خبزاً فطيراً، تقدّس أخرى خبزاً مختمراً، ولكن هذا الفرق لا يحول دون وحدة إيمان الجميع بأن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح ودمه. ويعطي عدد من البروتستانت بعداً رمزياً للخبز والخمر.

الحج

الحج ممارسة تقوية تدفع الإنسان إلى الخروج عن حياته المألوفة وإلى الغربة عن محيطه، فيتوب عن خطاياه ويعود إلى الله. يحدوه في تصرفه هذا، اعتباره الحياة على الأرض، بمثابة سفَرٍ نحو ملاقاة الله في النهاية. فالذي يحجّ يشعر، لا بل يعتقد في نهاية الحج، انه كان أقرب ما يمكن من الله. ويذهب بعض الحجّاج إلى حدّ تمني الموت أثناء حجّهم للقاء الله مباشرة.

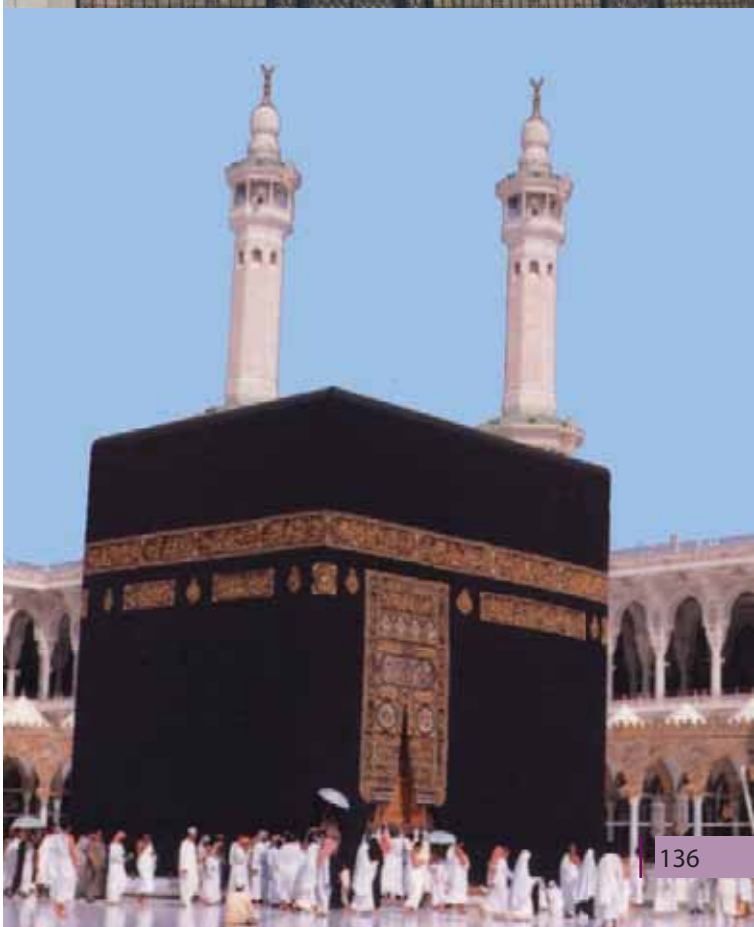

الحج في المسيحية

يعتبر المسيحي الحج الممتاز ذاك الذي يقصد فيه الأراضي المقدّسة التي عاش فيها المسيح:

- بيت لحم حيث ولد يسوع وسجد له المجوس القادمون من بلاد فارس وقدموا له الهدايا.
- الناصرة حيث بشّر الملاك جبرائيل مريم العذراء بأن الله اختارها لتكون أماً لابنه، وحيث قضى يسوع طفولته.
- نهر الأردن حيث تقبل المعموديّة من يد يوحنا المعمدان.
- مناطق الجليل واليهودية، ومناطق في صور وصيدا حيث تجوّل وعلّم واجترح العجائب، وأولاها أعجوبة عرس قانا.
- أورشليم أي القدس، حيث تردد إلى هيكل سليمان، وقضى أيامه الأخيرة، وصُلِب على جبل الجلجلة، ودُفن وقام في اليوم الثالث. وبقي يظهر، بعد قيامته، لرسله وللتلاميذ على مدى أربعين يوماً، ومنها صعد إلى السماء. كما ان الروح القدس حلَّ على الرسل في عليّة موجودة في المدينة ذاتها.

بالإضافة الى الأراضي المقدَّسة، هناك اليوم الكثير الكثير من أماكن الحجّ عند المسيحيّين في العالم ونذكر منها: روما، لورد، فاطيما، أفسس...

يشعر الإنسان أن الحج الذي يقوم به إلى مكان مقدّس ليعبّر عن تعبده وتوبته وشكره، يقوّي فيه الازدهار الروحي. ويعتقد بعض الحجاج أن صلواتهم تستجاب سريعاً في أمكنة مقدسة معينة، لذلك يعبرون ألوف الأميال ليرفعوا الصلاة إلى الله في مكان محدّد.

يتم الحج عادة، في جماعات دينيّة منظمة، فيتقبل الحجاج توجيهاً روحياً معمّقاً، على ضوء المعطيات الاجتماعيّة الجديدة، ووفقاً للحاجات الملحّة التي يشعر بها الحجَّاج. وتختلط في غضون الحج، الجماعات الآتية من بلاد متنوعة ومجتمعات مختلفة، يجمعها الإيمان الواحد والهوية الدينية الواحدة. لذلك يعتبر المسيحي أن الحج يغذي الإيمان بممارسة التوبة الفردية والجماعية، وبالتفرّغ للصلاة وبتعزيز الحياة الأخوية. ويسير الحاج على خطى المسيح غير مبالٍ بتعب جسده.

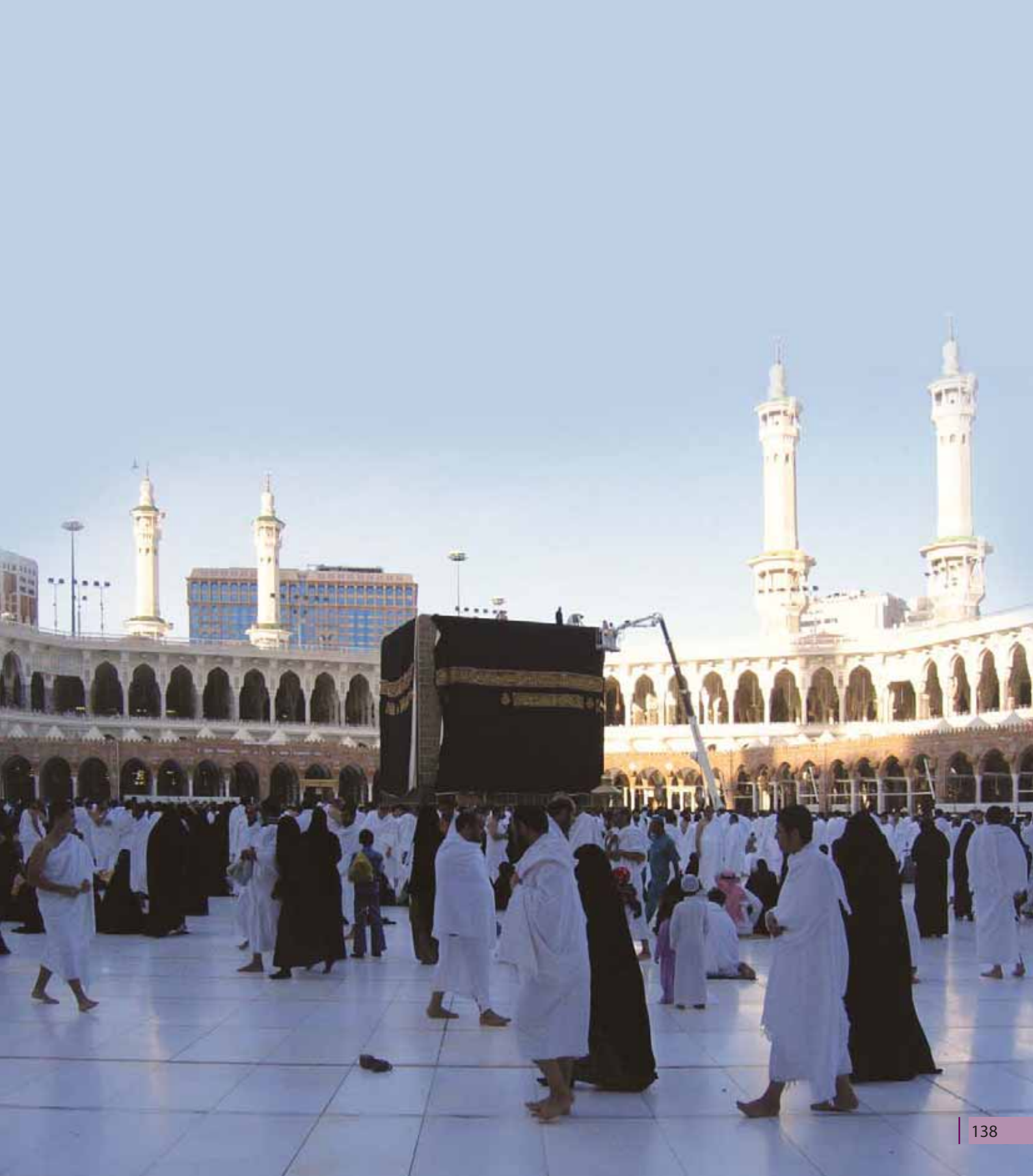

الحج في الاسلام

هو ركنٌ من أركان الإسلام. ويعني قَصْدَ مكة للطواف حول الكعبة وللسعي بين الصفا والمروة وللوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة، مرةً في العُمُر على الأقلّ، للمستطيع مالياً وجسدياً، من الرجال والنساء. أما من لم يستطع أن يحجّ، فلا يفرض عليه الحج لقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ (سورة آل عمران، آية 97).

وشرط الحج حلولُ وقته من شوال وذي القعدة وإلى التاسع من ذي الحجة. لكنّ الناس يذهبون في الغالب في أول شهر ذي الحجة. يبدأُ الحجُّ بالإحرام (لبس ثوب أبيض غير مَخيط) على مسافة محدَّدة من مكة المكرمة من مكان يسمى الميقات. ثم يطوف الحجّاج بلباس الإحرام الأبيض بالكعبة، في زيّ واحد بسيط، يشعر صاحبه بالافتقار إلى الله تعالى لبساطته. والطواف هو الدوران حول "الكعبة" سبعة أشواط أو دورات، يتذكر فيها المسلم النبي إبراهيم الذي بنى "الكعبة". والكعبة بناءٌ مربعٌ مرتفعٌ قليلاً، تُلقى عليه ستائر تُسمَّى كسوة الكعبة، وهي تُصنع في مصانع خاصّة، وتُغيَّرُ سنوياً أو كلَّ عدة سنوات، فيه الحجرُ الأسودُ يلمسُهُ المسلمون تبرُّكاً. أُعيد بناءُ الكعبة عشرات المرات عبر التاريخ الإسلامي بسبب طغيان السيول عليها في بعض السنوات. وقد سمَّى القرآن الكريم الكعبة: المسجدَ الحرام، والصلاةُ لا تتمُّ فيها كسائر المساجد بل حولها، إذ يجري الطواف بها في الحجّ والعمرة وخارجهما. وتحوط الكعبةَ قُدْسيةٌ فائقةٌ يُعبَّر عنها بالتوجُّه إليها من سائر أنحاء الأرض من جانب المسلمين في صلواتهم.

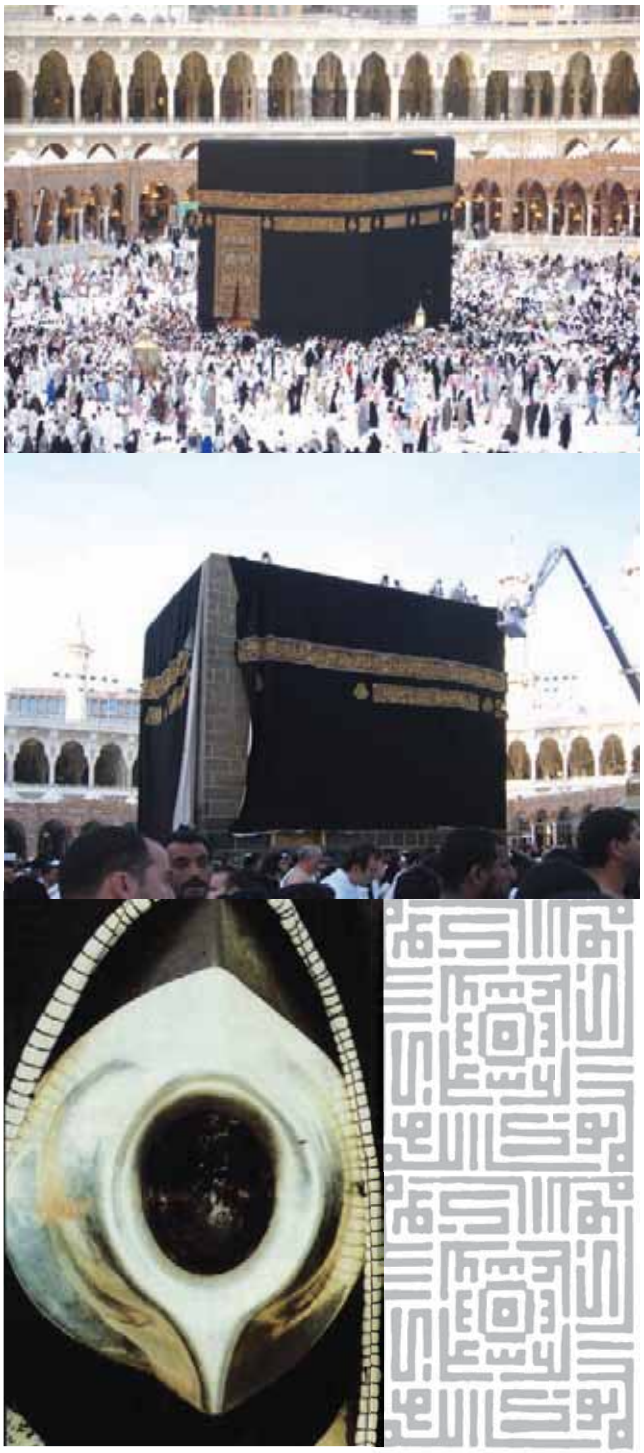

الحجر الأسود في الكعبة، يلمسه المسلمون أثناء الحج تبرّكاً.

وللطواف معنى يرتبط بالتسليم للّه بما يأمر به المسلمين. وبعد الطواف يسعى الحاج بين الصفا والمروة، وهما جبلان صغيران في مكة، يتذكر خلالها المسلم زوجة النبي إبراهيم (عليه السلام) حين كانت تبحث عن الماء لتسقي ولدها، فكانت تروح وتجيء بين الصفا والمروة، واستمر هذا السعي حتى خرج الماء من الأرض وسمي الماء (زمزم)، ولا يزال الماء يتدفق من الأرض حتى اليوم.

ويبقى الحاج في مكة حتى الثامن من ذي الحجة، ثم يصعد إلى منى ويبيتُ فيها، ويذهب بعد طلوع شمس اليوم الثاني إلى عرفات فيقف فيها هناك إلى الليل ليفيض بعدها إلى المزدلفة ويبيت فيها، ويمضي عند الصباح إلى المشعر الحرام، ثم يعود إلى منى فيرمي بعد طلوع الشمس الجمرات في ثلاثة أماكن ويسمى ذلك رجم الشيطان. ترمز هذه الأماكن إلى قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) حين ظهر له الشيطان وقال له أن يعصي الله في ما أمره في ذلك الوقت، وحين ظهر لزوجته فرجموه في تلك المواضع. يتبرّأ الإنسان في هذا الموقع من أعماله ومعاصيه برجمه للشيطان الذي وسوس له، ويتعهد أن يعصي الشيطان ويطيع الله تعالى بعد الحج.

ويذبح الحاج الهدْي، ثم يحلق شعره. ويتابع الحجاج خلال ذلك كلّه وبخاصةٍ في الطواف التلبية: "لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك".

ويعودُ الحاجُّ في الختام إلى مكة لطواف الوداع أي مغادرة البيت الحرام (مكة)، ويسمى طواف الإفاضة، هو أيضاً سبع طوفات ويكون احتراماً وتبجيلاً لهذه البيت وتقديساً له.

بعدها يتحلَّلُ الحاج من لباس الإحرام. يذهب الأكثرون قبل زيارة مكة أو بعدها إلى المدينة المنوَّرة لزيارة النبي (ص) والصلاة في مسجده. وفي الحج معنى الارتباط بأبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام)، بأني الكعبة وأول من حجَّ، ومعنى التضحية والفداء، ومعنى الاجتماع بالعدد الأكبر من المسلمين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي.

وتكمن فلسفة الحج في مجموعة أمور منها: ربط المسلمين ببعضهم بعضاً وتعارفهم في هذا الموسم الذي يمكن وصفه بأنه مؤتمر عالمي، وفيه أيضاً فرصة للتبادل الثقافي والتجاري وغيره. ومن جملة ما فيه من آثار أن الأضاحي التي تذبح في موسم الحج توزع على الفقراء من المقيمين والحجاج وما زاد عن حاجتهم يجمع بطريقة صحية ويعلّب ويوزع على البلاد الفقيرة في أنحاء العالم. ولأكثر أعمال الحج أبعاد معنوية مهمة فعندما يرجم الإنسان في الحج محلاً خاصاً بالحجارة عليه أن يلتفت إلى أهوائه ونفسه الأمّارة بالسوء، وكذلك في ذبح الأضحية وغيرها من أعمال الحج.

والعادات المرتبطة بالحج تختلف من بلد إلى آخر. ففي بعض البلدان يقوم أهل البلد بتزويد الحاج والمساهمة معه في نفقات سفره، ويقوم الحاج بحمل ما تيسّر له من الهدايا عند عودته. ومن العادات الاجتماعية الحسنة المقترنة بالحج أن من ينوي الحج يقوم بتوديع أصدقائه ومعارفه وطلب صفحهم عما بدر منه تجاههم من إساءة أو تقصير، وهكذا تتحول رحلة الحج إلى محطة لتجاوز الخصومات التي يستعصي حلها وتجاوزها في غير هذه المناسبة. ومن العادات المرافقة للحج أيضاً كتابة الحاج وصيته قبل سفره، وكأنه مسافر إلى الله لا يعلم هل يعود أم لا. وربما كانت بعض هذه العادات ناتجة عن صعوبة السفر في ما مضى، إلا أنها ما زالت باقية حتى في عصرنا هذا لما فيها من حسن وآثار اجتماعية قيمة.

رجوع الحاج

ذكر النبي محمد (ص) أن رجوع الحاج من فريضة الحج مؤديّاً ما أمره الله به يكفر عنه ذنوبه وخطاياه حتى يعود كما ولدته أمه أي من ناحية الذنوب، يفرح الحاج بذلك، وكذلك أهله وأصحابه لقيامه بهذه الفريضة العظيمة، فيزينون له عند عودته بزينة الحج وغيرها من معاني الفرح بحاجِّهم. داعين له بالقول: "حج مبرور وسعي مشكور".

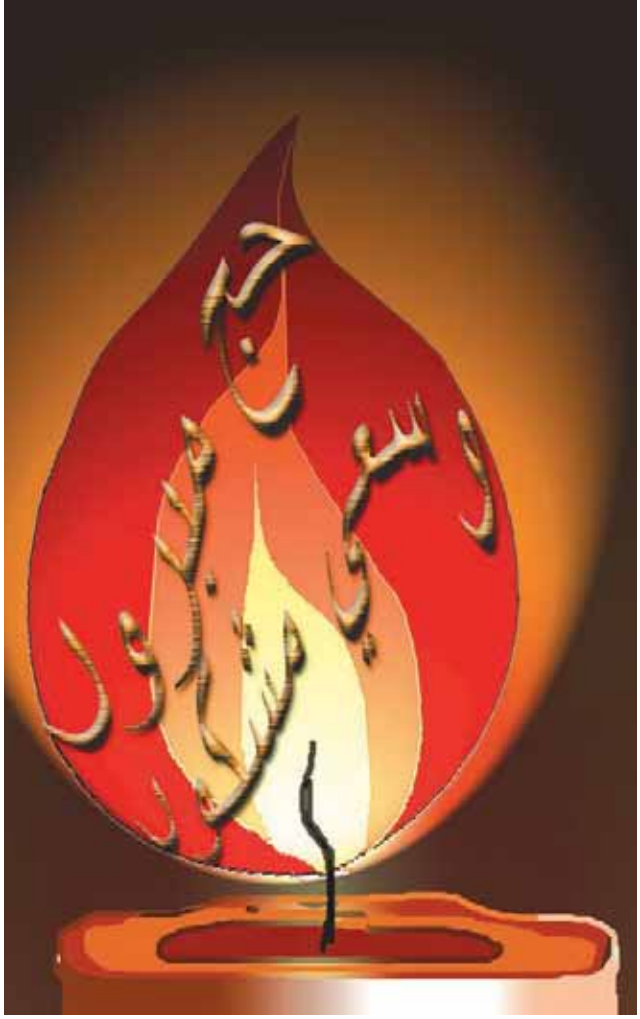

الزكاة

الزكاة عند المسلمين ركنٌ من أركان الإسلام، فريضة يُراد بها حض الناس على التعاون والتكافل على أساس من الاحترام المتبادل، وتهدف إلى سد حاجات الفقراء. وضِعت الزكاة في الأصل على بعض الزراعات كالقمح والشعير والتمر والزبيب؛ وعلى المواشي كالإبل والبقر والغنم؛ وعلى النقدين الذهب والفضة. وكانت تحدّد بالعشْر أو نصف العشْر من الإنتاج السنوي الزراعي أو الحيواني أو غيره، يقدمها الفرد لصندوق الزكاة. بعد ذلك، توسّع بعض الفقهاء في الزكاة فأوجبوا على المسلم تقديم نصيبٍ من ماله على رأس كلّ عام أو في نهايته يبلغ 2.5% من دخلِه السنوي إذا بلغ حداً معيَّناً يزيد على كفاية الحدّ الأدنى. وتعوِّد الزكاة المعطي على الكرم والبذل، فهي إذ تحافظ على ما يكفي الفرد من حاجات، تقوّي رابطة الأخوَّة والمحبة بينه وبين الآخرين. هي إذاً ضمانة لحماية المجتمع من أخطار الفوارق الاجتماعية والبطالة، بشكلٍ يساهم في تطهير قلوب الفقراء من الأحقاد والحسد.

ويبيِّن القرآن الكريم الغرضَ منها، إذ يحدّد أين ولمن تصرف، كالفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين (المدينين) وإعتاق العبيد (عندما كان الرِقُّ موجوداً)، والإنفاق في سبيل الله.

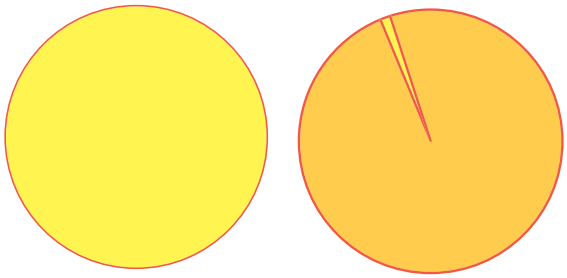

الخمس

الخمس لدى الشيعة، هو من الواجبات المالية التي يجب على الإنسان أن يدفعها على بعض الموارد التي يملك. فمثلاً إذا ما عثر في أرضه على كنزٍ، أو إذا ما نقّب وعثر في أرضه على معادن استخرجها وباعها بشكلٍ أضاف له أرباحه، أو إذا غاص في البحر واستخرج بعض المعادن أو الأحجار الكريمة، وفي الأموال التي يحصل عليها بطريقة غير مشروعة ثم تختلط بأمواله ولا يعرف مقدار الحرام منها ولا يعرف أصحابها الحقيقيين حتى يردها إليهم، ففي مثل هذه الحالات على المسلم أن يدفع خمس المال حتى يجوز له التصرف في الباقي. وكذلك يجب على المسلم الشيعي دفع الخمس من أرباحه في التجارة أو الصناعة أو الزراعة بعد استثناء مصاريفه السنوية منها ويدفع خمس مدخراته التي يحتاج إليها في حياته اليومية عادة.

وهذه الأموال التي تجمع بعنوان الخمس تصرف على الفقراء والمحتاجين أو تبنى بها المؤسسات الخيرية والمشاريع التي تأتي بالمنفعة على أفراد المجتمع جميعاً، وكل ما يصدق عليه عمل البر والإحسان، وبالتالي يعتبر دفع الخمس في عصرنا الحالي من أبرز أشكال التكافل الاجتماعي.

الأدعية

يلتقي مفهوم الدعاء في الإسلام مع مفهوم الصلاة في المسيحيّة. والدعاء في الإسلام هو الطلب من الله تعالى حصول شيء أو دفعه، ولا يجوز الطلب إلا من الله لأنه مدبر الكون والمتصرف بما فيه، وجعل باب الدعاء مفتوحاً. وشجع الإسلام المسلمين بالدعاء إلى الله واللجوء إليه. ويرى المسلم أن الله قد يستجيب له دعاءه في الدنيا أو يؤخر الإستجابة إلى يوم القيامة. ويدعو المسلم الله تعالى رافعاً يديه إلى جهة السماء، لأنها جهةٌ تدل على علو وشرف المدعو وهو الله تعالى. وهناك بعض الكتب التي تجمع أنواع الأدعية الخاصة بأيام الأسبوع، وبالأشهر، وببعض الأمكنة، وببعض الظروف الصعبة التي يمر بها الإنسان ويشعر بالحاجة إلى أن يدعو ربه.

والدعاء هو حالة من حالات الحوار مع الله والشكوى له، في حالات الرخاء والشدة. ويترك الدعاء أثره المعنوي الرائع على نفس المؤمن عندما يخلو بربه ليقدّم بين يديه كل ما يخجل من طلبه من غيره من أمور الدنيا والآخرة. وليس للدعاء وقت محدّد خاص فإن المسلم يعتقد بأن أبواب السماء مفتوحة في وجه الداعين ليل نهار. ولكن هناك بعض الأيام والليالي التي لها قدسية خاصة عند المسلمين مثل ليلة الجمعة وغيرها من الليالي. والمناسبات السنوية مثل أيام الأعياد ولياليها والنصف من شعبان وليلة القدر. وورد في التراث الإسلامي أدعية خاصة بهذه الليالي تعدّ روائع أدبية تستحق أن تقرأ ولو من باب قراءة الأدب، فهي نوع أدبي خاص له خصائصه المميّزة له عن سائر الأنواع الأدبية كالمديح والغزل والرثاء، ومن أبرز هذه الخصائص صدق العاطفة ودفقها الذي لا يوجد في أي نوع أدبي آخر.

التـــوبـة

كلمة التوبة في المسيحية، ترجمة لكلمة "ميتانويا" اليونانيّة التي تدلّ على التحوّل الباطني والعودة إلى الله في العهد الجديد عند المسيحيين. فالتوبة لا غنى عنها للدخول في الملكوت: "توبوا، فقد اقترب ملكوت السماوات" (متى 3: 2 وأعمال الرسل 3: 19) أو للدخول في الإيمان وقبول العماد (أعمال الرسل 2: 38). في سرّ التوبة يُظهِر الخاطئ توبته للكاهن خادم السرّ، لينال بواسطته مغفرة المسيح، فالله وحدُه يمكنه أن يغفر الخطايا. أعطى يسوع المسيح بعد قيامته الرسل وخلفاءهم علانيّةً سلطانَ مغفرَةِ الخطايا وحفظِها، واضعاً هكذا سرّ المصالحة (يوحنا 20: 22-23).

يُدعى هذا السرّ سرَّ التوبة لأنّ فضيلة التوبة تحمل إلى ارتدادٍ إلى الله من كلّ القلب، وإلى ندامةٍ عن كلّ الخطايا المرتكبة وإلى قصدٍ ثابت بعدم الرجوع إلى الخطيئة. في هذا الاستعداد يجب أن يُقبَلَ سرُّ الغفران. هذا الاستعداد لا يكفي بدون اللجوء إلى السرّ. بفضل هذا السرّ، وخدمة الكنيسة التي وضعها الربّ، تُغفَر الخطايا بعد العماد، ويدخلُ الخاطئُ في الشركة الكنسيّة.

أعمال التائب هي الندامة مع العزم على عدم العودةِ إليها، الإقرار الكاملُ بكلّ الخطايا والكفّارة. الإعتراف يساعد على تهذيب الضمير، ومقاومةِ الميول الشريرة، وعلى السماح للمسيح بشفائها والتقدّمَ في حياة الروح.

مفاعيل هذا السرّ: غفران الخطايا والمصالحة مع الله، والمصالحة مع الكنيسة، ومحو العقاب الأبدي الذي تستوجبه الخطايا المميتة، والسلام وطمأنينة الضمير، وتنميةُ القوى الروحيّة في سبيل الجهاد المسيحي الروحي. فالكاهن، بعد أن يستمع إلى إقرار التائب المعترف بخطاياه، يرشده ويشجعه على الأمانة لتوبته ويطلب منه القيام بعمل تقوي من أجل منفعته الروحيّة وتقوية إيمانه لئلا يعود إلى الخطيئة، كما يعطيه إرشادات تطال مجمل نواحي حياته، لأنّ التوبة فعل مستمرّ هدفه تغيير الذهن واكتساب فكر المسيح ونهجه. وبعدما يعطيه الكاهن الحلة من جميع خطاياه "باسم الآب والابن والروح القدس"، يودعه متمنياً له السلام. ويبقى كل ما يعترف به التائب للكاهن المعرِّف خاضعاً لواجب السرّ المطلق لا يجوز بأي شكلٍ من الأشكال أن يعلنه الكاهن أمام أحد.

ويتم في الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية إعتراف جماعي للمؤمنين خلال القداس بأن يقرأ الشماس لائحة الخطايا التي يمكن أن يرتكبها المؤمن في حياته اليومية، فيطلب المؤمن بدوره من الله المغفرة لذنوبه بواسطة الكاهن.

أما في الكنائس البروتستانتية، فيعترف التائب بخطاياه إلى الله طالباً منه الغفران، ويؤكد له القسيس غفران خطاياه بناء على توبته الصادقة واعترافه وطلبه المغفرة. ثم يزوده ببعض النصائح المفيدة لحياته الروحية ولحمايته من التجربة والسقوط. من يتقبل الغفران يبادر بدوره إلى الغفران، وهكذا تعيد التوبة الأخوّة إلى الذين افترقوا بالخطيئة.

المآكل: المحلّل والمحرّم

على المؤمن، في كل الديانات كما في المسيحية والإسلام، أن يسهر على صحته، وأن يلتزم قوانين غذائية دقيقة، لكي يحافظ على سلامة جسده، وعلى جهوزية صالحة للعمل المثمر والمفيد في مختلف المجالات، فالجسد "هيكل الروح" (1 قورنتس 6 : 19).

في المسيحية لا شريعة تحرّم مأكل أي شيء، بشرط أن لا يكون مضراً، وهذا مقتضى العقل السليم. قال يسوع في الانجيل: "اسمعوا وافهموا، ليس ما يدخُل الفم ينجّس الانسان، بل ما يخرج من الفم هو الذي ينجّس الانسان" (متى 15 : 10 - 12) كما أن كتاب أعمال الرسل يثبت في رؤيا بطرس إزالة كل محرمات الأكل (أعمال الرسل 10 : 15). جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: "كلوا من اللحم كل ما يباع في السوق ولا تسألوا عن شيء مراعاةً للضمير، لأن للرب الأرض وكل ما فيها. ان دعاكم غير مؤمن ورغبتم في تلبية دعوته، فكلوا من كل ما يقدم لكم ولا تسألوا عن شيء مراعاة للضمير" (1 قورنتس 10 : 25 - 26).

ويرسم المسيحيون إشارة الصليب قبل الطعام وبعده، مردّدين صلاةً صغيرة يدعون فيها الله لمباركة الطعام قبل أن يأكلوه، ثم يشكرونه على الطعام الذي أكلوه. وكما في المسيحيّة، كذلك في الإسلام، إذ يستحب ذكر إسم الله عند تناول الطعام، وشكر الله بعد الإنتهاء من الطعام.

وفي الإسلام، يحرّم القرآن شرب الخمر والميسر (أي لعب القمار) والذبح على غير اسم الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون﴾ (سورة المائدة، آية 90). كان العرب قبل الإسلام يفرطون في شرب الخمر، ولما جاء الإسلام لم يمنعه تلقائياً لعدم نفور الناس منه لأنه كان من عاداتهم القديمة. جاء في القرآن الكريم أولاً ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى﴾ (سورة النساء، آية 43) ثم تدرج معهم الى ان حصلت حادثة بين صحابة النبي محمد (ص) واختصموا فيها بسبب ضياع عقولهم جرّاء شرب الخمر مما أدى الى نزاع بين القبائل وغيرها من المشاكل المؤدية الى ضياع العقل، إثر ذلك نزلت الآية ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ (سورة البقرة، آية 219). إلى أن وصلت إلى التحريم والمنع التام، إذ عدّت دنسٌ يصيب العقل والروح.

أما المأكل، فيحرّم الإسلام أكل خصيتي الحيوان وعضوه التناسلي وغدده وحدقتي عينيه ومرارته ودمه ونخاعه الشوكي... إلاّ كبد وطحال الدواجن، فيحل أكلها. ولا يجوز للمسلم أن يأكل من لحم الحيوان الذي مات حتفاً كأن قضى أو مات بمرض أو أكلته السباع أو وقع عن الجبل، أو من لحوم الحيوانات والطيور المفترسة. جاء في القرآن: ﴿حُرِّمَت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلّ لغير الله به، والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبع الاّ ما ذكيتم وما ذُبح على النُصُب﴾ (سورة المائدة، آية 3). كما يمتنع المسلم عن أكل لحم الحصان بحكم التقليد وليس بحكم الشريعة. وللحصول على لحم حلال للأكل عند ذبح الحيوان، يذكر الإنسان اسم الله أولاً، ثم يذبح الحيوان الممدّد على الأرض على جهته اليسرى ورأسه متجه صوب مكة. وتكون طريقة الذبح بأن يقطع الحلقوم، مجرى الهواء، والمريء، مجرى الطعام، ويسكب دم الحيوان كله قبل تقديمه للأكل.

الأناشيد والتراتيل والتجويد

ترافق الموسيقى جميع لحظات حياة الإنسان باعثة الفرح والتواصل والجو المريح. ويتقبّل الكثير من الأطفال والشباب والكهول تربية موسيقيّة مع ما تنطوي عليه من حوافز للإبداع والتنوّع. يبرز من ضمن هذا التنوّع، نموذج موسيقيّ فريدٌ ومميّز، يدخل المؤمنين إلى التأملات الروحيّة والممارسات الطقسيّة الدينيّة. تشجّع المسيحيّة الترتيل الديني الجمهوريّ حيث تحتلّ الكلمات مقاماً أساسياً، وتجعل منه جزءاً متمماً للاحتفال الليتورجي. وتخضع الترتيلة لمقياس أساسيّ هو جمال الصلاة التعبيري وتسهيل مشاركة الجماعة كلّها بتأديتها ضمن الاحتفال المقدّس. أفرَدَ "الدستور في الليتورجيا المقدَّسة"، الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني، فصلاً سادسًا خاصًّا بـ"الموسيقى المقدَّسة" (من العدد 112 إلى 121)، ليعبّر عن أهميّتها وضرورتها: الموسيقى المقدَّسة لَتَزدادُ قداسةً كلّما ارتبطَت بالعمل الطقسي، سواء عبّرت عن الصلاة بعذوبة متصاعدة أو عَزَّزَت الإجماع، أو أضفَت جلالاً أكبر على الطقوس المقدَّسة... وعليه فإنَّ المجمع المقدَّس... يراعي غايةَ الموسيقى المقدَّسة التي هي تمجيد الله وتقديس النفوس" (العدد 112). ليس في المسيحية

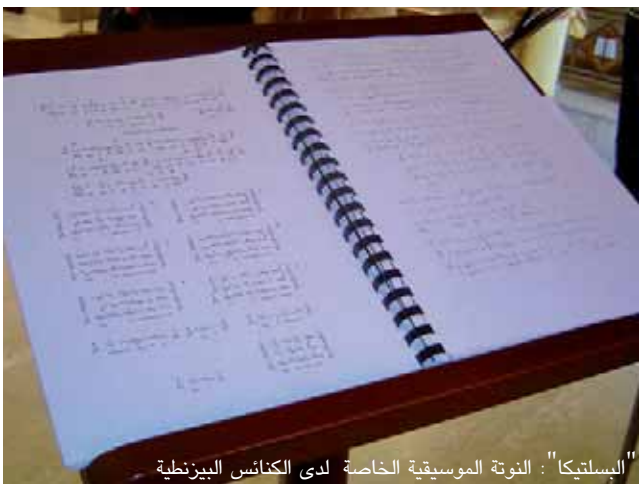

"البسلتيكا": النوتة الموسيقية الخاصة لدى الكنائس البيزنطية

موسيقى دينيّة بدون نصّ مدوّن، وبدون جماعة منظّمة تنشده. وانطلاقاً من هذا المبدأ، ظهر اختلاف في موقف الكنائس من الآلات الموسيقية واستخدامها في الاحتفالات، بين من يحرّمها كلّياً، كما هي الحال في الكنيسة البيزنطيّة، وبين من يحبّذ استخدامها كما هي الحال في الكنيسة اللاتينية وبعض الكنائس الشرقيّة والكنائس البروتستانتية.

التجويد عند المسلمين من جذر جيد أي الحسن والتحسين، علم يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها، ومخرج الحرف هو موضع ظهوره وتمييزه عن غيره. للتجويد ثلاث مراتب: الترتيل، أي قراءة القرآن مع تدبر المعاني وإخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه من الصفات؛ الحدر، إي الإسراع في القراءة مع مراعاة الأحكام؛ والتدوير، ويقع بين الترتيل والحدر. ينقسم التجويد قسمين: التجويد العلمي والتجويد العملي. يرتبط التجويد العلمي، بمخارج الحروف وصفاتها وأحكام المد (أي زيادة وإطالة الصوت) والوقف والمقطوع والموصول والتسكين والتنوين وغيره. أما التجويد العملي، فهو إحكام حروف القرآن من خلال إخراج كل حرف من مخرجه الصحيح دون تحريف أو تغيير، وإعطائه حقه من صفاته الذاتية اللازمة له كالجهر (أي احتباس جريان النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج) والشدة (أي احتباس جريان الصوت عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج) والإستعلاء (إستعلاء اللسان إلى الحلق عند النطق)، والإستفال (إنخفاض اللسان إلى قاع الفم عند النطق) من الصفات التي لا تنفك عن الحرف، أو من صفاته العرضية كالتفخيم (الإتيان بالحرف مغلظ الصوت) الناشئ عن الاستعلاء والترقيق الناشئ عن الاستفال. موضوع التجويد هو القرآن الكريم والحديث، وضعه علماء التجويد ودوّنه أئمة القراءة.

البخور والشموع

البخور والطيب

البخور صمغ مستخرج من نباتات كثيرة تفوح منه عندما يُحرق رائحة عطرة. ظهر إحراق البخور في ديانات كثيرة قديمة جداً إذ استخدمته لإكرام آلهتهم؛ وكان اليهود يحرقون البخور كل يوم على مذبح العطور في هيكل أورشليم. يعبّر التبخير في الطقوس، كما تمارسه الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، عن الإكرام المقدّم إلى حضور المسيح في القربان المقدّس، كتاب الإنجيل، الصليب، المذبح، الأيقونات وذخائر القديسين من جهة، وإلى الأشخاص المحتفلين بالصلاة، المؤمنين المشتركين فيها وأجساد الراقدين في الجنازة من جهة أخرى.

تميّز النصوص الليتورجيّة بين البخور المادّي والبخور المعنوي أو البخور العقلي: ففيما يقرّب الكهنة البخور الطبيعي المادّي، يتصاعد البخور العقلي من هياكل قلوب المؤمنين. ويمتزج البخور العابق من المجامر ومن القلوب البشريّة برائحة عذوبة حبّ الله. والهدف من البخور مزدوج: له غاية تمجيديّة وتذكاريّة: يقرّب لرضى الربّ ولتذكار مريم الأمّ البتول والأنبياء والرسل والشهداء والموتى المؤمنين. وله غاية تكفيريّة: منحُ مسامحة الذنوب وغفران الخطايا. لدى المسلمين اشتهر البخور لرائحته الزكية، فوضع الطيب أي الرائحة الجميلة مستحب. والبخور وسيلة من وسائل انتشار هذه الأنواع من الروائح الطيّبة، كما يستعمل في إزالة الروائح الكريهة. أما الطيب أي الرائحة العطرة، فيرجع المسلمون في ذلك إلى نبيهم محمد (ص) الذي كان يتطيب أي يتعطر بالمسك وأجمل أنواع العطور، وكان يشجع المسلمين على وضعها. وفي ذلك قصص منها: أن النبي محمد (ص) كان يسلم على الصبيان إذا رآهم، فكان يُعرف أن هذا الصبي أو ذاك التقى بمحمد (ص) من رائحة يده.

الشموع

يكثر استخدام الشموع، في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، في القداس وأمام القربان وأمام أيقونات القديسين وفي الأمسية الفصحيّة، في الزيّاحات، في المعموديّة وحول جسم الراقد في الجنّاز. وتستخدمه الكنائس البروتستانتية في عدد من المناسبات الدينية.

وفي جميع كنائس الشرق، تُضاء الشموع ولو كانَ نور الشمس يملأ الكنيسة. فالإضاءة ليست لتبديد الظلمة وإنّما لإعلان الفَرَح، ولكي يكونَ النور المَنظور إعلاناً وشهادَةً عن نور الإنجيل غير المَنظور.

تُضاء شمعَتَان إشارةً إلى فَريقَي اليهود والأمم الذين استناروا بتعليم المسيح وشهادةً على أنَّ المقدَّم على المذبح هو نور العالم، وإمّا سبع شموع لأنَّ سبعاً هي مواهب الرّوح وسبعاً كانتِ المَنائرُ التي شاهَدَ يوحنّا في وسطها منظَرَ ابنِ الإنسان (رؤيا 4: 5)

المسبحة

استعمال المسبحة في الصلاة والتعبّد، ممارسة قديمة جدّاً نشأت في الهند نحو القرن الخامس قبل الميلاد وتبنّتها الديانة الهندوسيّة والبوذية ثم تبنتها المسيحيّة ثم الاسلام. والمسبحة عقد مغلق من مجموعة حبّات يصل عددها إلى أكثر من مئتي حبّة وفقاً للتقليد الذي يتبعه المؤمن.

في المسيحية

لا تعترف الكنائس الأرمنية الأرثوذكسية والبروتستانتية بأهمية المسبحة، وتعتبرها الكنائس الأخرى وسيلةً تسبّح بها الله من خلال صلوات وأقوال تتنوّع بين الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية. مع نشأة الحياة الرهبانيّة في الشرق المسيحي ابتدأ الرهبان يبتكرون طرقاً تساعدهم على تنفيذ وصيّة الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي: "صلوا بلا انقطاع". تتنوّع المسابح بحسب الكنائس، ففي الكنيسة الأرثوذكسيّة تصنع المسبحة من خيط صوفي أسود. واللون الأسود لون الحزن والألم، والمسبحة تستعمل كوسيلة للتوبة، إذ المؤمن يشعر بالحزن بسبب خطيئته فيطلب الرحمة من الله. لذلك مع كل حبة، يطلب من يسوع المسيح أن يرحمه لأنه خاطئ. يصبح الحزن إذاً ينبوعاً للفرح وللراحة في المسيح، الذي يفيض رحمته ومسامحته وغفرانه لكل الذين يدعون باسمه.

تستعمل المسبحة أساساً لتلاوة "صلاة يسوع" كما يمكن أن تتلى أيضاً صلوات أخرى، مثل صلاة العشّار: "ارحمني يا ألله أنا الخاطئ" (لوقا 18:13)، وصلوات موجّهة إلى مريم العذراء والدة الإله: "أيتها الفائق قدسها والدة الإله خلصينا"، أو: "يا مريم يا والدة الإله تشفعي فينا". وقد تقال صلوات للملاك الحارس وإلى بعض القديسين بذكر أسمائهم، كما يمكن رفع الصلاة من أجل رحمة شخص آخر أو راحة نفس أحد الراقدين.

أما في الكنائس الكاثوليكيّة، فتتألف المسبحة من خمس مجموعات حبوب متسلسلة، تحتوي كل مجموعة على عشر حبات يفصل بينها حبة مستقلة ذات حجم أكبر من الباقيات. يجمع العقد بأيقونة مثلثة الزوايا، تحتل مكان الحبة المستقلة الخامسة، وتنطلق من زاويتها الثالثة سلسلة صغيرة مؤلفة من ثلاث حبات، تسبقها وتتبعها من كل طرف حبة كبرى وتنتهي بصليب صغير. تبدأ تلاوة المسبحة برسم إشارة الصليب إذ يقول المؤمن: "باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين."، ثم يتلو مباشرة قانون الإيمان

أي إعلان الايمان المسيحي. بعد ذلك يتلو على كل من الحبّات الكبرى في تسلسلها الصلاة الربيّة "أبانا الذي في السماوات..." وعلى كل من الحبّات الصغرى في تسلسلها السلام الملائكي "السلام عليك يا مريم..." وعند نهاية كل سلسلة يقول "المجد للآب والابن والروح القدس، كما كان في البدء وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين." إضافة إلى المسبحة العادية المذكورة، ثمة في الكنائس الكاثوليكية ما يسمى بالمسبحة الوردية: عقد مغلق من أربع سبحات عادية تجمع مائتي مرة "السلام الملائكي". ويتأمل المصلّي عند تلاوتها دور مريم العذراء في سر الخلاص ويتضامن معها في أسرار الفرح والنور والحزن والمجد. تشكل تلاوة المسبحة، فردياً أو جماعياً، ممارسة روحية بمتناول جميع المؤمنين، من كل الأعمار، وفي جميع الظروف. وهي تجمع بين تلاوة صلوات شائعة وبين التأمل الشخصي بالخلاص الذي يقدّمه يسوع لجميع البشر.

في الاسلام

تدل المسبحة بتكوينها اللغوي على التسبيح. والتسبيح عند المسلمين أن يقول المسلم "سبحان الله" أي يسبح ويعظم الله، لكن عندما ترتبط المسألة بالمسبحة يُصبح التسبيح بمعنى الذكر لله بالمطلق أي أن يقول المسلم أذكاراً يُذكر فيها الله تعالى: مثلاً: سبحان الله، والحمد لله، لا إله إلا الله – الله أكبر – وغيرها من الأذكار التي تقربُه من الله عز جل. كان النبي (ص) يسبح بأصابع يده اليمنى، وكان بعض الصحابة يسبحون بالحصى أي بقطع صغيرة من الحجارة، تطورت هذه العادة حتى أصبحت عدة حصيات مجموعة في خيط واحد إلى أن وصلت إلينا على شكلها الحالي. تستخدم المسبحة للعديد من الأذكار منها بل وأهمها ما يطلقون عليه اسم تسبيحة الزهراء عليها السلام.. وهي عبارة عن قراءة بعد كل صلاة يذكر فيها الإنسان عبارة "الله أكبر" 34 مرة، "والحمد لله" 33 مرة، "وسبحان الله" 33 مرة. وتستخدم لإحصاء بعض النذورات والاستغفارات التي ترتبط بعدد معيّن. وفي بعض المناطق الشعبية في بيروت والشام كانت بعض النسوة يستخدمن "المسبحة الطويلة" للاستغفار ألف مرة ثم الصلاة على محمد ألف مرة وبشكل جماعي ومشترك وذلك بهدف طلب الاستجابة لأمر يبتغيه أحد الأشخاص مثلاً. ويكثر الصوفيون من استخدام المسبحة وهم يقسّمون حباتها ويفصلون بينها بحبات لها شكل يختلف عن غيرها يسمّونها الشاهد، بحيث يجمعون بين قسمي كل من شاهدين عدداً معيناً يختص بالأذكار.

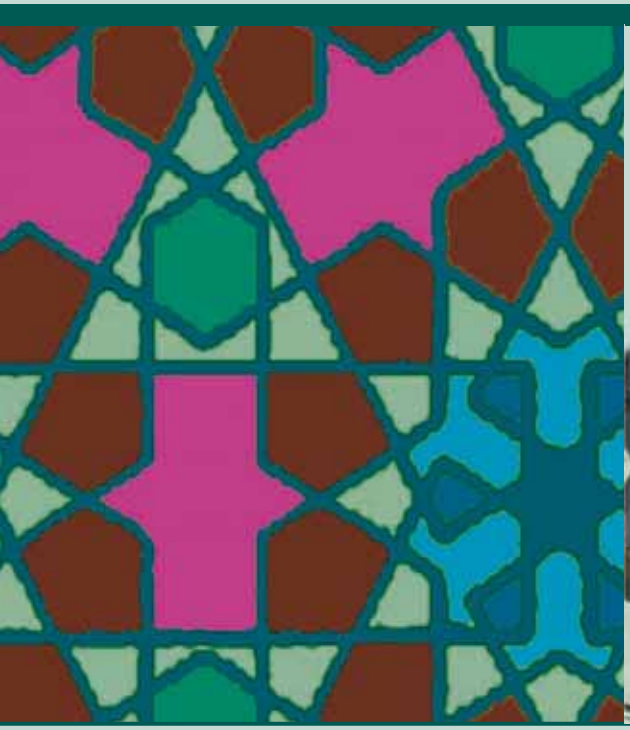

في المكان: أمكنة العبادة

يؤكّد المسيحيّ، بفرح وتفاؤل، إيمانه بحضور الله في كل مكان بحبه وبحنانه وبعنايته للكائنات عموماً وللإنسان خصوصاً، حسب شهادة يسوع في عظة الجبل. وهو حيثما يكون، يعيش بين يدي الله وبرعاية نظره الأبويّ (متى 6 : 25 - 34). ويعترف بأن إيمانه يحثه على الإجابة المتيقظة والفاعلة لنداء الله، فيسعى جاهداً، بالشراكة مع الآخرين، نحو بناء عالم جديرٍ بحبه تعالى. أمّا في الإسلام، فكما ترتبط شعائرُ وعباداتٌ ومناسباتٌ بأوقات وأزمنة معينة خلال العام، كذلك ترتبط شعائرُ وعباداتٌ ومناسباتٌ في الدين بأماكن معينة، وبيئات معيَّنة. فمن بين أركان الإسلام الخمسة وهي بعد الشهادتين: الصلاة والزكاة والصوم والحجُّ، هناك ركنان مكانيان هما الحجُّ والصلاة. أما الحجُّ فيرتبطُ بالكعبة في مكة المكرَّمة، وأما الصلاةُ فترتبط بالمساجد، وإن كانت الصلاةُ – باستثناء صلاة الجمعة – ممكنةً خارجَهُ؛ وأوقات الصلاة تتعلَّق بالزمان كما تتعلَّق بالمكان.

الله موجود في كل مكان، غير أن الانسان المؤمن يشعر بالحاجة أحياناً إلى لقائه في أمكنة محدّدة وضمن جماعات متوحّدة في طقوس مشتركة. فيعرف إذ ذاك أين يصلّي أو يدعو الله، وكيف يصلّي في أماكن العبادة التي تفصله في موقعها عن عالمه الدنيوي، لتدخله إلى معبد يستقطب فضائياً حضوراً مقدساً لله الذي لا يحدّه مكان. تتميّز أمكنة العبادة بالروحانية التي تسيطر على موقعها وبنيانها، فعندما يقرب منها الانسان ويشاهد قبة الكنيسة أو مئذنة المسجد ترتفعان عالياً في السماء يدرك تلقائياً كيف الحياة الدنيويّة تكتمل وتزدهر بالحياة الدينيّة. وعندما يدخل إليها يلفه خشوعٌ روحيٌّ عميق. ويسهم في تقوية الشعور بالحضور المقدّس في تلك الأمكنة هندستها وزخرفتها وزينتها التي ترتفع بالانسان نحو السماء، نحو الله، عبر قببها وجدرانياتها وزجاجياتها المزدانة بمشاهد مستوحاة من الأناجيل وحياة القديسين، في لوحات فسيفساء أو في رسوم زيتيّة أو في تماثيل غنيّة بإيحائها في المسيحيّة، أو بآيات من القرآن الكريم تكشف عن سلطة الله تعالى وروعة أقواله المنقوشة على الجدران. ويشكل كل ذلك روائع فنية نادرة. وفي الإسلام، لا ترتبط الصلواتُ الفرديةُ بالمسجد أو بأي مكان آخر. قال النبي (ص) في الحديث الصحيح: "جُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، فحيثما أدركتكم الصلاةُ فصلُّوا". لكنْ إذا أراد المسلمُ أن يصلّي مع إخوانه، فمن الطبيعي أن تُقامَ صلاةُ الجماعة في المسجد.

فليست المساجد إذاً شرطاً لإقامة صلاة الجمعة، ولكن الصلاة في المسجد أفضل منها في غير المسجد.

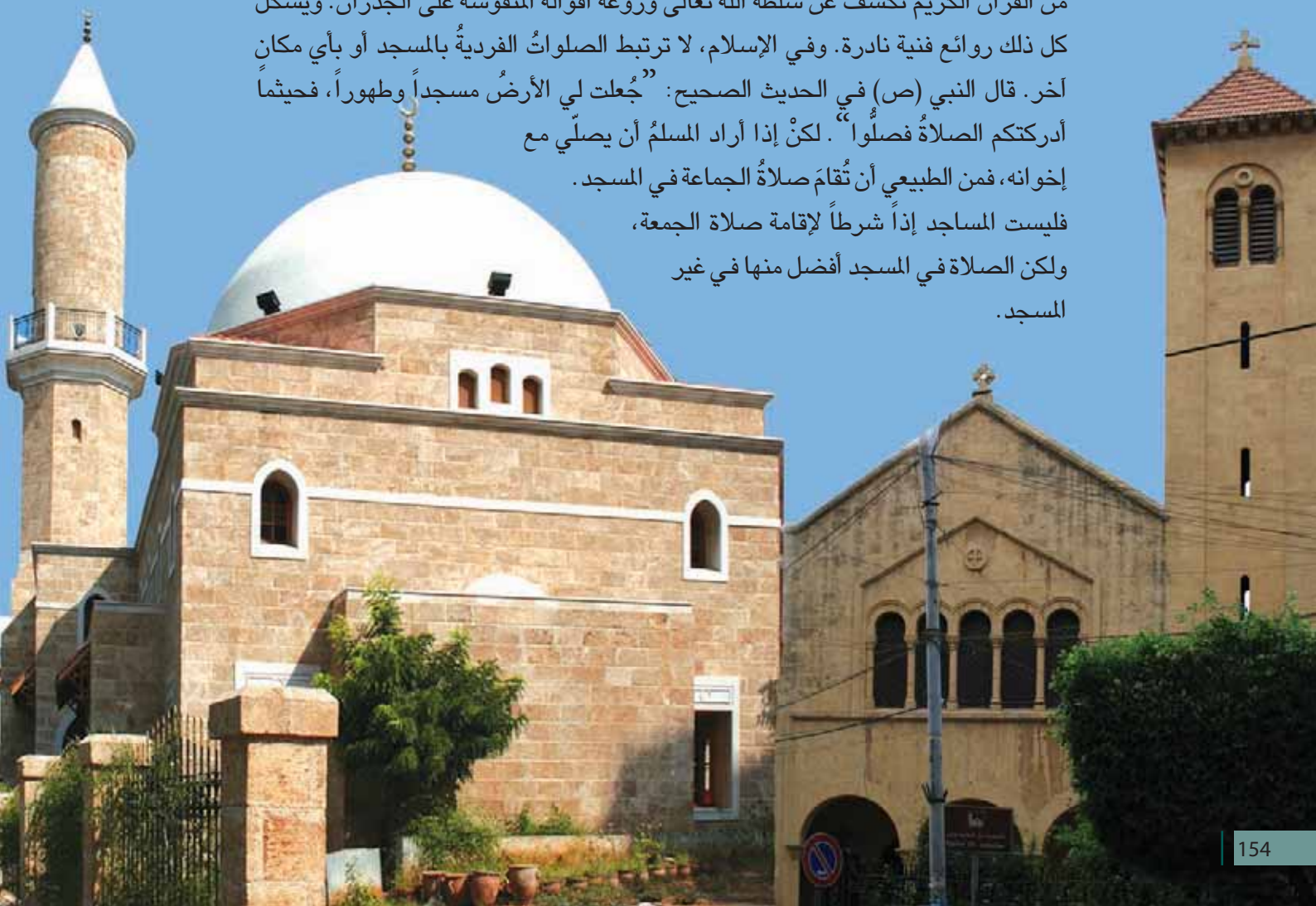

الكنائس

الكنائس أماكن تشيّد حيثما توجد جماعات مسيحيّة، كي تُمارَسْ فيها طقوس العبادة. يَفدُ المسيحيّون إلى الكنائس للمشاركة في الطقوس الليتورجيّة والأسرار وللاحتفال بالصلوات ورفع المزامير والتراتيل إلى الله، وللإصغاء إلى بشارة الإنجيل. كما يقصدونها لزياراتٍ خاصة، للصلاة أو لقضاء لحظات تأمل.

بعد شرعة ميلانو سنة 313 التي تعترف بحريّة المسيحيّين، ظهر الفنّ المسيحي، وتكاثرت الكنائس الكبرى التي شيّدها قسطنطين ذاته، وفُرِض على رعاة الكنيسة قرار اختيار شكل هَندَسي لمكان تجمّعهم.

اختار المسيحيّون البازيليك[16] لمكان تجمّعهم، لأنّها تتّسع للمذبح وللجماعة معًا.

أمّا التحديد الليتورجي للبازيليك فيفترض فيها العناصر التالية:

- كرسيّ الأسقف ومقاعد الكهنة حوله.
- منبر القراءة والوعظ.
- طاولة المذبح.
- بيت المعموديّة.
- مستودع الكنيسة.

لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الكاتدرائيّة هي كنيسة الأسقف لأنَّ كلمة كاتيدرا اللاتينيّة تعني العرش.

(16) البازيليك: إسم أطلق في القرون المسيحيّة الأولى على الكنائس التي لم تكن مجرّد بيوت حُوِّلت إلى معابد، بل كانت تُبنى على شكل المباني العامّة الدارجة في الامبراطورية الرومانيّة. والبازيليك هي الكنيسة الكبيرة غير الكاتدرائيّة. كلمة بازيليك مشتقة من كلمة بازيلوس التي تعني الملك.

أجزاء الكنيسة: الأسماء والأشكال والغاية

- **بيت المعموديّة**: مع تكاثر مناسبات المعموديّة، ومن جرّاء ارتباطها بالافخارستيّا، أفرزَت أمكنة من الأبنية القائمة، أو شُيِّد بعضها خصّيصًا للمعموديّة قرب الكنائس، وفق هندسة معماريّة وتصميم ليتورجي ترمز أشكاله وعناصره الهندسيّة إلى مُعطيات من تاريخ الخلاص. فهناك البناء المستدير والمثمّن الأضلاع الذي تعلوه قبّة على الطريقة الرومانيّة. فالشكل المستدير يرمز إلى قبر المسيح في القدس، وللشكل المثمّن الأضلاع رمز خاص، حيث الرقم 6 يرمز إلى أيّام الخلق الستّة، واليوم السابع للراحة، والثامن ليوم قيامة المسيح من القبر وللحياة الأبديّة.

- **المذبح**: طاولة مصنوعة من خشب أو من رخام أو حجر. يحتلّ المركز الرئيسي في الكنيسة، وهو المحور الذي يجتمع حوله المسيحيّون ليكسروا الخبز أو ليتمّموا أمر المسيح بأن يصنعوا ما صنعه في العشاء السريّ، لذكره حتّى مجيئه. المذبح يكون ثابتًا، قرب حائط الحنية أو في وسطها، حوله يكون عرش الأسقف والكهنة وفوقه ترتفع قبّة على أعمدة، أو يستر بستار يفصله عن جماعة المؤمنين. أصبح هذا الستار في الطقس البيزنطي "إيقونوستاز" (أي حائط الأيقونات). يرمزُ المذبح إلى المذود حيثُ وُلِدَ السيّد المسيح، وإلى الجبل حيث علّمَ وتجلّى، وإلى السفينة وإلى مائدة العشاء وإلى الصليب وإلى القبر.

الإيقونستاز (حائط الأيقونات): حاجب من الخشب أو الرخام أو غيره، تزينه أيقونات للسيد المسيح والسيدة العذراء والرسل. ويفصل الإيقونستاز بين المذبح وجماعة المؤمنين في الكنائس البيزنطية

- **البيما أو المنبر:**

تقام قرّايتان أمام الدربزين لأجل تلاوة الصلاة، وعليهما تتلى الكتب المقدّسة وتعاليم الآباء وسيَر الشهداء والقدّيسين والعظات.

- **كرسي الاعتراف:**

في البدء كانت المعمودية تنوب عن الحاجة إلى مكان للتوبة. ولمّا تكونت في الكنيسة فئة التائبين، أفرز لها مكان مع الموعوظين في الرواق الأمامي، حيث ما زال الطقس البيزنطي يمنح هذا السرّ. ولمّا أصبح سرّ التوبة عملاً يتمّ بين المعرِّف والتائب، ظهرت الحاجة إلى مكان مختصّ يحجب الاثنين عن الجماعة ويحفظ سريّة الإقرار، فكان كرسي الاعتراف.

- يضاف إلى تقسيم الكنيسة الهندسي، عن يمين المذبح ويساره، مذبحان صغيران، على مذبح اليمين تحفظ الأسرار المقدّسة: القربان، وعلى مذبح اليسار تُحفظ ذخائر القدّيسين.

- بعد انقسام الأمبراطوريّة الرومانيّة في القرن الرابع إلى منطقة غربية عاصمتها روما، ومنطقة شرقية تضمّ القسطنطينيّة، انطاكية، أورشليم والإسكندرية، ظهر في المسيحية تقليدان رئيسيّان: الغربي والشرقي. يكون صدر الكنيسة في هذين التقليدين موجّهاً صوب مشرق الشمس، إذ يرى فيه المسيحيّون رمزاً ليسوع المسيح الذي أزال الظلمة من العالم بحياته وموته وقيامته. غير أن المسيحيين يعطون للكنيسة شكل صليب في التقليد الغربي، أما في التقليد الشرقي، فهم يعطونها بالاضافة إلى شكل الصليب شكلاً مربعاً تعلوه قببٌ متعددة. وتمتاز الكنائس الأرمنية الأرثوذكسية، الى جانب زخرفتها الخاصة، بقبتها الطايلة والتي تتميز بشكلها المخروطي وقاعدتها المستديرة. أما كنائس الإصلاح البروتستانتية فلم تتمسك بشكل محدد للكنيسة.

تشيّد الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، في التقليدين، على اسم يسوع المخلّص أو العذراء مريم أو أحد القدّيسين، وتوضع في داخلها الايقونات والتماثيل. قد تُكتسى جدرانها ونوافذها بالرسوم أو بأنواع الفسيفساء، تُستوحى مواضيعها من الكتاب المقدّس في عهديه القديم وخصوصاً الجديد، إذ تعود إلى أحداث هامة من حياة يسوع، وقد يضاف أحياناً مشاهد من حياة القديسين. وتُعرف الكنائس البروتستانتية ببساطتها وبخلوها من الصور والأيقونات والتماثيل، وصليب (من دون مصلوب) في صدرها وعلى طاولة الاحتفال الافخارستي، لمساعدة العابدين القيام بفعل عبادة روحية خالية من الأشكال المادية، وتحاشياً لئلا تصبح هذه الأشكال موضوع عبادة في الممارسة الشعبية. وتوضع داخل الكنائس الأرمنية الأرثوذكسية صور للعذراء مريم وليسوع المخلص وللقديسين الأرمن، كما توضع في بعض الكنائس الأرمنية الأرثوذكسية رفات هؤلاء القديسين.

عند مدخل الكنائس أحياناً جرن للماء المبارك يبلُّ فيه الداخل طرف إصبعه، ثم يرسم على جبينه بالماء صليباً وترمز هذه الحركة إلى نيّة التنقية قبل مباشرة الصلاة. تعلو الكنائس في الخارج أبراج الأجراس التي تقرع في مناسبات متنوعة: إما لتبشير الجماعة بإقامة القداس أو لتلاوة صلاة، أو للاحتفال بأحد طقوس العمادة أو الزواج أو الجنازة أو غيرها.

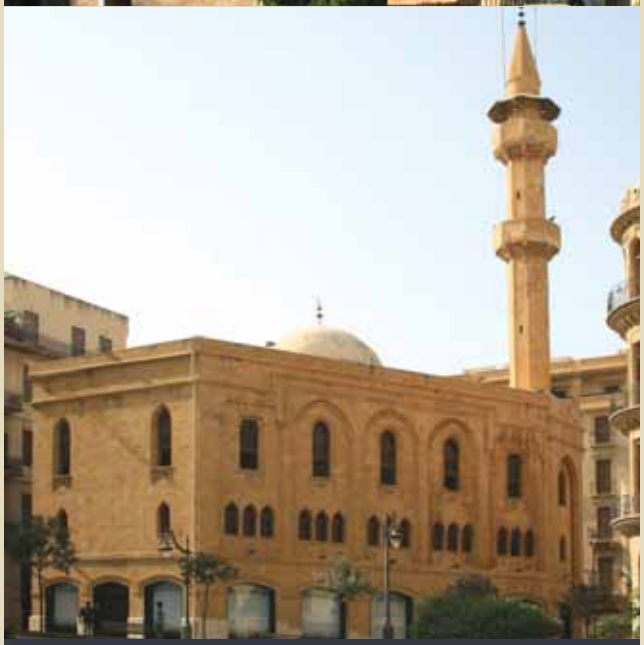

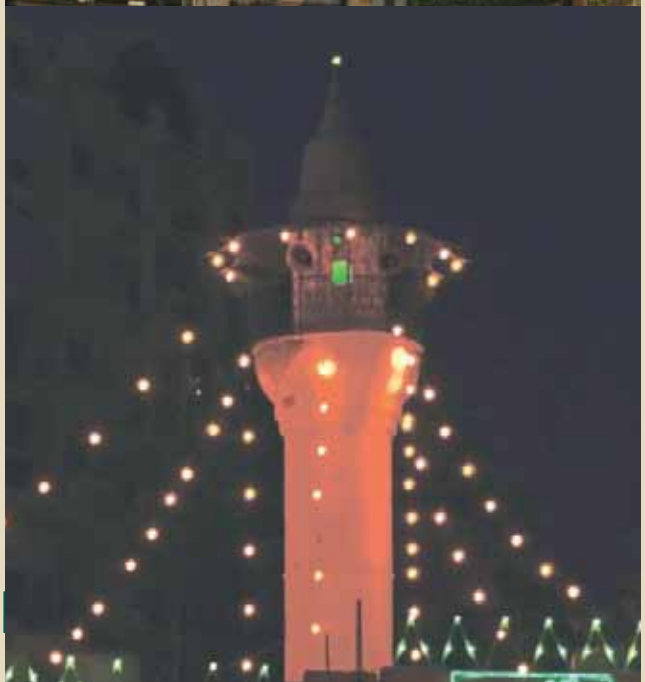

المساجد

المسجد اسمٌ في الأصل لمكان السجود، وهذا معناه في (سورة الإسراء، آية 1)،﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركْنا حوله لنُريَهُ من آياتِنا﴾. فالمسجد الحرامُ في مكة، وهو الكعبة، كان مبنىً معروفاً؛ لكنْ لم يكن هناك ما يُماثلُهُ في القدس عند نزول السورة. بيد أنّ رسول الله (ص) شرع بعد وصوله إلى المدينة مباشرةً، في صيف العام 622م، بالتخطيط لبناء مسجده الذي امتدّ على مائة ذراع، والجزء الأسفل من حيطانه من الحجارة، أما الجزء الأعلى فمن سعف النخيل. وكان يخطب مستنداً إلى جذع شجرة ثم بُني له منبرٌ بدرجتين. وكان الاتّجاه في الصلاة ولستة عشر شهراً، أي حتى العام 624م، إلى القدس، ثم صارت القبلةُ إلى الكعبة في مكة حسبما تذكر الآية: ﴿قد نرى تقلُّب وجهك في السماء فلنولينَّك قبلةً ترضاها، فولِّ وجَهك شطْرَ المسجد الحرام﴾ (سورة البقرة، آية 144).

وتتم زخرفة المساجد بشتى أنواع الزخرفة، بمعنى حسن منظرها وأناقة شكلها ولكن بلا إسراف. وهو مستحب لتعظيم المسجد الذي هو من شعائر الله عند المسلمين. ففي الزخرفة كمال حسن الشيء. غير أن الزخارف التي تحمل معها ذهباً ممنوعةٌ في المساجد لعدة أسباب. فهي تعتبر إسرافاً إذ من الممكن أن يصرف المال على الفقراء أو على بناء مسجدٍ آخر، كذلك هي تكسر قلوب الفقراء إذا ما رأوها، وقد نهى النبي محمد (ص) عنها.

يتكون المسجدُ، كما استقرت عليه بنيتُهُ في ذروة العصور الوسطى الإسلامية (بين القرنين العاشر والسادس عشر للميلاد) من تسعة أقسام أو عناصر رئيسية: قاعة الصلاة، المقصورة، المحراب، السُدَّة، المنبر، الصحن، الميضأة، القبة، والمئذنة. أمّا قاعةُ الصلاة فهي القاعة الأساسية التي يدخل إليها المصلّون. وهي تتألف من أروقة رأسية، وتزدهر جدرانها بالزخارف والتزيينات والكتابات القرآنية، وهي الأوسع مساحةً، والأقلّ أعمدةً، لكي يتمكن المصلُّون من الصلاة في صفوفٍ منتظمةٍ من وراء الإمام.كانت تقع في وسط قاعة الصلاة غرفةٌ صغيرةٌ تدعى المقصورة مخصَّصة للحاكم أو الأمير،غير أنها أُلغيت في ما بعد.

أما السُدَّةُ فهي السقيفة المقابلة للمحراب والمنبر، وتخصَّص أحياناً لصلاة النساء. وتعتلي المدخل الرئيسيَّ للمسجد مباشرةً، يصعد إليها المؤذّن والمصلّون من درج خلفي، فيرى المؤذّن حركة الإمام بسهولة ليعيد التكبيرات بعده لمن لم يسمعْها من المصلّين بأرجاء المسجد الخلفية والصحن.

وأما الصحن فهو القسم الثاني من المسجد قبل قاعة الصلاة، وهو غير مسقوف، وتتوزع على أطرافه الأروقة ذات القباب لتقوم بوظيفة التظليل. وفي الصحن أُقيمت حدائق غناء، كما أقيمت الميضأة والأحواض التابعةُ لها وهي ذات قبابٍ منقوشة، وطُرُزٍ معمارية متنوعة. وفي عودةٍ لقاعة الصلاة؛ هي القبَّة السقف، اتخذت عبر التاريخ عدة أشكال من المدوَّر إلى المُربَّع والمثمَّن، ثم ظهر النمطُ العثمانيُّ المعروف للقبة الكبيرة التي تحيطُ بها قبابٌ صغيرة. وفي قاعة الصلاة، وفي جهتها القبلية يقومُ المحرابُ على شكل حنية مجوَّفة في الجدار في مقدمة القاعة تحدد جهة الكعبة. والمحرابُ يغصُّ بالزخارف. وفي صدر قاعة الصلاة إلى جانب المحراب يقومُ المنبر الذي يصعد إليه الخطيب يوم الجمعة وفي الأعياد والمناسبات. وتَطوَّر المنبر كثيراً من خشبي إلى حجري أو رُخامي. وكلُّ أشكاله غاصّةٌ بالزخارف والتزيينات.

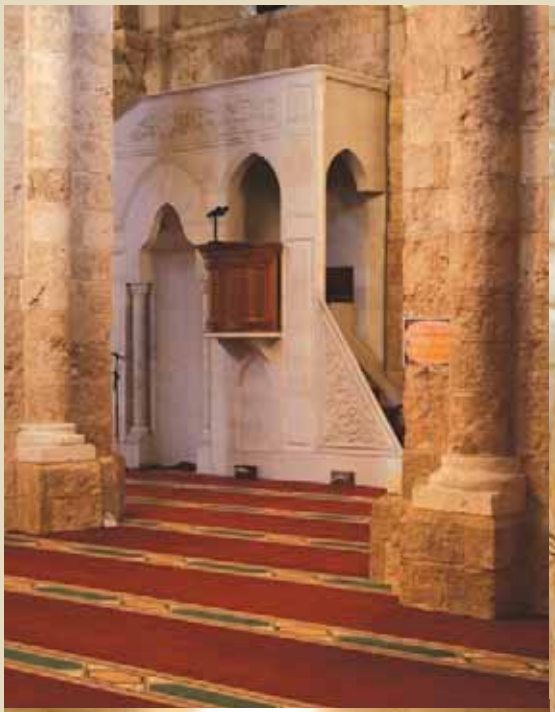

أما المئذنة فهي عبارةٌ عن برج مرتفع كان المؤذّن يصعدُ إليه ليُعْلِمَ المصلّين بحلول وقت إحدى الصلوات الخمس. وقد تكون المئذنة دائريةً أو مربَّعةً أو مثمَّنة. أول مئذنة شاهقة كانت التي رفعها الأمويون إلى جانب الجامع الكبير في دمشق. ثم كانت مئذنة مسجد قبة الصخرة. ويسود الشكل المربّع مساجد شمال إفريقية والأندلس والشام. والشكل الحلزوني والأسطواني في العراق ومصر وإيران والأناضول. ثم ظهر الشكل القلمي والصاروخي العثماني. وزاد عدد المآذن إلى اثنتين وأربع وست أحياناً.

وانقسمت المساجد في البدء إلى قسمين رئيسيين: المساجد المحلية والمسجد الجامع. والمقصود بالمسجد الجامع المسجدُ الرئيسي الذي تُقامُ فيه صلاةُ الجمعة، ويكون بمثابة جامع المدينة أو العاصمة. أما مساجدُ الأحياء فللصلوات الخمس. وبين المذاهب الفقهية الإسلامية القديمة اختلافٌ، إذا كانت تجوزُ صلاةُ الجمعة في أكثر من مسجدٍ في المدينة بسبب الطابع الاحتفالي وشبه الرسمي لصلاة الجمعة.

تتفاوت المساجد في الفضل والقداسة، وأعظمها في الإسلام المسجد الحرام (الكعبة) ومسجد النبي في المدينة المنوّرة والمسجد الأقصى في القدس ومسجد قباء قرب المدينة المنّورة.

كانت للمساجد عبر العصور وظائف عدة إلى جانب إقامة الصلوات مثل تدريس القرآن والعلوم العربية والفقهية، قبل أن تستقلّ المدارسُ بأبنيةٍ خاصةٍ بعد القرن الثاني عشر.

مجلس خلوات البياضة – حاصبيا.

الخلوات

الخلوات عند الموحدين الدروز هي المساجد في الأصل. وفي سيرة الأمير السيد التنوخي أنه أمرَ بعمارة المساجد في القرى وإقامة الخطب فيها كل يوم جمعة، وما زالت بعض الجوامع شاهدة على ذلك، منها: جامع فخر الدين عثمان وسط بلدة دير القمر، وجامعا القاع في البقاع والبراني في صيدا، بناهما الأمير فخر الدين الثاني، ومسجد الأمير منذر بن سليمان التنوخي، بناه في بيروت بالقرب من المنطقة المعروفة بباب ادريس. غلبة ما يمكن تسميته بـ "طبائع المسلك" عند الموحدين الدروز فرضت شكلا "ورعًا" على أماكن العبادة عندهم بما اصطلح على تسميته بـ "الخلوات". وشكل الجامع، كما هو في ذهنية "عقال" الموحدين، غير مرتبط تحديدًا بالهندسة المنطلقة إلى فضاء الفسحة الخارجية بقدر ما هو مرتبط بمفهوم "الداخل"، والسعي إلى إحاطته بالسكينة، ومن ثم إنارته وتغذيته بلطائف المعنى سبيلاً إلى التحقق بمقاصد الله تعالى من الوجود الانساني الحق.

لهذا السبب، ما يميز هذه الخلوات هو إقامتها في أمكنة نائية عن العمران (اليوم حركة البناء المدني لم تترك فسحة طبيعية هادئة إلا و"استعمرتها")، وإنشاءاتها لا تولي شأناً لمظاهر هندسية عامرة، بل تنحو نحو الاقتصار على الضرورة الطبيعية لإقامة الصلاة غايتها سبر أغوار النفس وليس راحة الجسد بالمعنى الغائي للمسلك.

وهذه الخلوات يقصدها الموحدون للدرس والسعي إلى رياضة النفس بحقول المعنى. وتشهد لقاءات جموع حاشدة في كل ليلة جمعة (الخميس مساء) من كل أسبوع، وفي الأعياد الدينية (خصوصاً الأضحى والفطر ورأس السنة الهجرية) والمناسبات الخاصة (حضور وفود من مناطق أخرى أو التداعي للتداول في امر عام إلخ). وأهم هذه الخلوات: البياضة في حاصبيا، وخلوة القطالب في الشوف، وخلوة الزنبقية قرب الباروك.

الاديار

تدل لفظة أديار (ومفردها دَيْر) على المنشآت التي بدأت تظهر في المسيحية في مطلع القرن الرابع حيث كان يعيش رهبان أو راهبات حياة جماعيّة، يمارسون شعائر دينيّة مشتركة ويخضعون لقوانين خاصة بجمعيتهم. يدير الدير ويشرف عليه رئيس عام. في الكنائس الكاثوليكيّة ينتخب مجمع الرهبان العام الرئيس الذي يدعى أحياناً أباتي. أما في الكنائس الارثوذكسيّة فيعين المطران راعي الأبرشية رئيسَ الدير.

ازدهر بناء الأديار في لبنان خلال العهد الصليبي، وجاءت مختلفة ومتنوّعة كما يلي:

الأديار الصليبيّة: قام ببنائها الصليبيّون مستعينين باليد العاملة المحليّة، مُستَلهمَة من أديرة رهبان السيسترسيان التابعة لمدرسة Bourgogne في فرنسا. ومن خصائص هذا الفنّ البساطة وتناسق المقاييس واستعمال العقود السريريّة المرتفعة والعقود المصلبة والأعمدة اللاصقة مع تيجان مزخرفة. منها دير البلمند.

الأديار المحليّة: تنتشر على قمم الجبال وسفوحها، في الأودية والمغاور، كنائس صغيرة بسيطة، شكلها الخارجي مكعّب وداخلها مزدان، في اغلب الأحيان، برسوم جدرانيّة تغطّي الحنية والجدران القريبة منها.

يحوي كل دير مكاناً للسكن، مطبوعاً بطابع التقشّف ويدعى الحصن، ويكون محرَّماً على الغرباء عن الجماعة الرهبانيّة التي تسكنه. إضافة إلى الحصن، ترتفع في كل دير كنيسة يلتقي فيها الرهبان أو الراهبات لتلاوة الصلوات وللاحتفال بالذبيحة الإلهية، وتكون مفتوحة لاستقبال المصلّين والزائرين من خارج الدير.

منها دير سيدة إيليج في ميفوق. صورة طبق الأصل لبيت فلاّح: القسم الأرضي يتضمّن كنيسة وأقبية مجاورة للعمل، وطابق أوّل للسكن. وهو مثال البساطة والواقعيّة في الحياة الكهنوتيّة لتلك الفترة التاريخيّة المميّزة.

منذ القرن السادس عشر إلى عصرنا الحاضر انتشرت الكنائس والأديار في جميع أنحاء لبنان، وهي تتميّز، في مجملها، بالطابع الهندسي ذاته مع بعض التغييرات الداخليّة حسب الطقوس الليتورجيّة. أصبحت الأديار ذات أهميّة كبرى، لها هندستها الملائمة للحياة الرهبانيّة، ومميّزاتها التالية:

- ارتفاع الكنيسة بشكل ظاهر.
- وجود ساحة داخليّة مع بركة أو بئر في وسطها، وأروقة تحيط بها.
- الطابق الأرضي مخصَّص للنشاطات الزراعيّة وللمواشي وحفظ الغلاّت.
- الطابق الأوّل للحياة الرهبانيّة.

تتميّز هذه الأديار ببساطة الزخرفة المتأثّرة بالفنّ الشرقي، وباستعمال العقود المصلبة والسريريّة. منها: دير طاميش، دير حراش، دير قزحيا، دير مار الياس شويّا للروم الأورثوذكس، ديرسيّدة البشارة في زرعايا... وتطوّرت الهندسة الكنسيّة في لبنان ونمت، من الناحية الهندسيّة والزخرفة، مع تطوّر واتّساع الحريّات الاجتماعيّة في لبنان، وكان ينحسر حجمها مع انحسار الحريّات.

ظهرت الرغبة في تكريس الحياة الفردية لله بالإقتداء بيسوع المسيح، وعيش الفقر والعفة والطاعة، في القرون الأولى من المسيحية. فكان النسّاك يتجوّلون فردياً ليبشروا ويعظوا، ثم ينصرفون إلى التأمل والتقشّف في الصحراء، وقد لُقّبوا بـ "آباء الصحراء". بعدها، حصل انتقال من النسك والتقشف الفردي المتوحد إلى الشكل الجماعي، وبرز في هذا المجال دور القديس باسيليوس الكبير في القرن الرابع، وباخوميوس في القرن الرابع. بدأ طالبو الإقتداء بالمسيح يتجمّعون ويخضعون لقواعد مشتركة تنظم حياتهم في الجماعة، وتقوّي رابط الأخوّة بين الذين يبرزون احتفالياً نذور الفقر والعفة والطاعة.

ونمت الجمعيات الرهبانيّة وتكاثرت وانتشرت، وأسهمت إسهاماً فاعلاً في المجتمعات اقتصادياً وذهنياً وروحياً. فساعد الرهبان الفقراء والمرضى في محيطهم المباشر، وعلّموا الناس القراءة والكتابة، وأغنوا المكتبات وصانوا نسخ المؤلفات قبل ظهور المطبعة، بالإضافة إلى التبشير بالدين، وإحياء الاحتفالات والصلوات، وإنشاء المؤسسات الخيرية وإجتماعية والصحية والتربوية. تعرضت الجماعات الرهبانيّة لمصائب كثيرة وبقيت مستمرة عبر التاريخ، فتنوعت أساليب عملها في خدمة المجتمع والعلاقات معه، وفي تحصين الأديرة أو الانفتاح على العالم. وتنوّعت أشكال اللباس وألوانه بين مجموعة وأخرى بشكلٍ ميزها عن بعضها البعض.

المزارات المسيحية العامة والخاصة

المزارات العامة أماكن عبادة متنوعة، تختلف في مواقعها وفي تاريخها: كنائس أو معابد أو ساحات مكرّسة للاحتفالات الدينية أو أماكن نذورات وحج. بعضها مدعوم بتقليد ديني عريق مثل سيدة المنطرة في مغدوشة المشرفة على صيدا في الجنوب، وبعضها الآخر يزخر بتاريخ وطني وتقوي معاً مثل سيدة لبنان في حريصا، وبعضها الآخر يعبق بقداسة الذين عاشوا فيها مثل الأديار حيث عاش قديسون مثل شربل ورفقا والحرديني، ناهيك عن أديار كثيرة حافلة بذكريات آباء ورهبان عاشوا فيها. تنتشر هذه الأديار في كل أنحاء لبنان، ويقصدها المؤمنون اتماماً لنذر أو طلباً لشفاعة.

المزارات وأمكنة العبادة أمكنة مقدَّسة تشبه الهياكل القديمة التي تسكن فيها القوّة الإلهيّة: هي حرم مقدَّس يحجُّ إليه الناس للصلاة والتشفُّع والنذر واستجداء العجائب! وهذه النظرة إلى الأماكن المقدَّسة المكرَّسة لله على اسم السيّدة العذراء أو القدّيسين هي في نظر الشعب أماكن يسكن فيها الله مع قدّيسيه وكأنّها سماء ثانية تكثر حولها الأخبار والأساطير. كتب المؤرّخ تيودوريطس القورشي عن المزارات في منتصف القرن الخامس: "هناك، في هذه المزارات،... يصلّي من عندهم الصحّة لحفظ صحّتهم، والمرضى يصلّون لينتصروا على أمراضهم ويخلصوا منها، ومن ليس لديهم أولاد يلتمسون أولادًا، والنساء العاقرات يبتهلن ليصبحن أمّهات... وأمّا أن تستجاب طلبات كلّ من يسألون، فهذا ما تظهره النذور المعلّقة والله في حلمه يقبل تقدماتنا الصغيرة لأنّه ينظر لا إلى التقدمة بل إلى الذي يقدّم..." .

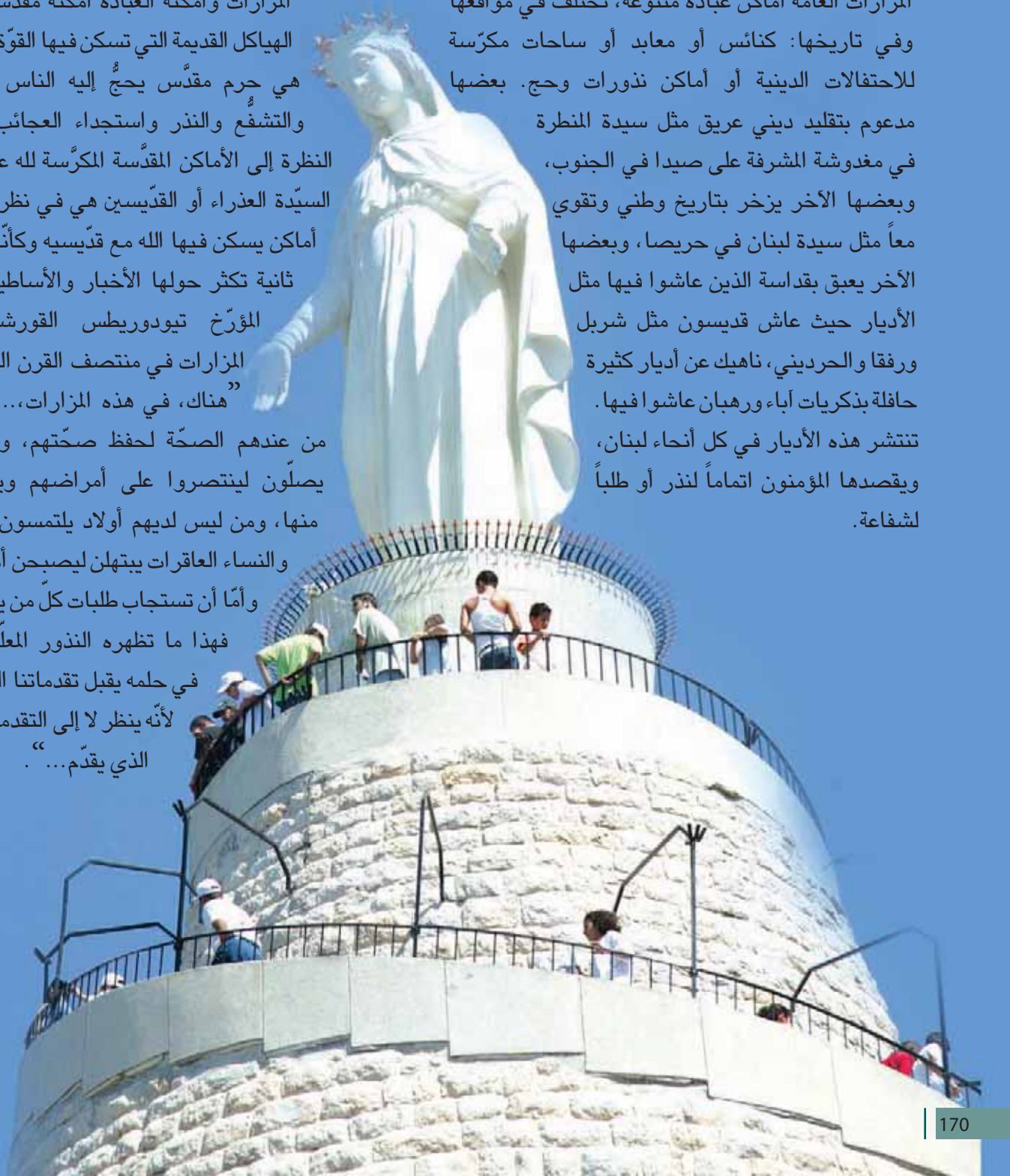

لكنيسة السيّدة دورٌ كبيرٌ في قلب اللبناني، ولبنان مزروع بالمزارات على اسم العذراء منها: كنيسة السيدة في صور، كنيسة السيدة في بيروت، كنيسة السيدة في جبيل، سيّدة المنطرة (مغدوشة)، سيّدة النوريّة (شكّا)، سيدة يانوح، كنيسة السيدة في قنوبين، سيدة بكركي، سيدة لبنان، سيدة ايليج،...

إضافةً إلى المزارات العامة، ثمّة مزارات خاصة منتشرة في أنحاء لبنان: أماكن أخرى خاصة للصلاة والعبادة مبنية بشكل كنيسة صغيرة يشيّدها شخص للتعبير عن الشكر لله على نعمة خاصة حصل عليها ولتسهيل فرص الصلاة على جميع الذين يودون زيارتها. وعلى من يشيِّد هذا النوع من الكنائس، أن يطلب الإذن لإقامة القداديس فيها.

وثمة أيضاً أماكن صلاة محصورة بجماعات محددة، تحتاج أيضاً إلى إذن خاص لتصير مزاراً مفتوحاً للجمهور.

وعلى الطرقات الكثير من المزارات الصغيرة التي بُنيَت عربون شكرٍ على نجاةٍ من حادث أو شفاء من مرض...

المناسك أو المحابس

أماكن منعزلة بعيدة عن المساكن والجماهير، يقصدها النساك ليعيشوا متوحِّدين، بعيدين عن العالم، في أوضاع حياة قاسية جداً، يأوون إلى مغارة أو خيمة، أو ينتصبون على قمّة عمود. ينقل التاريخ أن الناسك الأول في المسيحيّة هو القديس انطونيوس الذي عاش نحو (250-350) وأقام في صحراء مصر العليا، في منطقة طيبة، وكان المثال الأول للناسك المسيحي الذي سار على خطى المسيح. يعيش الناسك منعزلاً وحيداً في مكان بعيد عن العالم، ويقتدي بانعزاله عن العالم وتكريس حياته لله، بالمسيح الذي انعزل مراراً كثيرة في الصحراء ليصوم ويصلّي. يوزّع الناسك حياته بين الصلاة والتأمل والعمل؛ وبدأت أشكال الحياة النسكيّة بالتنوّع عندما بدأ بعض تلاميذ النساك يقيمون في جوار معلّمهم الروحي، فبدأت تتشكّل تدريجياً الجمعيات الرهبانيّة. وما زال رهبان يعيشون حياة نسكيّة داخل بعض الأديرة، في كل أنحاء العالم. ولا شك أن نسّاك جبل آثوس في اليونان هم النسّاك الأكثر شهرة في العالم حالياً.

أماكن أخرى ترتبط بالإسلام

المصلَّى

إسم مكانٍ من الفعل "صلّى". وتطلق كلمة مصلى على كل مكانٍ يخصَّص للصلاة سواء كان خاصاً أم عاماً، كالقاعة المخصّصة للصلاة في المدرسة مثلاً أو غيرها. ويختلف حكم المصلّى عن المسجد، فالوقف وأحكام الدخول إلى المسجد وعدم إجازة وقف الأرض المخصّصة للمسجد لغيره وعدم تغيير جهة إستعمال المسجد ووجوب المحافظة على طهارته وعدم إجازة دخول الجُنب أو الحائض إليه، جميعها أحكام وجب مراعاتها بالنسبة للمسجد غير أنها لا تنطبق على المصلّى.

المدرسة

استقلّت عن المسجد بعد القرن الخامس الهجري/الثاني عشر الميلادي. لكنّ الطلاب يقيمون أحياناً الصلاة فيها. ليس في المدرسة مئذنةٌ أو منبر، بيد أن بعض سلاطين المماليك كانوا يعينون للمدارس خطباء وأئمة. وفي زمن المماليك والعثمانيين صار التقليدُ بناءَ مسجدٍ بجانب المدرسة أو العكس، أي بناء مدرسة بجانب المسجد، وإيقاف أوقاف عليهما لاستمرار عمارتهما.

الزوايا، والخوانق، والرُبُط والتكايا

أسماء مختلفة باختلاف لغات وتقاليد الجهات التي ظهرت فيها. وهي على العموم أماكن يعيش فيها الزهاد والمتصوفة والمنقطعون للعبادة والتدريس. وخرجت من هذه الخوانق (جمع خانقاه) طرقٌ صوفيةٌ كبيرة. وتُقامُ في الزوايا دروسُ العلوم الدينية المختلفة.

الرباط استُخدم أحياناً بمثابة حصنٍ على بحرٍ أو جبهةٍ برية للدفاع ضدَّ العدوّ. في بلاد الشام الداخلية ظلَّ الرباط مبنىً خاصاً بالصوفية والمتجردين لعبادة الله. انقرضت تقاليدُ وعاداتُ الزوايا والخوانق والربط. لكنّ مبانيها لا تزالُ قائمةً في بلدانٍ عربيةٍ وإسلامية كثيرة؛ شأنها في ذلك شأن المدارس.

المقام، والمزار، والمشهد

تُشيرُ ألفاظٌ مختلفةٌ في البلدان العربية والإسلامية إلى الموطن الذي فيه ضريحُ لأحد الأنبياء أو الأئمة أو الأولياء. يزورُ الناسُ تلك المباني فيصلون فيها للتبرك واستجابة الدعاء، كما يترحمون على المدفون فيها. وفي مدينة قُمّ المزار الضخم للسيدة المعصومة من آل البيت. سُمّيت المدينةُ من حول "المشهد الرضوي" نسبةً للإمام الرضا: مدينة مشهد، ويزورُ الضريح كلَّ عام ملايين من البشر.

ضريح الإمام الأوزاعي في بيروت: اشتهر بتسامحه ودفاعه عن الحريات الدينية ومبدأ العلاقات الطيبة بين اهل الأديان

العتبات المقدَّسة

تطلق كلمة العتبات المقدّسة على أضرحة الأئمة المعصومين من أهل البيت عند الشيعة أو أبنائهم، وهي منتشرة في عدة بلدان. فمثلاً في العراق ضريح الإمام علي (عليه السلام) في النجف، وضريح الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه العباس وسائر الشهداء في كربلاء، وفي إيران ضريح الإمام الرضا (عليه السلام) في مشهد، وضريح أخت الإمام الرضا (عليها السلام) في قم. أما في سوريا فضريح السيدة زينب (عليها السلام) أخت الإمام الحسين (عليه السلام) إضافة إلى ضريح آخر في مصر منسوب إلى السيدة زينب (عليها السلام). وكانت هناك أضرحة أخرى في المدينة المنوّرة هدمت ولم يبق إلاّ ضريح النبي (ص) في المسجد النبوي.

ويزور الشيعة هذه الأضرحة لأداء الصلاة والدعاء فيها لما يرون لهؤلاء الأشخاص من قداسة، بالنظر لارتباطهم بالله ودعوتهم إليه وربطهم الناس به وإخلاصهم في العبادة والعبوديّة له سبحانه وتعالى.

ضريح الإمام علي (عليه السلام) في النجف (العراق).

الحسينيات

مبانٍ يخصصها المسلمون الشيعة لتُقرأ فيها "التعزية" في عاشوراء، وذكرى استشهاد الإمام الحسين. ثم صارت تُستعمل في سائر المناسبات الاجتماعية وبخاصةٍ في التعازي بالوفاة. وعادة بناء الحسينيات منتشرة في أكثر البلاد التي يقطنها الشيعة، خاصة في لبنان والبحرين وإيران والعراق. ثم إن الحسينيات بالإضافة إلى ما مرّ من وظيفة شعائرية لها، كانت تستخدم لاستضافة بعض الضيوف من خارج البلد كمكان للمبيت المؤقت، كما وتقدم فيها الأطعمة والأشربة للفقراء خاصة في أماكن الزيارات للعتبات المقدّسة لأضرحة الأئمة (عليهم السلام) في العراق وقُم ومشهد والسيدة زينب (عليها السلام) بدمشق وغيرها.

المقامات عند الموحدين الدروز

"المزارات"، وتسمى أيضاً "المقامات"، بناها الموحدون الدروز تكريماً لأثر نبي أو استبراكاً لأهل فضلٍ في الطاعة والعبادة سابقين. إلى الزيارات اليومية للمؤمنين، تقصدها حشود وفيرة من الشيوخ من المناطق والجهات في موعد سنوي يحدّد لكلّ منها. وتُسمّى هذه المناسبة بـ"الزيارة". فيُبصرُ إخوان الدين بعضهم بعضاً، ويتآلفون في الله ببركة صاحب الأثر أو الضريح. ثم يتحلّقون حول مشايخهم الثقات لتلاوةٍ في الذكر الحكيم، ولاستذكار سيرة صاحب المزار والعبر المستوحاة منها، والمذاكرة في لطائف المعاني الروحية، والتباصر في أحوال الأيام، شدّاً للأزر، وتعاضداً في السعي الشريف، وحفظاً لعهد الوفاء في المسلك، على قاعدة الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن أهمّ هذه الزيارات التي تحدّد مواعيدها مشيخة العقل والمرجعيات الروحية والهيئات الدينية في المناطق: زيارة مقام "النبي شعيب" في فلسطين، ومقام "النبي أيوب" في الشوف، ومقام "النبي هابيل" في ضواحي دمشق، ومزار "الأمير السيد عبد الله التنوخي" في عبيه، ومزار "الشيخ الفاضل" في منطقة راشيا وغيرها من المزارات والخلوات وفي معظمها أضرحة لشيوخ ثقات.

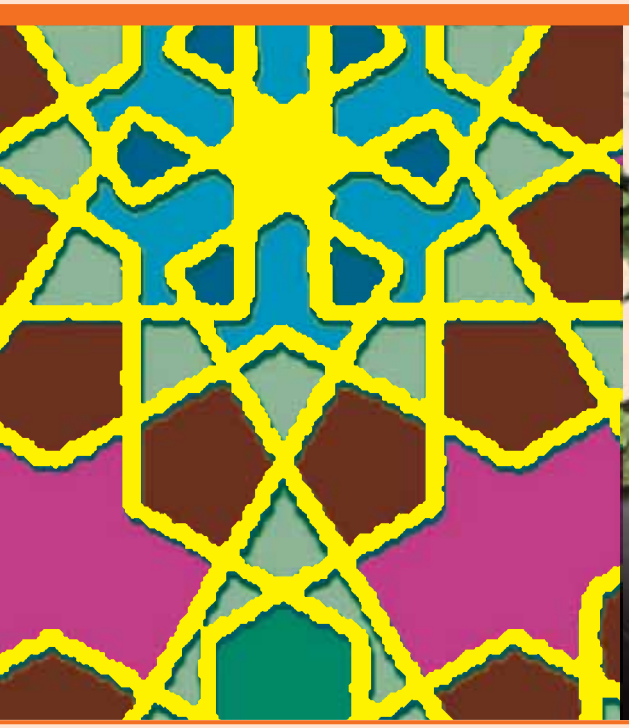

تقاليد وعادات

لا ترتبط التقاليد والعادات ارتباطاً مباشراً بجوهر الدين، بل هي تعبيرٌ يتأثر غالباً بالبيئة والثقافة الجماعية. والناس ابتكروا عاداتٍ وأعطوها رموزاً ومعاني دينية، لإيجاد صلة بين مسلكهم الإجتماعي وطريقهم الروحي.

اللباس وما يتبعه

تتبدَّل الأزياء بتبدّل الأمكنة والأزمنة، وهي ترتبط بالديانات والعادات والتقاليد، وتُماشي في تطوّرِها الرقيّ الاجتماعي والفكري، وتتصّل إلى حدٍّ بعيد بالتقدُّم الصناعي والتجاري والفنّي. وأخصّ المتقيِّدين في ملابسهم بالرسوم والشرائع والتقاليد هم رجال الدين وجماعات الجند.

اللباس وما يتبعه لدى المسيحيين

لباس كهنوتي:
البطاركة / المطارنة / الكهنة

الكهنة (مفردها كاهن) هم الرجال الذين يتقبّلون سرّ الكهنوت في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، ويؤلفون جماعة الإكليريكيين. يلبس بعضهم اللباس الاكليريكي الرسمي الذي هو الصاية أو الجبة التي تكسو الجسم كله من العنق حتى القدمين وتكون سوداء اللون بشكل عام، غير أنها يمكن أن تكون بنّية اللون أو رمادية أو زرقاء أو بيضاء. يكسو الكهنة رؤوسهم بقبعات مختلفة الأشكال حسب إنتماءآتهم. ويرخي غالباً الكهنة التابعين للكنائس الشرقية الشاربين واللحية، ويقتدي بهم بعض الكهنة الغربيين المنتمين إلى جمعيات رهبانية خصوصاً. كما يضعون على خصرهم حزاماً من قماش.

المطارنة (مفردها مطران) أو الأساقفة، هم المدعوون من السلك الكهنوتي ليكونوا خلفاء للرسل الاثني عشر الذين رافقوا يسوع وحلّ عليهم الروح القدس. يرأسون كنسياً منطقة جغرافية يدعونها أبرشية، يعاونهم في إدارتها وتدبير كنائسها كهنة موزّعون على الرعايا. يلبس المطارنة عادة الصاية أو الجبة والزنار والقبعة، ولهم حرية الاختيار بين أحد الألوان العادية أو اللون الأحمر. يحملون في أعناقهم صليباً و يضعون في الاصبع الوسطى لليد اليمنى الخاتم الرعوي، رمز الأمانة للشعب المسيحي الموكل إليهم. كما يحملون في يدهم عصا الرعاية.

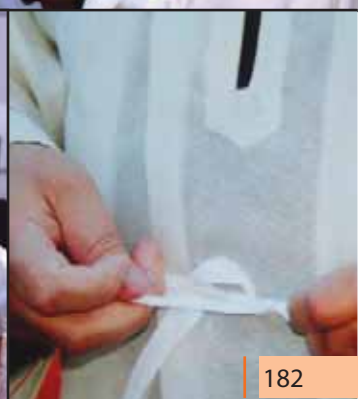

182

يرسم المطران الكهنة في قداس احتفالي بشارك فيه اهل الكهنة والمقربون. بعد أن يمسح المطران يدي الكاهن بالميرون، يلبس الكاهن الثياب الخاصة ولكل قطعة منه رمز خاص

البطاركة (مفردها بطريرك) هم الرؤساء الروحيّون الذين يرأسون مجموعة من الأساقفة والاكليريكيين والمؤمنين الذين يؤلفون جماعة ذات طقس واحد، نشأت في منطقة جغرافية واسعة الامتداد، وانتشر أعضاؤها إلى شتى انحاء العالم. لا يختلف لباس البطاركة عن لباس الأساقفة، غير انهم في الطقس البيزنطي يحملون في عنقهم الصليب وإلى جانبه أيقونتين للمسيح الملك وللعذراء مريم. أما قداسة الكاثوليكوس، هو أعلى مرجع روحي ورأس الكنيسة الأرمنية، يعلق على صدره الصليب وأيقونة مريم العذراء

وكذلك نسراً برأسين مزدوجين عليهما تاج ملكي وصليب كرمز للسلطة الأرثوذكسية. ولقداسته دور إقليمي ودولي يمتد إلى الأبرشيات الأرمنية الأرثوذكسية المنتشرة في منطقة الشرق الأوسط والعالم.

الألبسة المذكورة أعلاه هي الألبسة الرسمية والتقليدية. يحلُّ مكانها أحياناً في عصرنا بدلة رجّالية غامقة اللون مع قبّة خاصة على العنق تدعى قبّة رومانية، أو بدلة رجّالية عاديّة ويوضع على مقلب الجاكيت صليب صغير.

النسر الذي يعلّقه على صدره كاثوليكوس الأرمن الأرثوذكس إلى جانب أيقونة مريم العذراء

القساوسة (مفردها قِس)، هم خدام الدين في الكنائس البروتستانتية، يلبسون عموماً البدلات العادية، ويضيفون أحياناً القبّة الرومانيّة أو صليباً صغيراً على مقلب الجاكيت. ولا يوجد في الكنائس البروتستانتية تراتبية كهنوتية كما في الكنائس الكاثوليكية والأورثوذكسية، فالقسيس أسقف يحق له تعليم الكلمة. وتنحصر التراتبية في الأمور الوظيفية الكنسية.

أمّا اللباس البيعي الذي يلبسه المحتفل في القداس والأسرار، فهو في الكنائس الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة ملوّن بحسب الأزمنة والأعياد وهو يجعل من لابسه أيقونة حيّة للمسيح الملك الضابط الكلّ. ففي القدّاس نتأمّل بأحداث الخلاص التي تمّت في المجيء الأوّل للسيّد المسيح في ضوء مجيئه الثاني الذي تنتظره الكنيسة.

إضافةً إلى اللباس الملوكي الذي يتّشح به الكاهن في القدّاس، يلبس الأسقف الخاتم في أصبعه (رمز السلطة) ويحمل العصا (عصا الرعاية) ويضع التاج على رأسه (رمز المجد والكرامة).

لباس رهباني:
لباس الرهبان / الراهبات

الرهبان والراهبات مؤمنون مسيحيّون كرّسوا حياتهم لله بانتمائهم إلى جمعيّة رهبانيّة وبإبرازهم النذور الثلاثة: الفقر والعفّة والطاعة. وكما ذكرنا آنفاً، فنظراً لكثرة الجمعيات الرهبانيّة وتنوعها، تكثر التفاصيل المرافقة للباس الرهباني وتتنوع، سواء في اللون أم في بعض الإضافات الجزئية. غير أن جميع الرهبان والراهبات، يلتزمون التقشف في حياتهم ويرتدون في حفلة لبس الثوب الرهباني الألبسة التالية: العباءة أو الجلباب الذي يكسو الجسم كله من العنق حتى القدمين، حزام الجلد الذي يشدُّ الحقوين، الكتفية التي تغطي الكتفين والظهر والصدر مع قبعة للرأس عند الرهبان تسمّى الإسكيم، وغطاء أو حجاب الرأس عند الراهبات. كما ينتعل الكثير منهم الصندل في أقدام عارية. يضيف البعض إلى الألبسة المذكورة أعلاه زناراً من حبل أبيض مع عقدٍ في الطرفين، أو مسبحة الوردية. ويحمل آخرون صليباً صغيراً في عنقهم.

اللباس وما يتبعه لدى المسلمين

لا يفرضُ الإسلامُ على المسلم زياً خاصاً محدّداً أو لوناً مميزاً، بل اكتفى بوضع ضوابط عامة تتعلّق بالستر والإحتشام. ويمنع بعض الفقهاء اللباس الذي يسبب الإهانة والهتك للابِسِه ويسمونه لباس الشهرة.

تلتزم كثرةٌ من المسلمات المتدينات ستر البدن كلّه، وغطاء الرأس، بحيث لا يظهر منهنّ غير الوجه والكفين. والغرض من الحجاب لدى المسلمات هو صون عفاف المرأة وتكريم لها لأنه يدفع ما يجعلها موضع لذة فقط، من خلال ستر محاسنها ومفاتنها. يعتبر المسلمون الحجاب حفظاً لمجتمعهم من الفساد والضياع. فالحجاب والحشمة مطلوبان ليس فقط في الحياة الاجتماعية بل الصلاة لا تُقبل من المرأة إذا لم تستر جسدها ما عدا وجهها وكفيها. أما الحشمة عند الرجال المسلمين فتبدو في عدم إظهار الرجل للمنطقة ما بين سُرته وركبته لما في ذلك من خروجٍ عمّا تعوَّد عليه المسلمون من احتشام. إضافة إلى ذلك، تكوَّنت تقاليد وعاداتٌ وأعرافٌ لفئاتٍ معيّنةٍ من الناس، فمثلاً كانت لكل طريقةٍ صوفيةٍ نوعيةٌ معينةٌ من الملابس والرايات والشعارات في المناسبات.

من المستحبات في الإسلام، لبس الخاتم، لا يجوز التختّم (لبس الخاتم) بالذهب للرجال غير أنه يجوز للمرأة التختّم بالذهب أو الفضة. وورد في بعض النصوص الدينيّة إستحباب التختّم بالعقيق والفيروز والدرّ.

لباس المشايخ وعلماء الدين

يلبس المشايخ والأئمة والذي يؤمون في أداء الشعائر، والقضاةُ والمفتون عمائم وجبباً ضافيةً. وأكثرُهُم ما يزال يربّي لحيته. ويضع السادة والأشراف منهم عمائم سوداء على الدوام. والسيّد هو المسلم الشيعي الذي ينتمي إلى سلالة النبي (ص)، أما الشريف، فهو المسلم غير الشيعي الذي ينتمي إلى سلالة النبي.

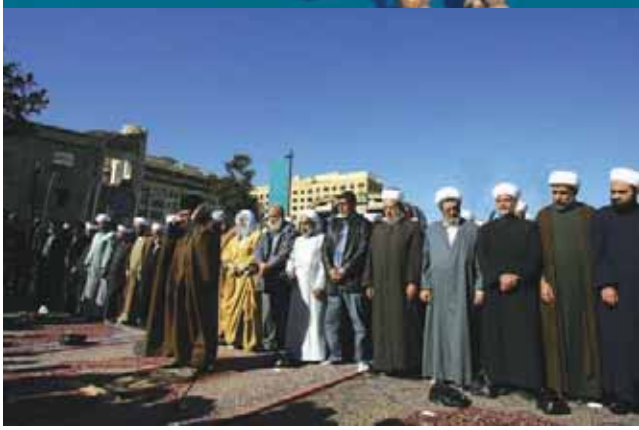

العقّــال

المشايخ الموحدون الدروز يسمون "العقال" لأن الفريضة هي أن يعقلوا نفوسهم بالإدبار عن كل نهي أتى به الشرع والإقبال على كل أمر حميد. وهم الذين التزموا الفرائض والعبادات، وسعوا جهدهم لفقه أحكام المذهب وعلوم الدين، وامتنعوا عن كل حرام وشبهة. يعتمرون العمامة البيضاء فوق رؤوس حليقة.

لباس "العقال" بسيط ينحو إلى التواضع والستر. عماده في الأصل القباء (بالعامية: القمباز)، ثم لأسباب عملية السروال الفضفاض. أما العباءة فلها عند الشيوخ ثلاثة أنواع:

- السوداء: لعموم رجال الدين في مناسباتهم الدينية والاجتماعية.
- الحمراء المقلمة بخطوط بيض عمودية، قصيرة يرتديها على الأغلب كبار السن منهم.
- البيضاء ذات الخطوط السود العامودية، قصيرة لا يلبسها إلا من توسم فيه خاطر الشيوخ الثقات أهلية الصدق في المسلك والطبع، إذ ترمز عندهم إلى ترقي صاحبها في العلم والورع والفضل.

لباس النساء الموحدات يتوجب أن يكون مكتمل الستر، ومتدثرا بمنديل أبيض كبير يغطي الرأس والصدر والظهر. وكذلك الفم وأسفل الوجه لدى المتديّنات منهن. أما اصطلح على تسميته بـ"العمامة المدورة" فمردها عائد إلى نظام عرفي خالص حيث يألف الشيوخ الثقات في خواطرهم شيخاً من بينهم أو أكثر، يرون فيه استمرارًا مخلصًا لسيرة السلف الصالح وسره الكمين. يأنسون في مسلكه تواصلاً مستديمًا لصلة الوصل الجامعة برياض التوحيد، وهي صلة قائمة إلى يوم الدين. لذلك، تأتلف خواطرهم على تتويج هذه الثقة برمز رفيع هو العمامة التي تتخذ شكلا لها أتم الأشكال اكتمالا: الدائرة.

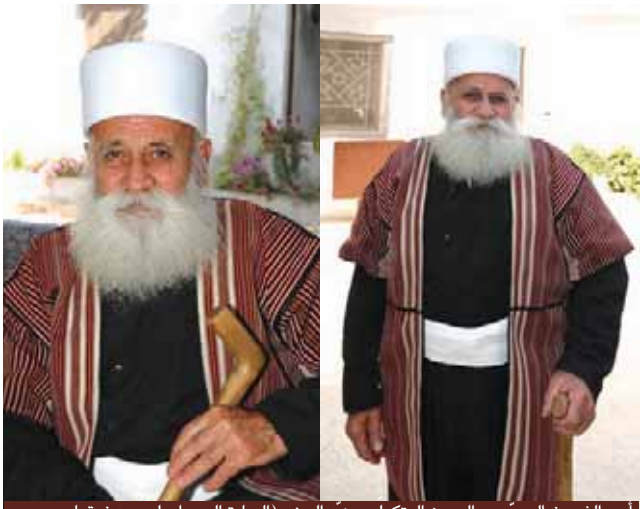

أحد الشيوخ الموحّدين الدروز المتكملين بزيّه الديني (العباءة الحمراء يلبسون فوقها العباءة السوداء)

العلم المخمس
لدى الموحدين الدروز

يرتفعُ علمٌ خماسيّ الألوان في العديد من المناسبات الحاشدة لدى الموحّدون الدروز، وفي معظم بيوتهم ومؤسساتهم. وبقدر ما يتوحّد الإدراك الشعبي حول تحديد مغزى هذا الرمز، تتعدّد في الوقت عينه الإجابات في محاولات توضيحه وشرحه. ومردّ هذا اللبس عائد إلى غياب النصّ التأويلي المُفسِّر أيّ لون من الألوان، ممّا يسوِّغ القول بالنَسَب العُرفيّ لهذا الشعار. يردّنا الاعتقادُ السائدُ في هذا الشأن إلى مفهوم "الحدّ" بالقياس إلى المطلق.

فالله ﴿سبحانه وتعالى﴾ (عبارة تتضمّن أرفع معاني التنزيه) هو الأحدُ الصمّد، المنفرد بالوحدانيّة على الإطلاق. مبدِع المبدَعات، وخالق الأرض والسموات ﴿فأينما تُوَلّوا فثَمّ وجهُ الله﴾ (سورة البقرة، آية 114) (عبارة تتضمّن أشمل معاني الوجود).

لذلك، فإنّ خلقَ الوجود النسبي من الوحدة المطلقة هو أمرٌ يُرَدّ إلى معجزات القدرة، والله على كلِّ شيءٍ قدير. بَيدَ أنّ عمليّة الخلق هي في ذاتها آية لقوم يعقلون ويتفكرون. ولا يُمكن لفِعل العقل أن يسلكَ السبيلَ السويّ، ولإعمال الفكر أن ينهجَ النهجَ القويم في هذه المسألة – وفي كثير من المسائل – إلا بلزوم الحدّ، بل بفهم الحدّ واسطةً لفِعل الإبداع.

هذه الواسطة هي أمرُ الله وإرادته وقوله وفِعله وإحداثه استنادًا إلى الآية الكريمة ﴿إنما أمرُهُ إذا أرادَ شيئًا أن يقولَ لهُ كنْ فيكون﴾ (سورة يس، آية 82). ولكي يقعَ أمرُ المُطلق في حيِّز الإدراك الإنسانيّ، كانَ العقلُ رحمة من حيثُ هو الحدّ الذي به يعقلُ العبدُ ما أرادهُ الرحمنُ الرحيم أن يعقل ﴿إنّ في ذلكَ لآياتٍ لقوم يعقِلون﴾ (سورة الرعد، آية 4). كذلكَ الحدّ الذي به تتحدُ إدراكاتُ العقل لتصيرَ صُوَرًا نفسانيّة بفعل الإرادة، وحد الكلمة التي ﴿سَبقت مِن ربِّكَ﴾ (سورة يونس، آية 19) وصولا إلى حدِّ الفعل السابق للوجود، فإلى ما يتلوه من إحداثِ الوجودِ عينه ﴿كنْ فيكون﴾. تلكَ وسائط خمس تضبط الحدّ المعقول بين الوحدة المطلقة والكون النسبي، وبها يصيرُ الإنسانُ مُهيّأً لتقبل ﴿كلمة الله العليا﴾ وهيَ كلمة التوحيد، وبالتالي لتلقي الرسالات السماويّة عبر الرسُل الكرام ﴿مُبشرينَ ومُنذِرين لئلا يكونَ للناس على الله حُجّة بعدَ الرسُل وكانَ اللهُ عزيزًا حكيما﴾ (سورة النساء، آية 165). ولأن الإنسانَ ذو عقل، قامت عليه الحجّة في وجوب إقباله على أمر الطاعة وإدباره عن مُنكر المعصية وامتثاله أركان الدين الحنيف. كيفَ استحالت هذه المفاهيم العقلية ألوانًا في غيابِ نصّ صريح؟ ربّما يُقاربُ المرءُ الحقيقة إذا ما وجّهَ البحثَ إلى حقل التاريخ الاجتماعي والسياسي، وليس العقائدي، للموحِّدين الدروز. تحديدًا، في دور "المثاغرة" الذي تولوه عبر مئات السنين دفاعًا عن الأمّة بـ"المرابطة" في "ثغورها" لردّ كلّ اعتداء أثيم عنها. فاختارت هذه الفئة المقاتلة لها راية مميَّزة افتخارًا لما قدّمته من بطولات وتضحيات على مدى العصور، وهي عبارة عن علم مخمَّس يجسّد فكرة هذه الحدود الخمسة ويجمع الموحّدين الدروز تحت لوائه في كل حين.

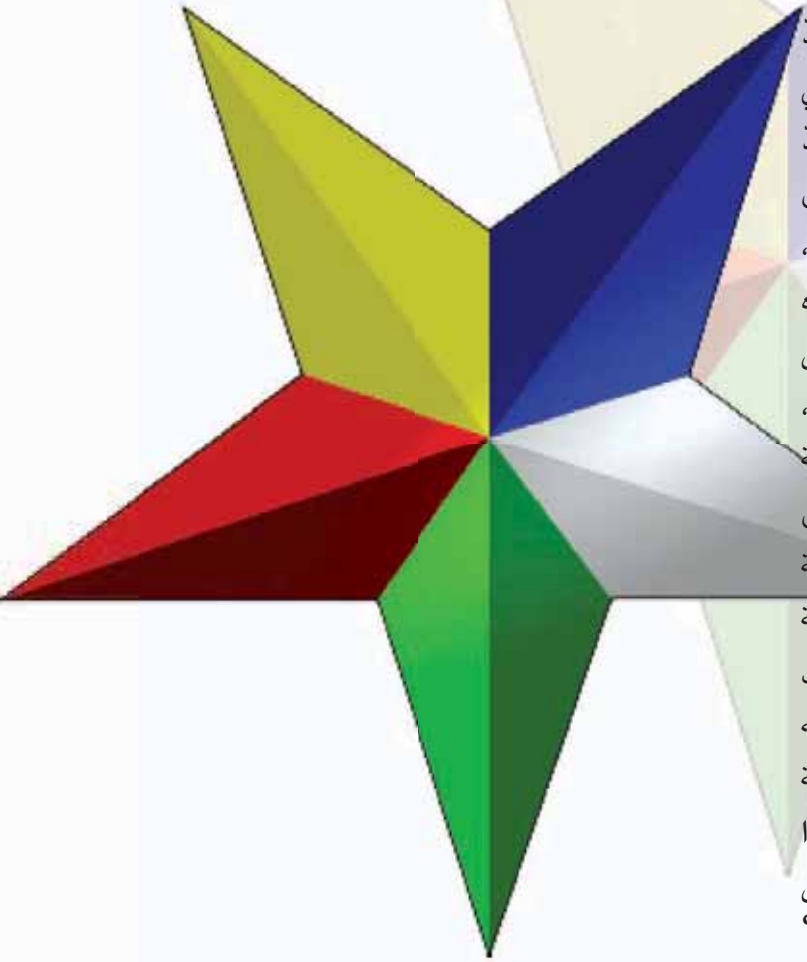

عادات وتقاليد عامة

النذور

تتخذ تقوى المؤمنين أشكالاً متنوعة في التعبير عن التعبّد الشخصيّ، فيلجأ الكثير منهم إلى إبرام نذرٍ ما. فيبرم المسيحيون نذوراً لله أو للسيدة العذراء أو لأحد القديسين. ويتعهّد الإنسان، الذي يعد بإبرام نذرٍ معيّن بممارسة عمل تقوى معيّن، كأن يتلو صلاةً محددة على مدةٍ زمنيّة محددة، أو يلتزم بمبادراتٍ خيريّة كخدمة المعوَقين الذين يقصدون مكان عبادةٍ بعيد خصوصاً حيث تكرم بعض الذخائر المحفوظة باحترام. هذا عدا عن المشاركة في الاحتفالات الموسميّة، بمناسبة الأعياد، والمساهمة بتقديم القرابين أو الزيت أو الشموع أو بواكير القطاف في القرية، بالاضافة إلى التبرع بتزيين المعبد بجدرانية أو أيقونة أو ثريّا. وفي بعض التقاليد لدى المؤمنين الكاثوليك خصوصاً، ينذر البعض بأن يلبسوا لمدة زمنية محددّة، ثوباً يشبه ثوب القديس الذين يتشفعون لديه. ونرى في هذا الإطار، خلال شهر أيار، العديد من النساء اللواتي يلبسن الثوب الأبيض والأزرق، الذي يشبه بحسب التقاليد ثوب مريم العذراء، وذلك إيفاءً لنذرٍ معيّن.

والنذر لدى المسلم هو عمل يلتزم به تجاه الله عند حصول أمرٍ أو من دون حصوله. فمثلاً يقول الإنسان "لله عليّ نذر إذا شفيت من المرض، أن أفعل كذا". وقد يقول: "لله عليَّ نذر أن أفعل كذا". وشرط النذر أن يكون أمراً راجحاً شرعاً مثل الصوم والصلاة والدعاء أو الصدقة على فقير أو تقديم هديّة لإنسان أو ما شابه من الأفعال. ولا يصح أن ينذر الإنسان السير حافياً أو التسوّل أو غير ذلك من الأفعال التي تسبّب إهانة للإنسان أو امتهاناً للكرامة. رغم النهي عن هذا النوع من النذور، لا تزال تمارس على نطاق ضيّق في بعض المجتمعات غير المثقفة بالإسلام وقيمه الصحيحة.

الأذكار، البسملة، التحية والأدعية

يستذكر المسلمون الله في كلامهم في مواضع عدّة: تسبيح الله بقولهم "سبحان الله"، وهي تعظيم لله وتبجيله. "الحمد لله" أعلى أنواع الشكر إذ ينسب المسلم النعمة الى الله عز وجل. "الله أكبر"، وهذا الذكر عظيم لما يحتويه من انعكاس على القلوب، فبقوله يتذكر المسلمون خالقهم بأنه هو المدبر الأكبر والمتصرف الأعظم وأن لا حول ولا قوة لمخلوق في هذه الدنيا الا بالله، فعندها تهون المصاعب بتذكر وإستشعار التدبير الإلهي بهذا الذكر العظيم. أما أعظم الأذكار على الإطلاق، فهي "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله الا الله" وهو أهم لفظ في الإسلام، به يدخل المرء في الإسلام.

البسملة: أي القول "بسم الله الرحمن الرحيم" هي سُنةٌ يتبع بها المسلمون نبيهم (ص) الذي كان يُسمي الله في كل أموره كالطعام والشراب والقراءة والدخول والخروج وغيرها. ويتبعون بها القرآن الكريم إذ أول آية فيه هي البسملة. وسبب البسملة حلول البركة بذكر اسم الله والاستعانة به.

التحية: التحية في الإسلام كما هي، صيغة لفظية يمكن أن تكون حركة عمليّة يستدل منها على مشاعر الحب والود المتبادلة وكلمة السلام مصطلحاً للتحية لدى المسلم، ويكلّف المسلم الرد على السلام بأحسن منه أو على الأقل بما يماثله. يلقي المسلم التحيّة هذه على من يلتقيه قائلاً: "السلام عليكم ورحمة الله". وتكون صيغة الرد على هذه التحية بالمثل، إذ يقال: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته". والتحية بإسم الله هي فضيلة يعتبر الرد عليها بالمثل فريضة، تؤدي إلى نشر المحبة والأمان بين الناس، لذلك قال النبي محمد (ص) " ألا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم".

أسماء الأشخاص

الاسم عنصر مكوّن لهويّة الشخص، هو القطب الثابت والمميّز لحضوره ولعلاقاته مع الآخرين ومع الله الذي يدعو كل شخص باسمه. يدرك كل مؤمن على وجه الأرض ما للاسم من أهمية، فيبدأ نهاره وكل عمل يقوم به منذ الصبح وحتى يحين وقت نومه بذكر اسم الله. فالمسيحي يقول: "باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد. آمين"، والمسلم يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم". وللإسم ميزة قدسية لأنه يُنْسَبُ للشخص في عمل ديني، فيُعطى مثلاً للمسيحي في المعموديّة. يمكن أن يكون هذا الإسم إسم قديس عاش حياة أمانة مثالية لله ويتمتع حالياً بقدرة الشفاعة لدى الله لخير الذين يضرعون إليه، وبأولى حجة لخير الذين يحملون اسمه ويسعون إلى التشبه بفضائله. هنالك أيضاً أسماء تعطى في المعمودية تعبّر عن فضيلة أو عن احدى صفات المسيح الفادي أو الصفات الإنسانية الرفيعة. في الكتاب المقدّس لدى المسيحيين، لا يقتصر اسم الشخص على كونه أداة تعريف فحسب بل يتحول إلى صورة عنه وهو ملازمٌ لرسالته (مثلاً: يوحنا يعني "الله حنّان"؛ يسوع يعني "الله يخلّص"؛ يوسف يعني "الله يزيد"...). يشير إلى كرامة حامله ويفرض على كل من يلفظه احترام من يدل عليه. وتعظم أهمية الاسم، لأن الشخص يخلد به وهو اسم الأبدية، حيث تضيء فرادة كل شخص مؤمن بالقيامة.

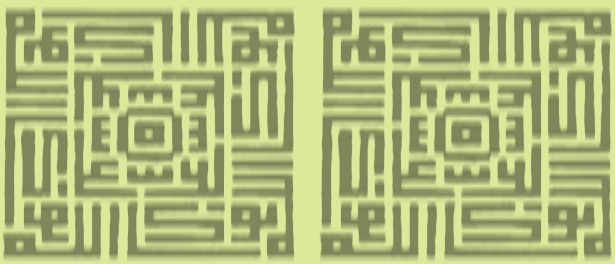

ولأسماء الأشخاص خصوصية عند المسلمين وفضل. قال النبي محمد (ص): "إنكم تدعون بأسمائكم وأسماء أبائكم فأحسنوا أسماءكم". استحسن الإسلام تسمية الأبناء بأسماء حسنة واستقبح الأسماء التي تدل على أشياء لا تليق أن يحملها الولد اسماً له ومنع بعض الأسماء. فالأسماء المستحبة: (عبد الله) لقول النبي محمد (ص): "إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن"، وذلك لدلالتها على العبودية لله والاعتزاز بها وبركة هذه الأسماء أنها تحمل اسماً من أسماء الله. وكذلك أسماء الأنبياء كمحمد وعيسى وغيرهم.. ومن الأسماء الممنوعة تلك التي تدل على تزكية النفس وتعظيمها كملك الملوك وغيرها لأن الإسلام دعا إلى التواضع. وأسماء الجبابرة كفرعون وقارون وهامان وغيرهم، وأسماء الملائكة كجبريل وإسرافيل وغيرها. كما ينفرون من الأسماء التي تكرهها النفوس.

الإحسان وإنشاء الجمعيات والمبّرات

تعزّز الحضارة المعاصرة ثقافيّاً وسياسيّاً، فكرة العدالة الاجتماعيّة التي تطالب بتنظيم المجتمع وفقاً لعدالة توزيعية تصون حقوق كل شخص إنساني وكرامته، روحاً وجسداً. غير أن عدد ذوي الحاجة إلى المساعدة يزداد كل يوم في العالم مثل المرضى والمعوقين والأطفال الأيتام والمهملين والأطفال المشرّدين والمسنّين العاجزين والسجناء المجهولين والمهاجرين الضائعين والنساء المتورطات في صعوبة وغيرهم كثيرين. ولا تنحصر الحاجة في مجال الفقر المادي، بل تمتد أيضاً إلى أشكال الفقر الثقافي والديني حيث تقوى الحاجة إلى التعلم والنصح والتعزية والدعم المعنوي والمسامحة والتحمل بصبر.

أسهمت قوانين العدالة الاجتماعية في صيانة كرامة أشخاص كثيرين قست عليهم طوارئ الحياة، غير أنها لم تتوصل بعد، حتى في أحسن حالاتها، إلى إزالة ذوي الحاجة نهائياً من المجتمعات. بالمقابل، تحث جميع الديانات مؤمنيها على الاحسان والاسهام في الجمعيّات والمبرّات بدافع المحبة وارادة المساعدة لجميع الذين يعانون من حاجات جسدية أو معنوية أو روحية. ان الاحسان المقدم لذوي الحاجة، أياً كانوا بدون تمييز، يشهد على صدق المحبة للآخرين وعلى الوفاء للعدالة التي ترضي الله. نشأت جمعيات كثيرة ومتنوعة تقدّم مساعدات واسعافات منظّمة، بعضها في قطاعات محدّدة وبعضها الآخر حيثما تدعو الحاجة. تسعى هذه الجمعيات في الوقت ذاته إلى تحريك الأجهزة العامة والخاصة، لتبادر إلى المساعدة الاجتماعية في الحالات الطارئة. كما ترشد الأشخاص الذين يهمّهم امر المساعدة، فتوجّههم نحو المشاركة الفعلية مع المبادرات المنظّمة في سبيل المحتاجين. الاحسان الأفضل يتم بتوعية الشعوب والأشخاص وبتجهيزها لتسلك طريق نموّها الخاص واستقلالها الاقتصادي.

الأمسيات الدينيّة

تشكل الأمسيات الدينيّة ظاهرة مميّزة في الحضارة المعاصرة التي تبدو وكأنها جهّزت كل الأمور في سبيل رفاهيّة الإنسان الفرد ووضعت كل إبداعات العالم وإنتاجاته في متناول الشخص، فوسّعت قدراته وعزّزت فرادته، ولكنها بالمقابل أوغلت في عزلته وانسلاخه عن أشكال الوجود الاجتماعي.

فعند المسيحيين، تتم الأمسيات الدينيّة بمبادرات شخصية حرّة تصدر عن الذين يشتركون فيها من دون أي إلزام أو وصيّة. وهي تتنوّع لتلبّي مقاصد الذين يحيونها أو يختارون اللقاء فيها بأشخاص آخرين ليعيشوا لحظات جماعيّة منعشة ومثمرة. يجتمع المؤمنون ضمن هذه الأمسيات لتلاوة صلوات مختارة، ثم ينشدون تراتيل روحيّة معروفة، ويبادر من شاء من المشتركين بارتجال صلوات أو أدعية يعبّر فيها عمّا يشعر به في أعماق نفسه من حاجات ملحّة لا تشبعها إلا نعمة الله، ويلتقي جميع المشتركين في الأمسيّة بالتضرّع إلى الله ليغدق على البشر نعمة السلام.

وثمّة أمسيات يتناول فيها المشتركون بعض القضايا الدينيّة او مختارات من نصوص الكتاب المقدس، فيمارس كل حاضر بالأمسية فضيلة الإصغاء بانتباه لما يعرضه الآخرون من فكرٍ منظم أو من اختبارٍ معاش. ويمكن أن يقدّم أحدهم شهادةً حياة، ثم يبادر كلٌّ بدوره إلى التعبير عن موقفه موضحاً ما يكون التبس ومناقشاً ما قد يثير الاعتراض.

تعزّز هذه الأمسيات اللقاءات والحوارات بين أشخاصٍ ينتمون إلى أوساطٍ اجتماعيّة ومهنيّة مختلفة، تدفعهم رغبةً التفكير بالحياة على ضوء الإنجيل، في محاورة مع الآخرين. وتستقطب بعض الأمسيات الإطلالة على النشاطات المتنوعة الأشكال من الدينيّة الكنسيّة إلى المدنيّة والاجتماعيّة، حيث يشهد المؤمن في سلوكه على القيم الإنسانيّة الروحيّة.

يتنوع الإيقاع الذي تتواتر بموجبه الأمسيات، فيمكن أن يكون أسبوعاً أو أسبوعين أو شهراً. وأياً كان الفاصل بين أمسية وأخرى، لا بدّ من تكليف شخصٍ أو فريق بإعداد الأمسية ثم بإحيائها وتنفيذها بانتظام لتحافظ على ايجابياتها وتكون دائماً مثمرة.

والأمسيات الدينية لدى المسلمين برنامج متكامل من الدروس والفقرات الإسلامية كالقرآن والمديح (الأناشيد) والمسابقات الإسلامية تقام في مناسبات إسلامية مهمة كالأمسيات الرمضانية وغيرها، تهدف هذه الأمسيات إلى زيادة الصلة بين المسلم وربه، وليس المقصود إمرار الوقت عبثاً.

وللطرق الصوفية أُمسياتٌ دينيةٌ أيامَ الخميس في الغالب؛ حيثُ تُنشَدُ الأناشيدُ الدينية. لكنّ المسلمين يقيمون الموالد وينشدون الأناشيد أيضاً لولادة مولود، وللنجاح في المدرسة، أو لختم القرآن.

الروايات التمثيليّة

البربارة

يقع هذا العيد في الرابع من كانون الأوّل، وفيه تذكار شهيدة تُدعى بربارة. واختلف الرواة في موطن الشهيدة بربارة، فجعلها كلّ منهم من بلاد، ويُقول البعض أنّ بربارة وُلِدَت في قرية "دلسن" من أعمال "هليوبوليس" فينيقية وهي بعلبك مدينة الشمس.

كان أبوها غنيًّا وثنيًّا فأحسن تربيتها بالعلوم والآداب. إتّصلت بالمعلِّم فالنتيانوس الذي أخذ يشرح لها أسرار الديانة المسيحيّة، فآمنت بالمسيح وقبلت سرّ العماد ونذرت بتوليّتها للربّ يسوع. حطَّمَت ما حولها من أصنام، الأمر الذي أغضب أباها الذي شكاها إلى الوالي فأذاقها مرّ العذاب وسجنها وأمر بقطع رأسها سنة 235م.

اشتهر استشهاد بربارة في الشرق، وأُعجِبَ الناس بثباتها وبسالتها، وفي عهد قسطنطين الملك، أخذ المسيحيّون يرفعون ذِكرَها، ويشيدون بفضائلها، ويزورون ضريحها، فينالون منه النِعَم، فأقاموا لها عيدًا خصّوه بطواف إعدادي كانوا يمثِّلون فيه مأساة استشهادها، على الوجه التالي:

عشيّة العيد يجتمع الشبّان والصبية، ويطوفون على المنازل متنكِّرين بوجوه ذات براقع مستغربة، وبملابس بأرداف طويلة. هذا الطواف البرباري كان في الأصل رواية تمثيليّة ثمّ حرّفه المطوفون في خلال القرون المتتالية، حتّى خرج أخيرًا عن هدفِه الأساسي، وأصبح مظهرًا من المظاهر التي اعتادها الغربيّون في المرافع، خاصّة في بيروت وبعض المدن اللبنانيّة.

ولعيد البربارة تقاليد أخرى عائليّة متوارثة منها:

- يسلقون القمح في المساء السابق للعيد ويأكلونه مُحلّى بالسكّر مطيَّبًا بالقلوبات، ويفسّرون ذلك بكون الشهيدة في هَرَبِها من والدها دَخَلت حقلاً مزروعًا بالقمح فللحال طالت سنابله والتفّت عليها وغطّتها وحالت دون عثور أبيها ردحًا من الزمن.
- يأكلون الحلويات كالزلابية والعوّام والقطايف إشارةً إلى أنّ بربارة قُدِّم لها في عذابها طعام مُرّ، ولكنّ الله حوّله في فمها إلى طعام طيّب حلو المذاق. ومنهم من يتّخذ ذلك إشارة إلى ما ظَفَرَت به من حلاوة الفرح السماوي.
- مساء العيد يوقد ربّ البيت شموعًا على عدد أفراد أسرته، وهذه العادة نشأت عمّا يقال أنّ القدّيسة عُذِّبَت بإلهاب جسمها بقناديل مشعلة حرقت خواصرها ولكنّ الربّ شفاها وأراحَها.
- أمّا عادة اجتماع النسوة ليلة العيد للتبرقط أو الاكتحال من الدخان المتصاعد من لهب شمعة، فترمز إلى ما كان للشهيدة من جمال العينين وإلى ما كانت تشاهده في عذابها من الأنوار السماويّة ذات القوّة على الشفاء وإنالة النعم.
- ويتّخذ عمّال البناء وقلع الحجارة بربارة شفيعة لهم استنادًا إلى تقليد أنّ الشهيدة كانت مرّة هاربة من أبيها فاعترضتها صخرة كبيرة لكنّها لم تلبث أن انشقّت أمامها مفسحة لها طريق الفرار والتخفّي. ويستشفعها أيضًا أصحاب الأعمال الخطرة كالعاملين بالبارود والمتفجّرات بناءً على ما نسب إليها من القوّة على اجتياز المخاطر.

اللعازريّة

كان لعازر من بيت عنيا، وهو شقيق مرتا ومريم، مرض ومات ودُفِن ويسوع بعيد عنه مع تلاميذه. لكّنه عرف بما وقع، فجاء والتلاميذ إلى بيت عنيا، فلمّا عَرَفتِ الأختان بقدومه خرجتا للقائه في الطريق مع من عندهما من المعزّين وهم كثيرون، وأخذتا تبكيان وتقولان: "يا سيّد لو كنت ها هنا لمّا مات أخونا"!

فارتعش يسوع بالروح لبكائهما وسألهما: "أين وُضِع"؟ فأجابتاه: "يا ربّ قد أنتَنَ لأنّ له أربعة أيّام". لكنَّ يسوع طلب إليهما أن تُؤمنا، واتّجه إلى القبر ووراءه الجموع. وكان القبر مغارة وضع على بابها حجر، فأمَرَ برفعه، ورَفَعَ عَينَيه إلى فوق وصلّى ثمّ صرخَ بصوت عظيم: "يا لعازر هلمّ خارجًا"! فخَرجَ الميت من مدفنه ويداه ورِجلاه مربوطة بالكَفَن، ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع: "حلّوه ودعوهُ يذهب"! هذا الحادث أورده يوحنا في إنجيله (11: 1-43) وخصّته الكنيسة بيوم تذكاري هو السبت الذي يسبق أحد الشعانين، وعمد المسيحيّون في لبنان إلى إحياء ذكره بطواف تمثيلي أُطلِقَ عليه اسم "اللعازريّة".

كانت مدارس القرى المسيحيّة تعنى بإقامة "اللعازريّة" فيجتمع طلبتها في المدرسة بعد قدّاس السبت، ويكون الأستاذ اختار منهم الجوقة الممثّلة ومرّنها على العمل. فيَلبَس أحد التلاميذ قميصًا أبيض ويغطّي رأسه بنقاب أبيض مشدود بعصابة من لونه ممثّلاً لعازر. ويلبس فَتَيان اَخَران زَي امرأتَين تمثّلان أختَيه، وتعتصب كلٌّ منهما باللون الأسود إيذانًا بالحزن. ثمّ يخرج طلاّب المدرسة بشكل موكب، يتقدّمه الصليب، وكلّما دخَلوا منزلاً استلقى ممثّل لعازر على الأرض، باسطًا يديه ورجلَيه، ومغمضًا عينيه، وضابطًا نفسه كأنّه ميت.

وترتمي كلٌّ من أختَيه إلى جانبٍ منه، الواحدة إلى اليمين والأخرى إلى اليسار، وهما تحرّكان رأسَيهما كأنّهما تبكيانه.

عندئذ تبرز الجوقة محيطة بالميت وأختَيه وتبسط فوقهم طرسًا طويلاً مبطّنًا بقماش، ومزيَّنًا برسوم وتصاوير، كُتِبَت فيه أبيات من الشعر، تنطوي على وصف الأعجوبة وتهنئة السامعين بالعيد والدّعاء لهم بالبركة والتوفيق.

وتجرى تلاوة الأبيات بصوت شجيّ مؤثّر، وحين يبلغ المنشدون إلى ما يتضمّن معنى الآية: "يا لعازر هلمَّ خارجًا" ينهض ممثّل لعازر ويخرج مسرعًا من البيت، تتبعه أختاه. ثمّ ينصرف الموكب بعد أن يتحفه أهل المنزل بالتقادم من دراهم وبيض وحَلوى بركة للعيد.

اللحى وحلاقة الرأس

ترمز اللحية والشاربان، في ثقافات وديانات كثيرة، إلى الرجولة وما يمكن أن يرافقها من حكمة وعلم. وتضفي على من يحملها هيبةً واحتراماً، وتوحي عنه للآخرين بأنه يتمتع بالعزم والشجاعة، وبالتزامه حياة تقشف وفضيلة أحياناً كثيرة.

يخضع الاكليروس الأرثوذكسي الشرقي عند المسيحيين لواجب حمل الشاربين واللحية مع الحفاظ على شعر الرأس من دون أن يطاله المقص عند كهنة كثيرين. ويحذو حذوهم رهبان وكهنة كثيرون ينتمون إلى طوائف مسيحية أخرى، لا بدافع اتمام واجب مفروض عليهم، بل رغبة شخصية تصدر عن إرادة إلتزام التقشف.

سرت عادة تحولت إلى واجب منذ القرون الوسطى، تفرض على الاكليريكيّين اللاتين حلاقة قمة الرأس بشكل دائرة. وكان يُقصد منها التعبير عن تواضع أمام الله وتخلٍ عن العالم. فعري الجزء الأعلى من الرأس يكشف عن عمق القلب الانساني لله الذي يبصر بعنايته النيات والأفعال الأكثر اختفاءً. أزال المجمع الفاتيكاني الثاني هذا الواجب في الكنيسة الكاثوليكيّة، وأعفى النساء من واجب تغطية الرأس في الكنيسة. غير أن تغطية رؤوس النساء لا تزال واجبة في الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، إذ تغطي المرأة رأسها عندما تقترب من مذبح الكنيسة لتناول القربان المقدس.

ويستحبُّ الرجال المسلمون على اختلاف مذاهبهم إطلاق اللحى وتقصير الشوارب اللحية تنفيذاً لوصية الرسول (ص). يعتبر الإسلام إطلاق اللحى من خصال الفطرة الإنسانية قبل أن تكون خصلة دينية، لكنه دعا إلى تهذيبها وترتيبها ليكون الإنسان مميزاً بين الناس وهذا ما دعا إليه النبي محمد (ص) حيث أوصى الناس بقوله "أصلحوا رحالكم" (الثياب) وكونوا شامة (أي متميزين) بين الناس فإنكم قادمون على إخوانكم (مقبلون عليهم). ويطوّل المسلم لحيته اقتداءً بنبيه (ص) وطاعة له لما يترتب على طاعته والاقتداء به من أجرٌ وثواب كبير. وتُكره الزيادة في طول اللحية على قبضة الكف.

أما "العقّال" الملتزمون من الموحدين الدروز والذين "يعتمرون العمامة البيضاء فوق رؤوس حليقة"، كما ورد سابقاً، فلا يُرجعون السبب لحلق الرأس إلى غير معنى التواضع والزهد، وربما يكون الحديث عن سلمان الفارسي هو الأقرب إلى تعليل الأمر، فقد قيل إنه رئي وقد حلق رأسه زقية (منسوب إلى التزقيق أي حذف شعر الرأس كله)، فقيل له: ما هذا يا سلمان؟ فقال: إنما العيش عيش الآخرة.

جاء في القرآن الكريم: ﴿لقد صدق اللهُ رسولَه الرؤيَا بالحقّ لَتَدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء اللهُ آمنينَ مُحَلّقِينَ رُءُوسكم وَمُقَصّرِين لا تخافون فَعَلِمَ ما لم تعلموا فجعلَ من دونِ ذلك فتحَاً قريباً﴾(سورة الفتح، آية 27).

تزيين البيوت والسيارات

تكثر أساليب تزيين البيوت، وتتنوع أدوات تزيين السيارات مع تطور الحضارة وطرائق الحياة ووسائل الرفاهية. ويحافظ المؤمن المسيحي من بيته، على مكان مميّز يكرم فيه أيقونة عزيزة أو صورة خاصة لأحد القديسين، يبادر إلى طلب شفاعة من تمثّله في اللحظات المهمة من النهار. وما زالت العادة السارية في بعض المجتمعات الدينية تقضي بأن يتقبّل الطفل، يوم معموديته، ايقونة شفيعه، ترافقه على مدى حياته حيثما كان. ويحتل الكتاب المقدس وبخاصة الإنجيل في المسيحية والقرآن الكريم في الإسلام، موضعاً مميّزاً، يلجأ إليه سكّان البيت بخشوع للتأمل والصلاة. وتكثر أحياناً كثيرة في مختلف أنحاء البيت، آيات دينيّة، بعضها يفيض ارشاداً وحكمة، وبعضها الآخر يرفع صلاة وتضرعاً.

ويضع السائقون في سياراتهم صوراً لقديسين (كالقديس كريستوف شفيع سائقي السيارات)، أو مسابحاً أو آيات وأدعية تكون بمثابة بركة لهم أثناء تجوالهم، أو يعلّق البعض مصحفاً في علبة خاصة ما يساعده في البقاء على تواصل مع الله تعالى.

مكتب اليونسكو الاقليمي - بيروت
جادة المدينة الرياضية - بئر حسن
ص. ب. 5244-11، بيروت - لبنان
هاتف: 5/4/850013 1 961
فاكس: 824854 1 961
البريد الالكتروني: beirut@unesco.org
الموقع على شبكة الانترنت: www.unesco.org/beirut